نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب

٣

الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة

تاليف

لواء دكتور بهاء الدين ابراهيم

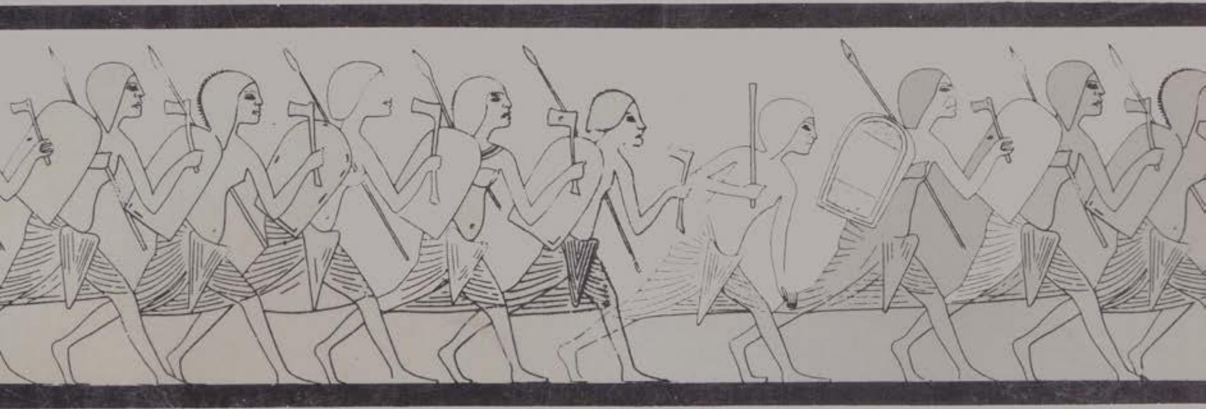

مراجعة

دكتور محمود ماهر طه

مصر
فى عيون المرشد السياحى
You Tube

وزارة الثقافة

هيئة الاثار المصرية

تصميم وتنفيذ – **آمال محمد صفوت الألفى**
مطبعة هيئة الآثار المصرية

نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب
٣

الشرطة والأمن الداخلى في مصر القديمة

تاليف
لواء دكتور بهاء الدين ابراهيم

مراجعة
دكتور محمود ماهر طه

«اتخذ من شرطى شارعك صديقا لك ولا تجعله يثور عليك ... ولا تتغاضى عنه وقت صلاتك بل قل له : المديح لك» .

الحكيم آنى
الأسرة الثامنة عشرة

نموذج لفريق من شرطة الأقاليم مكون من أربعين جندياً ، يحمل كل منهم الرمح والترس ، ويؤلفون سرية – الأسرة الحادية عشرة – عثر عليه فى مقبرة مسحتى بأسيوط . حالياً بالمتحف المصرى .

التاريخ – على امتداد العصور – هو قصة الحياة ، وخلاصة التجربة الانسانية فى سعيها الدائب وحركتها الصاعدة نحو ما هو أفضل ... وأكمل ...

وليس من شك ان الشرطة أكثر ما تكون اتصالا بالمجتمع الانسانى منذ نشأته الأولى ، وعلى امتداد حركته عبر العصور ، ومن هنا فان البحث فى تاريخ الشرطة ضرورة واجبة ، نستكمل من خلالها الجانب الاجتماعى من جوانب تاريخ مصر – بكل ما يمتلىء به من احداث تعكس نتائجها على الأمن الداخلى ، وتترك تأثيرها على حركة الشرطة وأسلوب عملها .

وهذا الكتاب – عن الشرطة والأمن فى مصر القديمة يمثل بداية موفقة لعلها تفتح الطريق أمام دراسات أوفى تستكمل تاريخ الشرطة خلال العصور الوسطى والحديثة ، وبحيث تتجمع أمامنا رؤية شاملة لتاريخ هذا الجهاز ، والدور الذى أسهم به فى تأمين المجتمع المصرى وبناء حضارته .

ان لكل عصر ظروفه وتحدياته ، وليست تجارب الماضى البعيد أو القريب قابلة للنقل صالحة للتقليد ، ولكن الاحاطة بها نافعة للعقل والوجدان تهيىء للشرطة رؤية أكمل وأشمل تكشف عن مدى اسهامها فى مسيرة البناء والتقدم .

واذا كانت مسئولياتنا العاجلة فى جهاز الشرطة تفرض علينا أن نوجه اهتمامنا للحاضر ، وأن نحشد جهودنا للمستقبل ، فليس بوسعنا أن نسقط الماضى من حسابنا ، ونتجاهل التاريخ فى دراساتنا ، لأن الشجرة الباسقة تمتد فروعها فى السماء بمقدار ما تثبت جذورها فى الأرض .

أحمد رشدى

وزيـــر الداخليـــة

http://arabicivilization2.blogspot.com/
Amly

تؤكد الدراسات الحضارية القارنة أن النظام والاستقرار الأمنى هى متطلبات لا محيص عنها للعطاء والتدفق والاستمرارية فى أية حضارة انسانية قديمة كانت أو وسيطة أو معاصرة ، وبقدر ما ترتكز مفاهيم الأمن والعدالة على أسس إنسانية تسمو نحو تعميق القيم والأنساق الأخلاقية فكريا ووجدانيا ومفاهيم الحق والخير ، بقدر ما تسهم هذه الحضارة فى التقدم والارتقاء فى حركة التأريخ العام للبشر ، فالأطر الفلسفية والقانونية والادارية والسلوكية التى تدعم الخير والعدالة وترسى قواعدها فى أى مجتمع ، هى قيم انسانية من شأنها أن تطلق كل طاقات الابداع والحرية لأفراد ومؤسسات هذا المجتمع لتحقيق الكفاية المادية والكرامة الانسانية ، وهى المتطلبات الخالدة التى تعبر عن قصة كفاح الانسان عبر مسيرته المتطاولة .

وكتاب «الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة» للدكتور بهاء الدين ابراهيم محمود ، هو عمل علمى يعرض لهذه القضية فى حضارتنا العربية القديمة ، وهو الثالث من سلسلة الثقافة الأثرية والتأريخية «مشروع المائة كتاب» الذى تصدره هيئة الآثار المصرية ، خاصة فى مناسبة افتتاح مشروع متحفى بالغ الأهمية هو «المتحف القومى للشرطة» .

إن تقدم الأمم الحضارى والثقافى العام يمكن أن يقاس فى عصرنا الحديث بعدد المتاحف المتخصصة بها ، وإن سياسة وزارة الثقافة ممثلة فى هيئة الآثار فى حقل بناء المزيد من المتاحف القومية والاقليمية ، هى سياسة تستهدف المستقبل الثقافى للانسان المصرى المعاصر ، ورفع وعيه التأريخى والأثرى إلى آفاق جديدة تثرى فكره ووجدانه على حد سواء .

والله ولى التوفيق

دكتور أحمد هيكل
وزير الثقافة

استقر مفهوم النظام والصدق والعدالة فى ضمير الانسان المصرى القديم ، مشكلاً نغمة رئيسية فى ممارسات حضارته فى الديانة والفن والسياسة والادارة والمجتمع على حد سواء ، وجعل لهذا المفهوم رمزا مقدسا هى الالهة «ماعت» التى تمثل كل هذه المرادفات باعتبارها قيما يتعين الالتزام بها ، بدءا من الملك المتربع على عرش الأرضين إلى أبسط فلاح أو عامل فى المجتمع المصرى .

ولا ريب أن هذه القيم قد تأسست على حس مرهف بالأمن وأهميته فى تحقيق الاستقرار ، وتعميق روح التفاؤل وحب الحياة ، والتى بلورت فى النهاية مفهوم الخلود فى الحضارة المصرية القديمة .

وكتاب الدكتور بهاء الدين ابراهيم محمود «الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة» وهو ثالث كتاب تصدره هيئة الآثار فى سلسلة المائة كتاب ، هو اضافة جديدة لاكتشاف اهتمام الدولة فى مصر القديمة بمفاهيم الأمن والأمان وسيادة القانون ، المؤسسة جميعها غلى قيم واضحة من العدالة والحق والأخلاق ، طبعت هذه الحضارة بطابعها الانسانى المميز بين شعوب العالم القديم .

وعلى الله قصد السبيل

دكتور أحمد قدرى
رئيس هيئة الآثار المصرية

على جنبات هذا الوادى قامت أعرق حضارات التاريخ ، ففى أعماق الزمن ، والانسانية لاتزال فى المهد كان التاريخ المصرى - يسجل أول انتصارات الانسان .

وهكذا شهدت ضفاف النيل طليعة التقدم البشرى يتمثل فى حضارتنا الفرعونية وأول مايميزها أنها متشعبة النواحي ، متعددة الجوانب ، كما ان اعظم ما يميزها انها استطاعت ان تبقى - على مر الزمن ، وعلى اكثر ماضاع فى جوف الزمن .

إننا لننظر إلى العالم القديم ، وقد تصارعت فيه القوى وتضاربت الاهواء ، وقامت الدول القوية كأنها ستبقى أبدا ثم زالت هذه الدول ، كأنها لم تقم أبدا ، فنعجب كل الاعجاب كيف إستطاعت حضارتنا المصرية أن تمضى وسط هذه العواصف والأعاصير ، حافظة لكيانها لاتفقد شخصيتها ، ولاتضيع أصالتها ، ولا يندثر تراثها .

اننا لا نعرف بين حضارات الدنيا واحدة مثلها استطاعت أن تثبت للزمن ، تتألق وتزدهر ثلاثة آلاف عام ، لاتكاد تسقط حتى تنهض ولاتكاد تتخلف حتى تتابع سيرها وتواصل انجازها .

ولسنا نستطيع أن نتصور أن تقوم تلك الحضارة وأن يمتد بها هذا الاجل الطويل الا اذا عم السلام واختفت الفوضى ، وغمر الناس تفاؤل بالحياة واطمئنان لها .

ولسنا نستطيع أن نتصور يد الفنان المصرى القديم ، تبدع هذه الآيات المعجزة من النحت والرسم بينما المجتمع الذى يعيش فيه ، ويستلهم منه ... يعانى الخوف ، ويعايش الفوضى .

..ولا نستطيع أن نتصور قيام تلك الاهرامات الشامخة والمعابد الهائلة ، والمقابر الممتدة فى قلب الجبال الضخمة يستخدم فيها الآف العمال ويتم البناء فى دقة مدهشة دون أن يكون هناك نظام ثابت مستقر يفرض على كل فرد ان يأخذ ماله ، ويعطى ماعليه .

ومن هنا ، فان النظرة الشاملة لمسار الحضارة المصرية القديمة وما تركته من آثار مادية ، واتجاهات فنية وفكرية تكشف عن قيام أمن داخلى نستنتج وجوده ، قبل أن نبحث جوانبه وتفاصيله .

وفى هذا الكتاب ، يعرض الجزء الأول للأمن الداخلى فى مصر القديمة ويتناول الظواهر والمظاهر التى تكشف عن استتباب الأمن ، وسيادة النظام كما يتوقف أمام بعض الفترات فى التاريخ القديم – سادها الفوضى عندما عجزت سلطة الدولة عن فرض سيطرتها ، وانفاذ أوامرها ، وعندئذ تنعكس النتائج السالبة على حركة البناء والتشييد ، ومظاهر الفكر والفن .

ويتناول الجزء الثانى من الكتاب قيام جهاز الشرطة وانظمته ووسائله وكما هو متفق عليه فان الشرطة كوظيفة قامت منذ وقت مبكر ، لأنها وجدت مع أول التنظيمات التى شهدها المجتمع الانسانى حين كان يمارسها زعماء القبائل والعشائر بين مايمارسونه من اختصاصات ومسئوليات ، وعندما تقدمت المجتمعات ، وتشكلت الدول ، ظهرت الحاجة إلى تخصيص جهاز ادارى مستقل ينهض بواجبات الشرطة ومسئولياتها – فى إطار محدد وبتنظيم مميز .

وتطالعنا النصوص القديمة بأسماء من يحملون بين القابهم لقب رئيس الشرطة ، وبمن يتحدثون عن أعمالهم فى حفظ الأمن ومطاردة الجريمة ، بحيث نستطيع أن نستخرج من ذلك كله تصورا معقولا لتنظيمات جهاز الشرطة واختصاصاتها .

واذا انتقلنا إلى الجزء الثالث من الكتاب الذى يتناول نماذج من تحقيقات الشرطة وأساليبها ندرس عددا من البرديات الهامة تناولت سرقات المقابر فى عصر رمسيس التاسع واضرابات العمال ، ومؤامرة الحريم فى عصر رمسيس الثالث ، بالاضافة إلى نماذج من قضايا الاختلاس .

ولعل أبرز مايلفت النظر فيما حققته الشرطة المصرية القديمة خلال ذلك الوقت المبكر من التاريخ ، ليس مجرد التنظيمات والوسائل الناضجة التى يستخدمها جهاز الشرطة ، ولكنه قبل ذلك تلك الرؤية المتقدمة ، والفهم المستنير لفلسفة الشرطة واهدافها باعتبارها جهازا يتجه أساسا لخدمة المواطن ، ويلتزم بحسن معاملته ، وحل مشكلاته .

على أن هذا الكتاب فى النهاية – لا يدعى الاحاطة بكافة الجوانب المتصلة بالشرطة فى مصر القديمة ، ولكنه مجرد بداية لكشف هذا الجانب الهام ، لاتزال بحاجة إلى من يدعمها بمزيد من التعمق ويواصلها بجديد من الدراسة تستكمل دور الشرطة عبر عصور التاريخ المصرى .

والله ولى التوفيق

دكتور بهاء الدين ابراهيم محمود

تمهيد

ويتضمن الفصول التالية :

الفصل الأول : مفهوم الأمن الداخلى .
الفصل الثانى : عوامل مؤثرة .

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : العوامل الطبيعية .
: الأثر المباشر للنيل على الأمن الداخلى .
المبحث الثانى : عوامل إجتماعية .

أولاً : الملكية الالهية .
ثانيـــــــــاً : الوازع الدينى .
ثالثـــــــاً : فكرة الماعت .

مفهوم الأمن الداخلى

هل يقاس أمن مجتمع ما بعدد الجرائم التى ترتكب فيه ؟ ففى الواقع وأن هذا المقياس يلقى بعض الضوء ، فهو لا يبين جانباً كبيراً من الحقيقة . فالجريمة وإن كانت ترتبط بالأمن العام من بعض الزوايا ، فهى فى نهاية الأمر مفهوم يختلف كل الاختلاف لأنها شيء مادى ، والأمن فى حد ذاته إحساس نفسى .

الأمن شعور داخلى بالطمأنينة ، فإدراك الأفراد بأن هناك سلطة أعلى وأقوى تستطيع أن تحافظ على أرواحهم وأموالهم ، وتردع أعداء المجتمع وتقتص منهم ، فهذا يوفر لهم السكينة ويضمن لهم الأمان .

أما المجتمع المضطرب أمنه ، فهو الذى يخفت فيه صوت القانون ، ويهتز فيه النظام وتضعف سلطة الدولة ، فلا تستطيع أن توفر الحماية ولا أن تفرض السلام .

فعندما نقول فى عرضنا للأمن الداخلى أن عصراً ما يتصف باضطراب الأمن ، فإنما نعنى بذلك أن كل ما تبيناه من ظروف العصر ، يوحى بأن الأفراد لايمكن ان يطمئنوا ولا أن يأمنوا ، وأن سلطة الدولة قد داخلها الاضطراب وشملها الضعف فأصبحت أوهن من أن تبسط حمايتها على الأفراد ، وأعجز من أن تقف فى وجه الخارجين على النظام .

فالأمن بهذا المفهوم ، يرتبط كل الارتباط بالجهاز الحكومى القائم وبشخصية الفرعون الحاكم وبقدرتهما على حماية نظام الدولة وتوفير الأمان للأفراد .

عوامل مؤثرة

يخضع استتباب الأمن فى مجتمع ما أو اضطرابه لمؤثرات كثيرة طبيعية واجتماعية ، وقد تجلت فى التاريخ الفرعونى عوامل كثيرة تكاد أن تكون فريدة تركت أثرها المباشر وغير المباشر فى الأمن الداخلى ، وهذه العوامل يمكن ان نجملها فى قسمين :-

أ) عوامل طبيعية .　　　ب) عوامل إجتماعية .

المبحث الأول

العوامل الطبيعية

لا يستطيع الباحث فى التاريخ الفرعونى أن يغفل أثر النيل فى جوانب الحياة المصرية ، فالنيل طالب المصرى منذ البداية أن يدفع ثمن الحياة الرغدة التى قدمها له . فاذا أراد أن يستغل خيراته فعليه أن يجهد ويكدح فى شق الترع والقنوات وإقامة السدود واستعمال الوسائل الصناعية لرى الأراضى العالية .

وفرض النيل من ناحية أخرى على المصرى القديم أن يظل دائماً على حذر شديد من التصرفات الغريبة التى يلجأ اليها عند الفيضان .

ولم يكن باستطاعة فرد أو مجموعة من الأفراد أن يظلوا ساهرين لحماية البلاد ، وإنما كانت الضرورة تقتضى منذ البداية وجود إدارة دقيقة تنظم العلاقات الزراعية والسياسية وتفرض على كل مواطن واجبه تجاه المجتمع .

ولما كانت المساحة الصالحة للزراعة لا تزيد على $\frac{1}{٣٠}$ من مساحة البلاد [1] ، وماعدا ذلك مجرد صحراء ، فقد أصبح على المصريين أن يتكدسوا على جانبى النهر يلتمسون أسباب الحياة الرغدة عند شاطئيه . [صورة رقم ١] وهكذا دفعتهم المصلحة الواحدة ، والخطر

المشترك ، والتقارب فى المكان أن يتعاونوا وأن ينظموا أمورهم بما يكفل خير المجموع ، وبذلك قامت فى هذا الوادى أول حكومة متحدة عرفها التاريخ حوالى ٤٢٤٢ ق.م [٢] ثم جاء التوحيد الثانى بعد ذلك حوالى ٣٢٠٠ ق.م [٣] . [صورة رقم ٢]

فمنطق الواقع الطبيعي أملى على المصريين تكوين حكومة قوية تمسك بيدها الزمام بدلا من مجموعة من الفلاحين الأحرار ، كما كانت الحال فى ألمانيا فى العصر القديم ، حيث كان صاحب الحقل يجلس فى منطقته ، ويبدأ فى مشاكسة جاره دون وجود سلطة قوية تستطيع أن تحسم المنازعات بينهم

ولا شك أن قيام حكومة موحدة تفرض سيطرتها الكاملة على أنحاء البلاد أولى الخطوات وأهمها فى سبيل توفير الأمن وإقرار السلام .

ويتضح لنا أثر هذا العامل إذا ما قارنا مصر بجيرانها ، فالظروف الطبيعية مثلا فى سورية وفلسطين لم تكن لتسمح بجمع كلمة أهل البلاد واتحادهم ، وبلاد ما بين النهرين فى العراق القديم ظلت مقسمة إلى ما يشبه المدن المستقلة التى تحارب بعضها البعض وتسعى إلى التوحيد فتسقط دون أن تحقق هدفها كاملا ، ولم تقم بها حكومة موحدة الا بعد مراحل طويلة من الكفاح [٤] .

الأثر المباشر للنيل على الأمن الداخلى

لم يقتصر أثر النيل على قيام حكومة موحدة ، إنما قدم للأمن الداخلى عنصراً هاماً من أهم عناصره ألا وهو تسهيل المواصلات بين أنحاء البلاد .

فالمعروف أن إيجاد وسيلة سهلة للمواصلات شرط رئيسى لاستتباب الأمن فى منطقة ما من المناطق ، ولا تزال وزارات الداخلية فى العهود الحديثة ، تخصص جانباً كبيراً من ميزانيتها لشراء السيارات تمكيناً من الانتقال فى سهولة وسرعة ، فالمواصلات السهلة كانت دائما ولا تزال عصب الأمن العام . [صورة رقم ٣]

ولما كان طول القطر المصرى من الشمال إلى الجنوب يبلغ ١٠٧٣ كيلومتراً فلم يكن بوسع الحكومة المركزية أن تسيطر كل السيطرة على أنحاء البلاد لو لم يقدم النيل هذه الوسيلة السهلة للمواصلات .

وهكذا عرف المصريون السفن منذ فجر تاريخهم ، يتخذونها من سيقان البردى ثم عرفوها طوال تاريخهم تجرى صاعدة وهابطة على صفحة النهر ، تصل أجزاء الوادى وتمكن الحكومات من بسط سيطرتها على انحاء البلاد .

والتاريخ المصرى ملىء بالأمثلة على دور النيل فى هذا الجانب . ففى لوحة نعرمر [صورة رقم ٤ ، ٥]تظهر سفينة يبدو أنها أحضرته إلى المكان الذى يرقد فيه أعدائه مقطعي الرؤوس [٥] ومن لوحة لموظف عظيم يدعى تثى عاصر الملك واح عنخ انتف [٦] من ملوك الأسرة الحادية عشر يقول فيها «لقد صنعت سفينة للملك وقارباً لأرافق فيه سيدى عندما كان يجرى الحساب مع العظماء وفى أى مناسبة لجلب شىء ما ، أو إرسال شىء ما» .

وحفلت مقبرة النبيل مكت رع [٧] الذى كان موظفاً كبيراً فى عهد الدولة الوسطى بنماذج سفنه المختلفة التى كان فى حاجة ماسة إليها للقيام بأسفاره فى النيل ليقوم بما عليه من واجبات فى إدارة البلاد . [صورة رقم ٦]

وفى الدولة الحديثة نرى الملك أمنحتب الأول يترك البئر العلوية (الجندل الثانى غالباً) ويتجه الى الشمال عندما وصلته أخبار تحركات الليبيين ، وكان أحمس بن أبانا يقود سفينته [٨]

وحفلت مقبرة رخميرع [٩] وزير تحتمس الثالث بمنظرين عظيمين للسفينة التى ركبها فى سياحته لمقابلة الفرعون .

وهكذا قدم النيل للأمن الداخلى ، حكومة متحدة ووسيلة سهلة للمواصلات تتمكن بها من السيطرة على البلاد ، مما حدا بشارل بوريه أن يقول فى كتابه عن الملاحة المصرية «ان عددا عظيما من المسائل السياسية والاجتماعية والدينية ، التى كانت تظهر كل لحظة حسن سير الادارة فى هذه البلاد الغريبة التى خلقها نهر النيل ، كان ولابد أن يتوقف نجاحها من قريب أو بعيد على القارب والسفينة» .

وإذا تركنا النيل لننظر الى الطبيعة المصرية من زاوية أخرى لوجدنا أنها تنقسم الى قسمين رئيسين الوادى ، والصحارى على الجانبين .

وقد حاولت الحكومات المركزية منذ بداية الأسرات ، أن تفرض سيطرتها الكاملة على الصحراء فى الشرق والغرب ، لتتمكن من استغلال مناجمها ومحاجرها ، ولكن مناطق الصحراء ظلت دائما مصدر خطر دائم يهدد الأمن الداخلى ، ولم يكن بوسع بعثات التعدين أن تصل

الى هذه المناطق وأن تؤدى عملها الا تحت حراسة مشددة ، ويرجع ذلك الى الطبيعة الجغرافية للبلاد[١٠] .

فاذا كان طول القطر المصرى من الشمال إلى الجنوب ١٠٧٣ كيلومتراً ، فان عرضه من الشرق إلى الغرب ١٢٢٦ كيلومتراً واذا كان النيل قدم الوسيلة السهلة للمواصلات التى تمكن الحكومة المركزية من السيطرة على الوادى شمالاً وجنوباً ، فإنه ليس هناك ثمة وسيلة مشابهة تربط الحكومة المركزية بالشرق والغرب . ويزيد من صعوبة الأمن طبيعة هذه المناطق الصحراوية الجبلية .

وهكذا فإن الصحارى على الجانبين بحكم بعدها عن الحكومة المركزية فى العاصمة ولعدم وجود وسيلة سهلة للمواصلات ، ظلت دائما مصدر خطر دائم يهدد الأمن الداخلى على النحو الذى سنبينه فيما بعد .

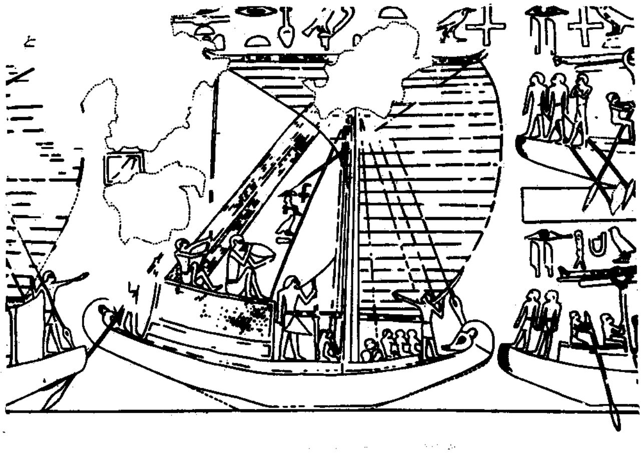

المبحث الثانى

عوامل إجتماعية

لعبت العوامل الاجتماعية دورا هاما فى حفظ الأمن فى مصر القديمة ، ولعل هذا ما دعا المؤرخ الكبير «ول ديورانت» أن يقول :

«ليس فى العالم كله أمة غير مصر ، اذا استثنينا الأمة الصينية ، جرؤت أن تعتمد كل هذا الاعتماد على العوامل النفسية لحفظ الأمن فى البلاد» (١١) .

وهذه العوامل التى ساعدت على حفظ الأمن فى البلاد تتداخل بعضها مع بعض حتى يصعب فصلها أحيانا ، على أننا يمكننا أن نجملها فى نقاط ثلاث :-

أولا : الملكية الالهية . **ثانيا** : الوازع الدينى . **ثالثا** : فكرة الماعت .

أولا : الملكية الالهية

كان الملك فى مصر القديمة يعتبر إلها ، وهو فى نفس الوقت الصلة المباشرة بين الآلهة والناس فهو الابن الحقيقى للاله رع فى حياته فاذا ما مات صار الاله أوزيريس [صورة رقم ٧] فاذاً كانت مصر تُحكم بواسطة إله ، وليس بواسطة إنسان (١٢) .

ويشير مانيتون (١٣) إلى أن الأسرة الأولى (١٤) من الملوك البشريين الذين قدمهم فى قائمته ، ليست أول أسرة بسطت سلطانها على مصر لأن أسرتان سبقتها . أولهما أسرة من الآلهة ، ليس للزمن بالنسبة لحكمهم كآلهة قياس محدود إذ جلس أطولهم حكما وهو «هيفاستوس» «بتاح» على العرش ٩٠٠ سنة . وعدد ملوك هذه الأسرة ستة بلغ مجموع حكمهم ١١٩٨٥ سنة ، أما الأسرة الثانية التى أطلق عليها إسم «أنصاف الآلهة الموتى» فكان عدد ملوكها عشرة حكموا ٨٥٨ سنة .

وقد ترك أوزيريس [١٥] آخر الآلهة العظام الملك لابنه حورس [صورة رقم ٨] والذى انحدر منه كل ملوك مصر ، وبناء على ذلك يكون حق الملك قائما على طبيعته الالهية التى كانت تنتقل مع الدم .

وفى عهد الدولة القديمة إستغل الملوك هذه النظرية إلى أقصى حدودها ، فجعلوا الناس يلقبون الملك بالاله العظيم أو الاله فقط وصاروا يتجنبون إسمه شخصياً إذا أرادوا الاشارة إليه تبجيلاً وتقديساً ، فكان الحاجب الملكى مثلا يستعمل ضمير الغائب فيقول «هو» إذا أراد الملك أو «لنبسط له الأمر» بمعنى لنخبر جلالته بالأمر [١٦] .

ويظهر لنا مبلغ قداسة الملك فى نظر أفراد رعيته فى تلك الأهرامات الضخمة [صورة رقم ٩] ، التى شيدت لمجرد أن تكون قبرا له [١٧] .

وقد ظل الملوك يعتبرون أبناءً للآلهة حتى نهاية التاريخ المصرى ، وتجسدت فى عهد الدولة الحديثة فكرة بنوتهم وخلافتهم للاله آمون رع ، بل أكثر من ذلك تكررت فكرة تدخل الاله المباشر فى إنجاب الجالس على العرش كما تمثلها نقوش معبد الدير البحرى بالنسبة للملكة حتشبسوت ونقوش معبد الاقصر بالنسبة للملك أمنحتب الثالث [١٨] .

وقد كان الفرعون فى مصر القديمة هو الدولة ، أى كان مسئولا عن كل عمل حكومى فى مصر ، فهو الذى يقود الجيش والشرطة ، وهو الذى يحدد الضرائب ويدير التجارة ويقود بعثات التعدين أحيانا . ونحو القوانين التى وصلتنا من مصر القديمة نرى صدى لارادة الفرعون واضحة فنجد أن قانون حور محب على سبيل المثال يبدأ «بأن الملك نفسه قد قال» .

وهكذا ساعدت فكرة ألوهية الملك على اقرار النظام والأمن فى البلاد ، لأنها مكنت الفرعون من بسط سيطرته على أفراد رعيته ، ذلك أن مخالفة أوامره ، والاعتداء على النظام الذى فرضه فى البلاد ، إنما هو معارضة للاله فى شخص ابنه الفرعون وتطاول على الدين الذى يمثل أقدس جانب فى تفكير المصرى القديم .

وبصفة عامة يمكننا القول بان النظام الملكى الالهى استطاع ان يدعم سلطة الفرعون ويكسبها جانبا من القداسة الضرورية فى نظر المصرى القديم . ولهذا كان الملوك الذين تحوم حول شرعيتهم الشكوك بعد أن يصلوا إلى العرش ، يحاولون تدعيم سلطتهم الملكية بالحق الالهى بطريقة ما .

وبالرغم من كل ذلك فان الملك كان يعتمد أساساً فى سيطرته على قوة الجيش والشرطة ، وكان يسانده بعد ذلك الحق الالهى ، فقد كان بوسع الشخص القوى أن يصل إلى العرش أولا ثم بعد أن تستقر له السلطة يحاول ان يدعمها ، اما بافتراض ان إله الشمس ذاته نزل من السماء وانسل بنفسه الجالس على العرش ، كما حدث «لأوسر كاف» مؤسس الأسرة الخامسة [١٩] ، واما بالبنوءة كما فعل الملك أمنمحات الأول [صورة رقم١٠] [٢٠] وقد بلغت الملكة حتشبسوت العرش ثم أعلنت نفسها إبنة لآمون رع [٢١] بعد أن اصبح زمام الحكم فى يدها .

فألوهية الملك كانت دائماً سنداً للفرعون القوى ، ولكنها لم تستطع أن تقدم شيئاً للحاكم الضعيف ، فالقوة دائماً على استعداد لتمحو اقوى الحقائق .

ثانيا : الوازع الدينى

كان لدى المصريين القدماء وازعا دينيا يردعهم عن ارتكاب الجرائم والآثام التى تهدد أمن المجتمع وسلامته ويتمثل لنا هذا الوازع واضحا فى إيمانهم بالمحاكمة بعد الموت .

وقد تطور الاعتقاد بالمسئولية الخلقية فى الحياة الأخرى ، ففى عهد بناة الأهرام كان يتمثل هذا الاعتقاد فى تعرض المتوفى للمثول أمام إله الشمس بوصفه قاضيا ، وذلك استجابة لطلب انسان قد اخطأ الميت فى حقه ، ليحاسب حسابا شاملا . وعلى هذا فإذا لم يُطلب الانسان للمحاكمة بهذه الصفة فمن الجائز الا يتعرض لأى حساب فى الآخرة .

وبمضى الوقت اتسع نطاق هذا الاحساس الدينى ففى قبور الأسرة السادسة يظهر بوضوح لون جديد من ألوان الكلام أشبه بالبراءة ، فيه تعديد لما قدم الميت فى حياته من خير فقد جاء فى نص على جدران مقبرة حرخوف على لسانه : «لم أنطق بالشر ولم أغلب القوى على الآخرين ، لانى كنت التمس أن اكون سليما فى حضرة الاله الاعظم» .

وفى العصر الاقطاعى نرى خيتى الثالث يقول لولده مر يكارع [٢٢] «على الانسان أن يعمل كل ما يريد على ألا ينسى الحساب الأخير عندما يشرف تحوت إله الحكمة على محاكمة .... يعيش الانسان بعد الموت وتكون أعماله بجانبه مكدسة . وسيبقى هناك أبد الآبدين وأنه لأحمق من يستخف بهم (أى قضاة محكمة العدل) اما الانسان الذى يدخل عليهم دون أن يرتكب خطيئة ، فإنه يظل هناك كإله» .

ولعل هذا الاحساس هو ماحدا بالفلاح الفصيح [٢٣] أن يقول لمدير البيت العظيم فى ختام شكواه التاسعة «إنى ضرعت اليك وما أراك تنصت وسأذهب إلى أنوبيس [٢٤] وأشكوك اليه» .

وفى عهد الدولة الوسطى أخذت مصائر الاموات ترتبط أشد الارتباط بمصير أوزيريس [٢٥] وإلى ساحته ينتهى الصائرون إلى ذلك العالم المجهول ، فيساقون إلى مقامه ومن حوله ٤٢ قاضيا [صورة رقم ١١] وهناك يأخذ الميت فى تبرئة نفسه من كبائر الاثم المعروفة فهم يرون القتل والسرقة وأكل مال اليتيم والقاصر والكذب والخداع وشهادة الزور والزنا وهتك العرض ونقل الحدود والاعتداء على أوقاف المعابد وانتهاك حرمات الموتى والتحدث عن الفرعون بغير الخير ، وكل هذا من كبائر الاثم بينما يوزن القلب نظير رمز يمثل الصدق . وبعد محاكمة أوزير للمتوفى يعلن أنه برىء (حرفيا صادق الصوت «ماع خرو») . وهذا النعت الذى يلحق بإسم المتوفى على الآثار الجنائزية إلى نهاية التاريخ المصرى ظهر لأول مرة فى عهد الملك منتوحتب الثالث [٢٦] وبظهور الدولة الحديثة نجد أن الأدلة على المسؤلية الخلقية فى العالم الآخر تزداد فى أهميتها وقيمتها وقد وصلنا عن طريق كتاب الموتى ثلاثة فصول مختلفة عن الحساب فى الآخرة . عنوان الفصل الأول «دخول قاعة الصدق» وهو يحتوى على ما يقوله المتوفى عند دخوله قاعة الصدق أمام الاله ... («إنى أعرف إسمك وإسم ال ٤٢ إلها الذين معك فى قاعة الصدق هذه وهم الذين يعيشون على الخاطئين ويلتهمون دمائهم ...» ثم يأخذ الميت فى إنكار الجرائم فيقول «لم أرتكب القتل ولم آمر به ... لم أغتصب طعاماً من قربان الموتى ... لم أرتكب الزنا ... لم أخسر مكيال الحبوب ... لم أنقص المقياس ... لم أثقل وزن الموازين ... لم أستولى على قطعان هبات المعبد») .

وحينما ننتقل إلى الفصل الثانى الذى يمثل الحساب أمام القاضى أوزير الذى يساعده ٤٢ إلهاً قاضياً لمحاسبة المتوفى ، ويبرىء المتوفى نفسه من الكبائر أيضا فيقول :-
«إنى لم أقتل رجالاً ... إنى لم أسرق ... ولم تكن ثروتى عظيمة إلا من ملكى الخاص ... إنى لم أغتصب طعاماً ... إنى لم أبعث الخوف ...إنى لم أزك الشجار ...» .

أما الفصل الثالث فهو يصور لنا الحساب فى الآخرة عن طريق الموازين إذ نجد الميزان [٢٧] فى يد الاله أنوبيس فى حين يقف خلفه الاله تحوت [٢٨] كاتب الآلهة وفى يده القلم والقرطاس يسجل النتيجة .

والواقع أن هذه المحاكمة بعد أوائل الدولة الحديثة لم تقتصر على حصر تفصيلى لكل المخالفات الخلقية ، انما صارت امتحانا خلقياً قاسياً ، بل معياراً شاملاً للقيمة الخلقية لحياة كل إنسان . وأصبح الشعور بمثل هذه المحاكمة وازعاً خلقياً كما أراده أولئك الحكماء الذين خلقوه وقد ظهرت أهميته فيما خلفه أولئك القدماء من آثار .

فهذا رمنوكا كبير كهنة منكاورع [٢٩] يترك لنا عتبة باب علوية نقش عليها «لم يحدث قط أننى اغتصبت أى شيء من أى إنسان لهذا القبر ، لانى أذكر يوم الحساب فى الغرب» [٣٠] والفلاح الفصيح يقول لمدير البيت العظيم «إحذر إن الأبدية تقترب» وهذا رخميرع يقول على نقوش مقبرته رقم ١٠٠ بجبانة شيخ عبد القرنة «إسمعوا أنتم يامن فى الوجود ، إن الاله يعلم مافى الأنفس – وكل ما فيها من أعضاء منشورة أمامه» .

ثالثا : فكرة الماعت

كان لدى المصريون القدماء وازع خلقى يردعهم عن إرتكاب الجريمة والعبث بنظام المجتمع ، وتدل المصادر التى وصلت إلينا على أن الوازع الخلقى شعر به المصريون القدماء قبل أن يوجد الشعور به فى أى مكان آخر ، فإن أقدم بحث عرف عن الحق والباطل عثر عليه فى ثنايا مسرحية منفية يرجع تاريخها إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد وقد جاء فى هذه المسرحية فيما يتعلق بالنظام الدنيوى [٣١] .

«الذى يفعل ماهو محبوب ، والذى يفعل ماهو مكروه ، فإن الحياة تعطى للمسالم ويحيق الموت بالمجرم» مما جعل برستد يؤكد وجود قانون فى ذلك الوقت يقرر إحاقة الموت بالمسيىء ومنح الحياة للمسالم .

وقد تصور المصريون عهدا مثاليا ، صوروه لنا فى متون الأهرام [٣٢] ، عهدا ممعنا فى القدم يرجع إلى أول تاريخهم إختفت فيه الخطيئة والشجار وعم المجتمع السلام الكامل .

«أفراد تلك الجماعة الأولى من طائفة الأبرياء الذين ولدوا قبل ان يوجد الشجار والصوت والسب والنزاع والتشويه المروع» .

والواقع ان ماعت لعبت دورها فى التاريخ المصرى منذ القدم وقد عرفها المصريون على أنها ذلك القانون الذى سنه الاله رع ، أول من حكم الأرض كما تحدثنا بذلك الأساطير المصرية ، وقوامه العدالة والصدق والحق ، وكانت تُمثل غالبا على هيئة امرأة [صورة رقم ١٢] تضع على رأسها ريشة يرمز بها للعدالة .

وقد ظلت ماعت طوال التاريخ المصرى وازعا خلقيا قويا يدفع الناس إلى الفضيلة والعدالة والحق ، يتمثل لنا أثرها فيما خلفه أولئك القدماء من كتابات يؤكدون فيها مرارا وتكرارا براءتهم من عمل السوء .

وجاء فى نقوش أحد الأفراد من عهد الدولة القديمة . على لسانه قائلا : «لم أعاقب قط فى حياتى أمام رجال الحكومة ولم أسرق شيئا من آخر ، بل فعلت كل ما يرضى غيرى» [٣٣] .

وهذا بتاح حتب [٣٤] يذكر فى تعاليمه لابنه «لا تحاول أن تخدع الناس لأن ذلك لا نتيجة له» .

ومن لوحة لموظف عظيم يدعى ثتى عاصر الملك واح عنخ انتف [٣٥] من ملوك الأسرة الحادية عشر يقول فيها «إذا وليت عملا مثل تحقيق شكاية أو فحص ملتمس إنسان كنت عادلا ولم اعتد أن أتخطى التعليمات التى فرضت على ، ولا أن أضع شيئا مكان آخر» .

ونجد «باحرى» من رجال الملك تحتمس الأول [٣٦] يذكر سلوكه فى الحياة فى نقش على لوحته الجنائزية فيقول «لم أنطق كذبا على أى انسان آخر لانى أعرف الاله الذى فى جوف الناس ، وإنى أعرفه وأفرق بين هذا وذاك ، الخير والشر ، وأنجز الأمور على حسب الأوامر» .

ومن نقش على تمثال عثر عليه بترى فى منف «لأمنحتب بن حابو» [٣٧] وهو من كبار الموظفين فى عهد الملك أمنحتب الثالث ، جاء فيه متحدثا من نفسه «لم أقصى رجلا عن مرتبته ، ولم أغش انسانا آخر فى ممتلكاته ، ولم أغتصب أملاك الآخرين بالخداع ، وقد كنت أمقت الغش» وهذا سماست من كبار موظفى عهد الملك رمسيس الثانى ومرنبتاح يذكر على تمثاله أنه «كان رجلا طيبا لم يأت السوء فى حياته ولم يرتكب خطيئة مع أى إنسان» .

وحتى الملوك كانوا يبرئون أنفسهم من ارتكاب السوء فقد جاء فى إحدى متون الأهرام أنه «لا توجد سيئة اقترفها الملك ببيى» .

وتطورت ماعت بالتدريج ، فلم تعد تدل على معنى العدل أو الصدق أو الحق فقط بل أصبحت أيضا تعبر عن النظام الخلقى للعالم وصار هذا النظام وحكومة فرعون يدلان على معنى واحد ، وكثيرا ما نجد فى النصوص أن ماعت هى الشىء الذى يعتبره الفرعون شخصا يشد أزره أمام الفوضى والظلم والخداع .

تلك هى العوامل الثلاثة التى ساعدت على حفظ الأمن فى مصر القديمة ، ونحن إذا تحدثنا عنها منفردة ، فلا يعنى ذلك أن كلا منها كان مستقلا بذاته لا يتصل بالآخر ، فالواقع أن هناك رباط وثيق يربط هذه العوامل الثلاثة بعضها البعض ويجعلها تتعاون معا لتوفير الأمن فى البلاد .

فماعت فى معناها الواسع هى مظهر العالم الذى اختارته الآلهة ، ومادام هذا العالم لا يستطيع أن يخلد فإنه يستطيع فقط أن يضبط نفسه فى رباط لا يتوقف . ان ماعت تعنى احترام النظام الأرضى الذى وضعته الآلهة فهى الحق والعدالة . وهذه المخلوقات العديدة تتطلب مرشدا يحدد لكل منها دوره وحدوده ، أما مانح هذا النظام العالمى والراعى للرجال ، فهو الفرعون .

وهكذا تتصل ماعت بالناحية الدينية وبالنظام الملكى . لأن ماعت هى إبنة رع وزوجة تحوت ، والفرعون أيضا هو ابن رع . وقد كانت رغبة الاله رع أن يسود السلام العالم وأن تختفى منه الخطيئة والشجار . فقد وصلنا من متون التوابيت (٣٨) فى العصر الاقطاعى رسالة هامة لاله الشمس جاء فيها :

«لقد خلقت كل رجل مثل أخيه ، ولم آمرهم بعمل السوء . ولكن قلوبهم هى التى أفسدت ماقلت» .

فإرادة الاله أن يسود السلام والأمن بين المخلوقات ، وعلى الفرعون أن يحمل هذه الارادة إلى التنفيذ بما لديه من قدرة لاحد لها ، وهى التى تتميز بها أيضا الآلهة . بينما تقف ماعت مثلا أعلى لما ينبغى أن يكون عليه نظام هذا العالم .

وعلى كلٍ فقد ظلت هذه العوامل الثلاثة سندا قويا لنظام المجتمع وأمنه . ومن خلال التاريخ المصرى ، يبدو دورها واضحا لنا . ففى نهاية الدولة القديمة ، خلال الثورة الاجتماعية (٣٩) ، ضاعت الماعت ولم يعد لها وجود إلا فى أذهان الفلاسفة والحكماء . وانهارت الهالة المقدسة التى احاطت بالفرعون وفقد مكانته الالهية فى نظر أفراد رعيته ...وكفر الناس بالدين وأقبلوا على الدنيا لا يخافون الحساب ولا يوم الحساب ، فماذا كانت نتيجة انهيار تلك القيم ..؟

لقد عرفت مصر عهدا من الفوضى واختلال الأمن وانهيار النظام وتفشى الاعتداء على الأحياء والأموات ، بصورة لم تشهد لها البلاد مثيلا من قبل أو بعد كما سنبين ذلك فى موضعه .

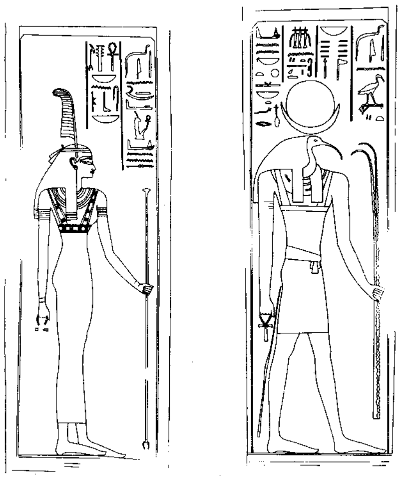

الجزء الأول
الأمن الداخلى فى مصر القديمة

ويتضمن الفصول التالية :

الفصل الأول : الأمن الداخلى من بداية الأسرات حتى غزو الهكسوس .
الفصل الثانى : الأمن الداخلى خلال الدولة الحديثة .

الفصل الأول

الأمن الداخلى فى بداية الأسرات حتى غزو الهكسوس

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الأمن الداخلى فى العصر العتيق .
المبحث الثانى : الأمن الداخلى فى الدولة القديمة .
المبحث الثالث : الثورة الاجتماعية وسوء الحياة الأمنية .
المبحث الرابع : عصر الاقطاع الأول .
المبحث الخامس : الدولة الوسطى وعودة الأمن .
المبحث السادس : غزو الهكسوس والفترة التى سبقته .

المبحث الأول

الأمن الداخلى فى العصر العتيق

كانت الوحدة فى ذلك الوقت فى أول عهدها [١] ، وكانت النظم فى بداية نضجها ولذا كان من الطبيعى أن تضطرب الامور بعض الشىء ، وتظهر الفتن السياسية والدينية بين الحين والحين ، قبل أن تصل البلاد إلى كمال نضجها فى ظل اتحادها وتتمتع بالاستقرار الذى عرفته خلال الدولة القديمة .

لم تكن وحدة القطرين أمرا هينا سهلا ، فبذور الانفصال ، العميقة الجذور ، لا يمكن أن يقضى عليها مجرد الانتصار الحربى ، وهكذا لم تكد تتم الوحدة حتى نجد مينا [صورة رقم ١٣] يشيد منف ، ويحيطها بسور ضخم (السور الابيض) لحمايتها من بعض الثورات التى كانت تقوم على الأرجح بين سكان مصر السفلى المغلوبين على أمرهم . وربما استمرت القلاقل خلال الأسرة الأولى لاننا نجد أول ملوك الأسرة الثانية يتخذ لنفسه اسم «حتب سخموى» ومعناه مهدىء القوتين [٢] ، ثم نعرف بعد ذلك ان «نى – نتر» من ملوك الأسرة الثانية حارب مدينة «شم رع»ومدينة بيت الشمال بالوجه البحرى [٣] . ويزيد من اضطراب الامور فى هذه الفترة حدوث فتنة دينية كبرى فى النصف الثانى من الأسرة الثانية ، تتمثل فى رد فعل شديد ضد نفوذ الاله حورس اذ نرى الملك «برى إب سن» خع سخم [صورة رقم ١٤] يحذف إسم حورس من ألقابه ، ويضع بدلا منه منافسه القديم ست ، بل يذهب أبعد من ذلك فيضع ست فوق اسمه المكتوب داخل رسم يمثل واجهة القصر ، ويعلن انه هو رمزه وانه تمثل فيه . ولكن هذا التغيير لم يدم بعد وفاته لان خلفه على العرش خع سخموى عاد إلى عبادة حورس وتمجيده مرة أخرى [٤] .

وانتهى هذا الصراع الدينى نتيجة لجهود خع سخموى الذى اتخذ لنفسه شعار الالهين حورس وست مجتمعين فاستطاع بذلك أن يرد إلى البلاد نعمة الهدوء والاستقرار .

ومن المؤكد أن هذه الانقلابات الدينية لم تتم فى بساطة بل انها هزت الأمن الداخلى ، فمن الواضح أن اضطرابات كثيرة وقعت نتيجة لهذه الحركات الثورية ، وان كان من المستحيل أن نحدد ماهيتها بالضبط .

ومن حسنات ملوك هذه الفترة ، جهودهم لبسط سيطرتهم على الصحراء الشرقية وفرض الأمن فيها واستغلال مناجمها ومحاجرها . فقد ذكر لنا حجر بالرمو تحت حكم الملك جر ضرب «الستيو» وهو تعبير جغرافى يمكن ان نرده إلى آسيا . وتحت حكم الملك «عدج ايب» من الأسرة الأولى أيضا نقرأ عن ضرب «الأيونتيو» (٥) وهو تعبير يشير إلى أهالى الشمال الشرقى من مصر ولدينا لوحة نادرة تمثل الملك دن يقتل آسيويا يرى كأنه من سكان الصحراء (أهالى شبه جزيرة سيناء) .

وقد تابع الملك سمرخت جهود أسلافه فحمل على بدو الصحراء الشرقية ، وظفر بهم وسجل أخبار ذلك على صخور وادى مغارة فى سيناء (٧) .

ويبدو أن جهود ملوك هذه الفترة قد وفقت فى فرض سيطرتها على الصحراء فى الشرق إلى حد بعيد . فقد عثر على إسم الملك «واجيت» مكتوبا على أحد الدروب التى تربط بين إدفو والبحر الأحمر مما يدل على اهتمامه بدروب الصحراء وتأمين التجارة فيها ويظهر أن سمرخت أول من نظم تعدين النحاس على نطاق واسع ، وعنى بتأمين الطريق إلى المناجم .

وليس من شك أن استخدام الطرق الصحراوية واستغلال مناجم الصحراء فى هذا الوقت ، دليل على قدرة الحكومة القائمة على فرض سيطرتها ، ونشر الأمن فى الصحراء .

فاذا أردنا أن نقول كلمة عامة عن الأمن الداخلى فى ذلك الوقت قلنا ان الحكومة القائمة كانت جاهدة لبسط الأمن فى البلاد ، وأن جهودها كانت تتردد بين النجاح والاخفاق ولكنها مع ذلك كانت تسير دائما بخطى واسعة نحو الأمام ، تنشد أمنا أفضلا ونظاما اكملا ففى عهد الملك دن [صورة رقم ١٥] (٨) نلحظ كثرة الموظفين واختلاف وظائفهم مما يدل على أن النظام الادارى يسير فى طريقه نحو الاستقرار . ولكن هذه الهزات التى عرضت الأمن للاضطراب كانت طبيعية لأن الوحدة فى بدايتها والنظم فى أول تطورها .

المبحث الثانى

الأمن الداخلى فى الدولة القديمة

ما أن جاءت الأسرة الثالثة [1] حتى نرى نظما ناضجة وحكومة مستقرة على درجة كافية من الأمن ، وقد بذل ملوك الدولة القديمة جهودهم للسيطرة على البلاد والقضاء على عناصر الاضطراب والفوضى . وفى سبيل ذلك قسم الملك زوسر [2] [صورة رقم ١٦] حدود البلاد إلى مناطق أطلق على كل منها أبواب المملكة ، وجعل فى كل منها حامية ، وقد نصب على كل من هذه المناطق حاكم خاص يلقب «سشم تا» ، [3] وكانت فى يد هذا الحاكم إدارة الشرطة فى منطقته ولذا كان مسئولا عن النظام والأمن فيها .

وتدل المعلومات المستقاه من وثائق الأسرة الخامسة انه كانت توجد فرق تتألف منها حاميات ثابتة داخل البلاد ، وكانت تحت تصرف السلطات المدنية لضمان حفظ النظام وتنفيذ القانون . كما نعلم بوجود حاميات من جنود نوبيين تؤلف قوة من رجال الشرطة ، وُكل اليها المحافظة على الأمن فى مناطق الحدود والمقاطعات وحراسة الجبانات والأهرام الملكية . [صورة رقم ١٧]

وخلال الدولة القديمة تتمثل لنا الملكية كينبوع أساسى للحياة فى مظاهرها المختلفة طالما كان الفرعون قويا استتب الأمن واستقر النظام . ويمثل لنا عهد خوفو قمة السلطة المركزية وسيطرة كل السيطرة على أنحاء البلاد ، وكما يقول برستد [4] «يجب علينا الا ننظر للهرم [صورة رقم ١٨] من وجهة ضخامة بنائه ، بل علينا أيضا أن نتخذه مثلا ظاهرا لانتقال القطر من الوحشية إلى النظام والمدنية ولوجود حكومة مركزية قوية تسوس البلاد فى نظام دقيق تحت ادارة شخص واحد» . ولكن هذه السلطة القوية التى تمثلت فى خوفو اخذت تتسرب تدريجيا من يد خلفائه ، ويمكننا ان نلحظ ذلك اذا تتبعنا أهرامات ذلك العهد حتى نصل إلى اهرامات الاسرة الخامسة التى نرى فيها صغر الحجم ورداءة البناء بشكل واضح [5] . فنستنتج أن الحكومة المركزية أخذت تضعف وتفقد تدريجيا سيطرتها على موارد البلاد الاقتصادية والبشرية .

ويمكننا أن نرد عوامل الضعف التى بدأت تتغلغل فى النصف الثانى من الدولة القديمة إلى ازدياد سلطة حكام الاقاليم ووراثة أبنائهم لمراكزهم بعد أن كانوا خاضعين لنظام النقل من مكان إلى اخر ، وكان تمركزهم عند موتهم حول مقبرة الملك . هذا بالاضافة إلى ما أغدقه ملوك الاسرة الخامسة على المعابد ، وما منحه كبار الموظفين من مساحات كبيرة من الأرض معفاة من الضرائب مما قلل دخل الحكومة المركزية .

وقد تتابعت جهود ملوك الدولة القديمة لفرض سيطرتهم على الصحراء الشرقية ، وعلى الأخص سيناء التى كانت منبعا فياضا لاستخراج النحاس والفيروز وقد وجدت بعض النقوش تشير إلى انتصار زوسر [صورة رقم ١٩] على بدو سيناء فى وادى مغارة ، [٦] كما وجد اسم خلفه فى تلك الجهة أيضا . وقد حفظت لنا صخور وادى مغارة ثلاثة نقوش تسجل حملات الملك سنفرو فى سيناء كما وجد عليها لوحتان تحملان اسم خوفو وصورته وهو يهوى بدبوسه على رأس أحد رؤساء البدو وقد عثر للملك ساحورع [صورة رقم ٢٠] على لوحة فى سيناء تمثله وعلى رأسه تاج الوجه القبلى وهو يضرب الآسيويين كما نعلم ان الملك منكاو حور أرسل حمله إلى سيناء . [٧]

ولم يقتصر الأمر على مجرد الحملات الحربية وماتحدثه من أثر مؤقت بل أخذ المصريون فى بناء الحصون فى منطقة الصحراء الشرقية فنجد الملك زوسر يبنى الحصن المعروف ببوابة ايمحتب ليأمن شر البدو الساكنين شرق برزخ السويس [٨] كما أقام التحصينات لتأمين حدود مصر الشرقية حتى اعتبرته الأجيال القادمة الها حاميا للمنطقة إلى جانب الآلهة حتحور والالهة سوبد [٩] ،وقد أقيمت الحصون فى وادى مغارة ولا تزال على احدى التلال فى وسط هذا الوادى أكواخ العمال من الحجر وحصن صغير لحماية المصريين الذين كانوا يقيمون هناك من غارات بدو سيناء .

وليس من شك أن استمرار الحملات الحربية إلى منطقة الصحراء الشرقية وتتابعها على الصورة السابقة ، واقامة الحصون فى هذه المنطقة ، دليل على اصرار الحكومة المركزية على بسط سيطرتها وفرض الأمن فى هذه المناطق . وهو دليل أيضا على ان منطقة الصحراء الشرقية كانت دائما معرضة للاضطرابات واختلال الأمن فيها . ورغم تلك الجهود المتتابعة نسمع بعد ذلك أن الملك بيبى الثانى بعث بأمير الفنتين إلى شاطىء البحر الاحمر ليعود بجثة موظف عظيم كان يقوم ببناء سفينة لتقوم برحلة إلى بلاد بنت ، غير أن البدو الساميين قتلوه هو وجنوده [١٠] .

فاذا أردنا تكوين فكرة عامة عن الأمن الداخلى خلال الدولة القديمة فيمكن القول بأنه بدأ بداية قوية بواسطة ملوك اقوياء استطاعوا أن يفرضوا السيطرة على البلاد ، وأن تصل فى عهدهم إلى قمة النظام والأمن . ثم تطرق اليهم الضعف شيئا فشيئا واخذت السلطة تتسرب من أيديهم لتستقر فى أيدى حكام الاقاليم . وتبدو الدولة فى أواخر عهدها تلهث من الاعياء بعد الشوط الطويل الذى قطعته .

ويتسرب الانحلال والضعف والفوضى إلى الملكية ، وهى التى كانت المحور الذى يدور حوله نظام الدولة ، إذ تصل الينا أنباء بأن الملك تيتى الاول مؤسس الأسرة السادسة مات مقتولا بأيدى حراسه ونعرف أن عصره كان مليئا بالاضطرابات والفتن التى كان كهنة الشمس وراءها [١١] . كما نجد فى نقوش القائد «ونى» اشارة إلى ان الملك بيبى الأول [صورة رقم ٢١] أمر بمحاكمة زوجته الملكة امتس أمام محكمة خاصة [١٢] وهذه الحوادث وان كانت فردية الا أنها تلقى لنا ضوءا عن اضطرابات الامور واختلال الأمن وانهيار النظم .

وبنهاية الأسرة السادسة تبلغ الدولة القديمة نهايتها ، وتلتقى بمصيرها التعس فى نهاية دامية ، وكان عالم الآثار الألمانى ارمان على حق حين صورها قائلا «فى اواخر الأسرة السادسة خيم الظلام فجأة على مصر ، وكأن كارثة حلت بها .

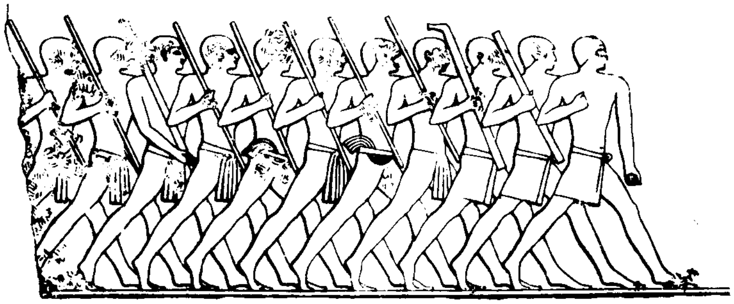

المبحث الثالث

الثورة الاجتماعية وسوء الحياة الأمنية

وصلت انباء هذا العصر من بردية الحكيم «ايبو – ور» المنقولة عن أصل كتب فى اواخر الأسرة السادسة [١] ، ومن بردية «نفرتى» ومن المرجح انها كتبت فى أوائل الأسرة الثانية عشر [٢] .

يقول ايبو – ور فى وصف حالة البلاد فى ذلك الوقت :

«لماذا اصبحت الطرق غير محروسة ، ويختبىء الناس بين الأشجار حتى يأتى المسافر فيأخذون منه أحماله ويسرقون ما معه ....؟ ليت ذلك يكون نهاية العالم فلا حمل ولا ولاده .... وبذلك تخلو الأرض من الضجيج والمخاصمات !! اذا خرج ثلاثة رجال إلى الطريق فلا يعود منهم الا اثنان ، والكثيرون فى العدد يقتلون الذين أقل منهم عددا .... لقد امتلأت الأرض بالعصابات ، واغتصب الجبناء الرجال الشجعان» . ويؤيد نفرتى ذلك فيقول :

«أصبح المالك محتاجا والغريب شبعانا واختفى كل شيء صالح ... وجثم على البلاد الشر ، وتنكر الناس بعضهم لبعض بحيث غدا الأبناء يقتلون آباءهم ويحاربون اخوتهم» .

وقد تركت هذه الفترة صدى حزينا امتد إلى سنوات طويلة ، ظهر اثره فيما سجله الأدب المصرى فى الفترة التالية (العصر الاقطاعى) ، ففى محاورة بين انسان وروحه يتحدث كاتبها «نسو» [٣] عن فساد الناس فيقول :

«لمن أتكلم اليوم ... القلوب تميل إلى اللصوصية ...وكل انسان يغتصب متاع جاره . لمن أتكلم اليوم ... لا يوجد رجل عادل وقد تركت الأرض لاولئك الذين يرتكبون الظلم» .

ولم تقف الفوضى عند حد الأحياء بل تعدتها إلى الأموات ، فقد سرقت المقابر ونهبت الأهرامات ويعتقد عالم الآثار الألمانى شارف ان اعمال التخريب التى وقعت على المعابد الكبرى مثل المعبد الجنائزى للملك خفرع ، حدثت فى هذا الوقت بالذات [٤] . وزاد الأمر سوءا فى

تلك الفترة أن الحدود أصبحت مفتوحة ، وذلك بسبب ضعف السلطات القائمة وعدم قدرتها على صيانة بوابات الحدود ، مما يسر تسرب الأجانب والآسيويين من الشرق يتدفقون على البلاد ، ويزيدون اضطراب الأمور واختلال الأمن .

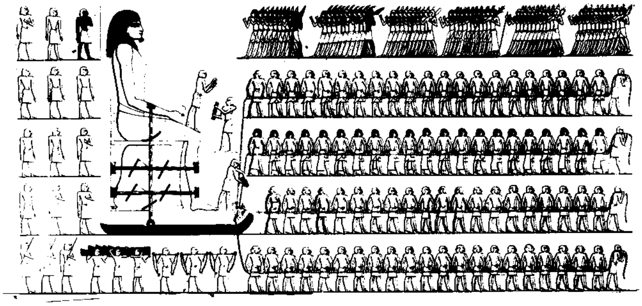

المبحث الرابع

عصر الاقطاع الأول

كانت الأسرة السابعة فى رأى مانيتون ، مكونة من سبعين ملكا حكموا سبعين يوما ولسنا نستطيع أن نتصور أن منطق مانيتون الا أن تكون الفوضى ضربت أطنابها إلى أبعد حد ، وصار الحكم ألعوبة يتسلى بها الطامعون فى العرش . ولدينا من عصر هذه الأسرة مرسوم اصدره الملك «وادج كارع» [٢] يهدد فيه كل من يجروء على تحطيم التماثيل وموائد القربان ومقاصير المقابر والنقوش من أى نوع بأقصى العقوبات . كما نص على حماية القائمين على خدمة المعابد من الاعتداءات التى تقع عليهم ، وفى هذا اشارة إلى حالة الأمن وما كان يحدث للمقابر ورجال الدين من أذى فى ذلك الحين .

ومن عهد الأسرة الثامنة عثر على مقبرة لأحد حكام مقاطعة أدفو فى بلدة المعلة ، يفهم من نقوشها أن حكم الفراعنة فقط لم تقبله المقاطعات الجنوبية الثلاث ، ألفنتين وادفو وهيراكونبوليس [٣] ، بل حارب أهلها من أجل استقلالهم ضد طيبة وقفط فى جانب ملك لم تعرف اسمه على وجه التحقيق . فاذا كان ما استنتجناه صحيحا ، فان البلاد وقعت فريسة للحرب الأهلية فى تلك الفترة .

وفى عهد الأسرتين التاسعة والعاشرة استطاع الملوك الاهناسيون أن يفرضوا بعض السيطرة على البلاد ، بينما ظل أمراء الأقاليم يتوارثون أقاليمهم باذلين جهدهم لحمايتها . فهذا «نحرى» حاكم مقاطعة الارنب [٤] يتحدث عن نفسه قائلا :

«كنت حصنا فى «شديت شا» يأوى إليه كل الناس . وكنت انسانا ترتعد الناس منه وخوفه فى قلوب القوم» . وهذا حاكم أسيوط «تف ايب» يقول «اذا جن الليل مدحنى كل من نام فى الطريق لأنه اصبح آمنا كمن ينام فى بيته ، فهمة عساكرى كانت خير حام له فى

وحدته» .وهذا «خيتى بن تف ايب» أحد امراء أسيوط يذكر على جدران مقبرته أن أحدا لم يقتل ولم يرم عن قوسه وأن الاطفال لم تقتل إلى جانب أمهاتها ولا الفلاحين إلى جانب زوجاتهم» .

ولا تخدعنا هذه الأحاديث عن استتباب الأمن التى يرددها حكام المقاطعات عن حقيقة الأمر ، بل انها على العكس تشير إلى ماقاسته البلاد من فوضى ومارزخت تحته من اضطراب . ونستطيع أن نقول مطمئنين أن فوضى العصر السابق (الثورة الاجتماعية) كانت لا تزال تلقى كثيرا من الظلال ، وأن البلاد فى ذلك الوقت كانت على قدر كبير من الفوضى وإختلال الأمن .

نستنتج من أقوال حكام الأقاليم أنفسهم والتى يتحدثون فيها عن جهودهم لحفظ الأمن كأنما الفوضى هى الأساس واقرار النظام شيئا غريبا نادرا يستحق أن يشار اليه فى نقوش مقابرهم [صورة رقم ٢٢] .

نتبين من انفراد قبور أمراء الاقطاع بصور العساكر وتماثيلهم وأحاديث الفخر بالقوة والفروسية أن القوة كانت ضرورية وأن صوتها كان أعلى من كلمة القانون بل يذكر «خيتى – مرى ايب رع» ذلك صراحة فيقول : «على من يريد أن يعيش آمنا أن يكون مستعدا للحرب» (٥) . ويردد نفس الجملة «خيتى – نب كاورع» فى نصائحه لابنه «مريكارع» ويضيف عليها : «ضاعف عدد رعاياك الذين تتخذ منهم أتباعك ومدهم بالحقول والماشية» .

ولدينا بعض حوادث فردية من هذا العصر توضح لنا مدى اختلال الأمن واضطراب الجهاز الحكومى ، فالفلاح «خونا نوب» خرج بحميره إلى مصر وهى محملة باصناف النباتات والملح والأخشاب . ولكنها أغتصبت منه أمام عينيه . وتعددت شكاواه حتى بلغت تسعا قبل أن يصل إلى حقه ، فيقول فى شكواه الثانية مخاطبا مدبر البيت العظيم :
«فكبار الموظفين يأتون السيئات ، ويسرق القضاه ، والذى ينبغى أن يبين سبيل القانون يأمر بالسرقة» .

المبحث الخامس

الدولة الوسطى وعودة الأمن

وما أن نتقدم إلى الأسرة الحادية عشرة [1] حتى تعرف البلاد شيئا من الأمن والنظام ، ليس كاملا كل الكمال ولكنه على أى حال خطوة لا بأس بها فى سبيل اقرار النظام وتوفير الأمن للافراد ... فهذا الملك إنيوتف الثالث يحدثنا انه فرض سيطرته على منطقة ابيدوس وانه فتح السجون وافرج عن من فيها وقد ذكر لنا الملك منتوحتب الثانى [صورة رقم ٢٣] فى نقوش معبده فى الجبلين انه «اوقع رؤساء الاقليمين واحل النظام فى الجنوب والشمال» [3] .

وتدلنا خطابات حقانخت [4] من هذا العصر على استتباب الامور . فقد كان يملك ضيعات على مقربة من مدينة منف وفى الدلتا . وكان فى امكانه أن يسافر بحرية فى البلاد ، وفى هذا دليل على عودة الأمن والنظام اذا قارنا ذلك بحالة الفوضى التى كانت تسود مصر .

فاذا كانت الأسرة الحادية عشر قد حققت للبلاد شيئا من الأمن [صورة رقم ٢٤] ، فان ذلك كان أمرا نسبيا بالمقارنة إلى العصر السابق . ولكن بصفة عامة لم يكن لمعظم ملوك هذه الأسرة شخصيتهم القوية التى تتطلبها طبيعة الموقف ، ودليلنا على ذلك ظهور تلك النصوص السحرية «نصوص اللعنه» فى تلك الأسرة وتوجيهها ضد بعض المصريين [5] مما يدل على عجز القائمين بالحكم على السيطرة على اعدائهم فاستعانوا بتلك النصوص وقد استغل امنمحات هذا الضعف ، وثار ضد مليكه وربما بعد عدة سنوات من الاضطراب واستطاع ان يضع نفسه على العرش [6] .

كان حكم أمنمحات الأول بداية عهد جديد فى تاريخ البلاد كما أرادت له نبوءة نفرتى التى علقت عليه الكثيرة من الآمال ، وأهمها وأبرزها توفير الأمن واقرار النظام : «أما اولئك الذين يميلون إلى اتيان المعاصى والشرور ، ويرسمون خطط المؤامرات فستخمد أنفاسهم ذعرا منه وسيعود الحق فى النهاية إلى نصابه» [7] .

أدرك امنمحات أن استتباب الأمن فى الدولة وفرض النظام رهين بقدرة الفرعون على فرض سيطرته على انحاء البلاد ، واسترداد سلطانه من أمراء الأقاليم . لقد بدأ الانحلال فى الدولة القديمة منذ تلك اللحظة التى استطاع فيها امراء الأقاليم ان يتحرروا من سيطرة الفرعون ، ولذا فان عودتهم إلى حظيرة الطاعة هو الطريق الوحيد لاقرار الأمن فى البلاد . وفى هذا السبيل يحدثنا خنوم حتب الأول حاكم اقليم الوعل ، فيقول أنه خرج مع الفرعون فى أسطول مكون من عشرين سفينة لضرب الخوارج من امراء الأقاليم ومن كان فى خدمتهم من بدو الجنوب والشرق [٨] . وقد حققت جهود الملك أمنمحات فى هذا المضمار بعض النجاح ، يحدثنا عن ذلك خنوم حتب الثانى ، فيقول لقد رد لكل مدينة ما استولت عليه من املاك جارتها ، ورسم الحدود بين مدينة واخرى ، وأرسى معالمها كالسماوات .

ورغم جهود أمنمحات فى اعادة بناء كيان الدولة وفرض النظام فيها ، فقد تعرض لمؤامرة للقضاء على حياته لا ندرى على التحقيق مدى نصيبها من النجاح [٩] ، فقد ورد النص على لسانه لابنه وخليفته الملك سنوسرت الأول : «كن على حذر وابتعد عن من هم دونك ، لأن الناس لا ينفذون الا أوامر من يخافونه ، لا تقربهم وانت وحيد ، لا تثق فى أخ ولا تتكل على صديق» . ثم يحكى قصة المؤامرة فيقول : «استيقظت على صوت القتال وكنت وحيدا فوجدت الحراس مشتبكين ، ولو اسرعت وسلاحى فى يدى لتراجع الجبناء ولكن لا شجاع فى الليل ، وليس هناك من يستطيع ان يقاتل وحيدا» .

وتابع سنوسرت الأول [صورة رقم ٢٥] جهود أبيه حيث وصلتنا بردية يتحدث فيها لأشراف قصره قائلا : «أنه هو «الاله حور آختى» الذى جعلنى راعيا على هذه الأرض ، لأنه يعلم أننى سأحافظ له على النظام فيها» .

وتابع فراعنة هذه الأسرة جهودهم للسيطرة الكاملة على البلاد وانتزاعها من براثن أمراء الأقاليم فيلاحظ أن قبور حكام المقاطعات العظيمة التى وجدت فى أوائل الأسرة الثانية عشر اختفت بعد حكم سنوسرت الثالث [١٠] الذى قام بتغييرات هامة رئيسية فى هذه الدولة الاقطاعية تجعل من الصعب علينا أن نغلق أعيننا على التغيير الكبير الذى حدث فى سلطة الملك .

واستحق الملك سنوسرت الثالث [صورة رقم ٢٦] كلمات المديح التى قيلت فى قصيدة عنه :-

«أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته ، ياحامى الضعيف الخائف من عدوه القوى»

ووضع ملوك هذه الأسرة نصب اعينهم اقرار النظام واقامة العدل واعلاء الحق كما يتبين ذلك حتى من اسمائهم ، فكما ذكرنا اتخذ الملك أمنمحات الأول لنفسه اسم «وحم ميسو» [١١] اشارة إلى عهد جديد قد بدء به ، ونرى فى اسماء ملوك هذه الأسرة ان «ماعت» تتكرر دائما فيذكرون «ماعت» التى تعنى الحق أو العدل أو «ماعا» بمعنى الصادق أوالعادل فسمى نفسه أمنمحات الثالث «المنتمى إلى عدل رع» [١٢] [صورة رقم ٢٧] ، وكان أمنمحات الرابع [١٣] «رع هو الصادق الصوت » ، وفى هذه الاسماء نرى شيئا من مميزات العصر .

وهكذا تمكن ملوك هذه الأسرة من اقرار النظام والأمن فى البلاد ، بعد عهد طويل من الفوضى واضطراب الامور . اما مناطق الصحراء ، فنعلم ان أمنمحات الأول بدأ سياسة جديدة نحو الواحات الغربية فاهتم بها ، وكان يرسل الدوريات البوليسية للتفتيش على الطرق وتأمينها . ويحدثنا «نسومنتو» الذى ارسله ذلك الملك لاتخاذ تدابير فعالة ضد بدو الصحراء الشرقية فيقول «قهرت سكان الكهوف من الآسيويين وسكان الرمال وخربت معاقل البدو» . كما حدثنا منتوحتب وزير سنوسرت الأول انه اخضع الآسيويين وجعل سكان الرمل يلزمون السكينة [١٤] .

ورغم كل الجهود التى بذلت لتأمين مناطق الصحراء فقد ظلت دائما بحاجة إلى اجراءات أمن خاصة بحكم طبيعتها ، فهذا القائد «أمنى» المخلص يتوجه إلى مناجم الذهب شرق قفط مع ستمائة جندى من اقليم الوعل ، مصحوبا بوزير الملك لحراسة الذهب [١٥] .

اذن استطاعت الأسرة الثانية عشر أن ترد للبلاد الهدوء والأمن [صورة رقم ٢٨] ، فقد مضى فراعنتها موفقين نحو فرض السيطرة الكاملة على أنحاء البلاد ، ونجحت فى ذلك إلى حد بعيد .

المبحث السادس

غزو الهكسوس والفترة التى سبقته

ان الفترة التى اعقبت سقوط الأسرة الثانية عشر حتى غزو الهكسوس لا تزال تلفها ستائر الغموض ، ومع هذا فان ما وصلنا من انباء العصر لا يدع مجالا للشك فى الحالة السيئة التى تردت فيها البلاد .

خلال تلك المرحلة ، عادت البلاد إلى الانقسام وتفتتت إلى دويلات صغيرة يشير إليها وجود ١٨٠ اسما على الاقل مما يوحى بصراع مستمر حول العرش [(١)] .

كان انتقال الحكم بين الفراعنة يجرى فى سرعة خاطفة حتى ان ثلاثة من فراعنة الأسرة الثالثة عشر لا تعرف لواحد منهم اسم تتويج مما يدل على أنهم خلعوا من العرش أثر توليهم ، قبل أن يتاح لهم التتويج رسميا . ومعنى هذا أن الملوك كانوا أشباحا هزيلة لا تكاد تظهر على مسرح الأحداث حتى تختفى . وكان منطق القوة يسود الحكم فقد وصل الينا اسم ملك من هذا العصر لقبه «إمرامشع» أى أمير الجيش ، وكان على ما يظهر قائدا للجيش ثم اغتصب الملك بقوته ومركزه الحربى .

فصورة البلاد قبل غزو الهكسوس تتمثل فى عدم وجود سلطة مركزية قوية تستطيع أن تفرض وجودها كل الوقت على كل البلاد ، بل كانت السلطات المركزية فى هذا الوقت لا تستطيع أن تفرض نفسها ابعد من مكان محدد واكثر من زمان موقوت ، ثم تسقط بعد ذلك تحت هجمات اعدائها .

والفرعون الذى لا يستطيع أن يحمى نفسه لا يستطيع من باب أولى أن يوفر الحماية لأفراد رعيته .

ولم يكن لدى السلطة المركزية القائمة من مظاهر القوة ما يمكنها من اقرار الأمن ، أو فرض النظام ، انما كانت تلجأ فى محاربة اعدائها إلى اوانى الفخار . تغطى جوانبها بتعاويذ سحرية لسحق اعداء الفرعون وقد استعملت هذه الاوانى خلال هذا العصر على نطاق واسع [٢] .

وتطرق الانحلال إلى الجهاز الادارى ، فقد وصلنا من أنبائه ما نستنتج منه ان هذا الجهاز اصبح هو الآخر مثلا للفوضى والاضطراب . فمن أثر عثر عليه فى الكرنك من عهد الملك «سواح إن رع» أن حاكم اقليم الكاب باع مهام وظيفته مقابل ٦٠ دبنا من الذهب [٣] . فاذا كانت وظائف الدولة الهامة تباع على هذا النحو ، إذن فالجهاز الادارى بالضرورة مثل للفساد والفوضى وعدم النظام ، وهو لا يستطيع من باب أولى أن يمنع الفوضى أو يوفر النظام

وهكذا كانت كل ظروف العصر تمهد لغزو الهكسوس كأنها تنتظره . وليس غريبا بعد ذلك ان تستسلم لهم البلاد فى سهولة ويسر وأن يخضعوها دون حرب وأن يغلبوا حكامها ويحرقوا مدائنها ويهدموا معابد آلهتها [٤] . فليس هناك من يستطيع أن يقف فى وجههم ، بل ليس غريبا فى هذه الظلمة الحالكة واضطراب الأمور وانهيار القيم أن يجدوا بين المصريين من يعاونهم ، فقد اكتشف مرسوم ملكى من عهد الملك «نب خبرو رع» يطرد من الوظيفة كاهن معبد يسمى «تتى بن نفر حتب» ، مهددا بأشد العقوبات أى ملك فى المستقبل أو أى شخص له سلطة يعفو عنه أو عن عائلته أو احفاده . وقد رأى بعض المؤرخين فى هذا المرسوم لونا من الوان الخيانة العظمى بالنسبة للبلاد ارتكبها هذا الكاهن باتصاله بالاعداء الغزاه .

وعلى أى حال فقد عاشت البلاد خلال حكم الهكسوس ، تدفع ثمن هذه الفوضى الداخلية التى تردت فيها ، والتى سهلت الغزو .

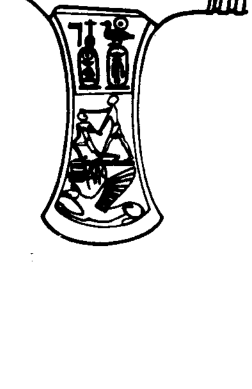

الفصل الثانى

الآمن الداخلى خلال الدولة الحديثة

ويتضمن المراحل التالية :

المرحلة الأولى : من عهد أحمس الأول إلى عهد أخناتون .

المرحلة الثانية : من عهد اخناتون حتي عهد رمسيس الرابع

المرحلة الثالثة : من عهد رمسيس الرابع إلى نهاية عهد رمسيس الحادى عشر .

مقدمة

اذا نظرنا إلى الأمن الداخلى فى تلك الفترة (1) نظرة شاملة بعيدة عن التقسيم التقليدى للأسرات ، نجد أنه سار فى مراحل رئيسية ثلاث :

المرحلة الأولى : وهى بداية قوية تكاد تصل إلى قمة النظام والعدل والأمن ، وتبدأ من عهد الملك أحمس الأول ١٥٧٠ قبل الميلاد حتى عهد الملك أمنحتب الرابع ١٣٤٩ قبل الميلاد .

المرحلة الثانية : وتمثل فترة صراع عنيف ضد عوامل الضعف التى أخذت تتغلغل ، وتبدأ من نهاية عهد الملك أمنحتب الرابع ١٣٤٩ قبل الميلاد حتى عهد الملك رمسيس الرابع ١١٥٤ قبل الميلاد .

المرحلة الثالثة : حيث تغلبت عوامل الضعف فى النهاية ، وتبدأ من أواخر عهد الملك رمسيس الرابع ١١٥٤ قبل الميلاد حتى انتهاء عهد الملك رمسيس الحادى عشر ١٠٨٠ قبل الميلاد .

المرحلة الأولى

من عهد أحمس الأول إلى عهد أخناتون

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الخيانة أثناء حرب التحرير .
المبحث الثانى : مظاهر استتباب الأمن فى هذه الفترة .

مقدمة

ذاقت مصر خلال احتلال الهكسوس لها نوعا من الاذلال لم تعرفه من قبل ، فقد كان الغزاه قساه ، حرقوا مدائنها وهدموا معابدها ، وأذلوا أهلها فى دينهم ودنياهم . فذبحوا رجالها ، وسبوا نساءها ، وشردوا أطفالها . وظلت أحداث تلك الفترة تستقر فى وعى المصريين سنوات طويلة بعد طردهم .

ولكن كيف دخل الهكسوس مصر ؟ وكيف وقفت مصر تستقبلهم دون حرب وبغير مقاومة .. ؟ فقد كان فساد شئونها الداخلية ، واضطراب أمورها ، واختلال نظمها وضياع أمنها هو الذى فتح حدودها للغزاه ، يدخلونها دون مقاومة ، ويستعمرونها دون حرب .

لقد عرفت مصر من قبل فى أعقاب الدولة القديمة (٢) عهدا من الفوضى الداخلية واضطراب الأمن كان نتيجته ان تسلل الآسيويون إلى البلاد يغيرون وينهبون .

وهكذا علمتهم التجربة أن الأمن فى الداخل والخارج مرتبطان ، وأن حماية البلاد من الغزو الخارجى يقتضى بالضرورة سلامة البناء الداخلى باقرار الأمن وتوفير النظام وجعل كلمة الدولة هى العليا .

وهكذا فان أحمس [صورة رقم ٢٩] بعد طرد الهكسوس لم يترك الفرصة للمأساة أن تتكرر من جديد ، بل أستغل خبرته الحربية والسياسية التى نالها فى نضاله الطويل ضد الهكسوس ، فلم يكد ينتهى من التحرير حتى ألف حكومة عسكرية وصبغ حكمه بالصبغة الحربية . وساعده على ذلك أن الفترة التى أعقبت طرد الهكسوس اقتضت أن يكون للملك حرس خاص كامل العدد يتبعه فى غدواته وروحاته ، كما أصبح له أيضا ضباط حربيون يرافقونه فى حله وترحاله (٣) .

وهكذا عادت البلاد مرة أخرى إلى صورة قريبة الشبه من تلك التى عرفتها فى أوائل الدولة القديمة ، سلطة الفرعون هى السلطة العليا وهى السلطة الوحيدة ، وكل موظفى الدولة وحكامها يخضعون له اسميا وفعليا ، وكان هذا هو الطريق نحو فرض أمن مستتب واقرار نظام قوى فى انحاء البلاد .

المبحث الأول

الخيانة أثناء حرب التحرير

لم تكن حرب التحرير سهلة ميسرة ، اذ تطالعنا النصوص أن الهكسوس استطاعوا ان يستغلوا بعض الخونة من المصريين يقفون بجانبهم ، فقد كان على كامس ان يعاقب «تتى بن بيى» الذى كان على ما يظهر شخصية مصرية اغلق على نفسه «نفروسى» التى جعلها بؤرة للآسيويين [(١)] ... ويبدو أن هناك مدائن اخرى وقفت تمد العون للمستعمر .

وعلى اى حال فقد لقى الخونة من كامس جزاءا مناسبا اذ يقول عنهم : «خربت مدنهم واحرقت أماكنهم ، أذقتهم الدمار لما فعلوه مع مصر ، لانهم جعلوا أنفسهم يخدمون الآسيويين ولانهم تركوا مصر تعانى الاحتلال» [(٢)] .

واستمر الخونة يعملون فى صفوف المصريين خلال حرب التحرير التى قادها أحمس وفى ذلك يحدثنا قائده أحمس بن ابانا على جدران مقبرته فى الكاب [(٣)] .

«...... وبعد ذلك جاء «آتا» صاحب الجنوب اذ ساقه حتفه وآلهة الوجه القبلى مستولون عليه ، وقد وجده جلالته فى «تنتاعا» وأحضره جلالته أسيرا ... ثم أتى ذلك الخائن المسمى «تتى عن» وقد جمع العصاه معه فذبحه جلالته وقضى على بحارته» .

وهاتان الحملتان اللتان حارب فيهما أحمس – كانتا على ما يظهر فى مصر نفسها حيث قام عصيان أولا بقيادة عدو مغمور الذكر يحتمل انه نوبى يدعى «أثا» ثم عصيان اخر بقيادة «تتى عن» – وهو على ما يظهر من اسمه قد يكون مصرى المنبت [(٤)] .

وهذه الخيانات التى ظهرت فى صفوف المصريين فى هذا الوقت الخطير ، جديرة ببعض النظر .

كيف يمكن أن نفسر خروج الخيانة من صفوف هذا الشعب المعتز بنفسه المعتد بتاريخه الذى يرى ان الآلهة اعطته وحده دون غيره الحياة الطيبة . ؟

كيف يمكن ان نفسرها بعد أن ذاق المصريون على يد الهكسوس ما ذاقوه من اذلال ؟ كيف يمكن ان نفسرها ، وقد رأينا هذا الشعب نفسه بعد سنوات قليلة من طرد الهكسوس تغمره روح قومية هائلة ، ويشمله اعتداد غريب وينطلق فى فورة مجيدة ، متعاليا على كل الأرض . ؟

ان هذه النكسة التى صادفتها مصر لأول مرة فى تاريخها ، أفقدت بعض المصريين ثقتهم بأنفسهم ، واصابتهم فى ايمانهم ، ان الآلهة أعطوا مصر — ومصر وحدها — الحياة المجيدة الخالدة . وهؤلاء الذين خرجوا على الصفوف هم فى واقع الأمر ضعاف نفوس ، دعاة هزيمة ، شهدوا قوة الهكسوس فاسلمتهم إلى اليأس بدل أن تشعل فيهم روح المقاومة .

وتكشف لنا لوحة «كارنا رفون» (٥) القناع عن بعض ماكان يدور فى صفوف المصريين وقتئذ ، فعندما أبدى كامس رغبته فى أن يبدأ الحرب ضد الهكسوس وجمع مستشاريه ، يعلن اليهم النبأ قالوا له :

«نحن آمنون فى هذا القسم من مصر ، والفنتين قوية ، والجزء الأوسط معنا حتى أسيوط والناس يقدمون لنا أجود مافى حقولهم ، وماشيتنا ترعى فى المراعى ، ولا أحد يستطيع أن يأخذها ، (ثم أضافوا الى ذلك) : أنه فى ظروف معينة يصبح من غير المناسب ان يبدأ الانسان بالحرب» .

هذا الحديث يفسر لنا أفكار الخونة المصريين وبواعثهم ، الخوف والضعف واليأس على أنهم ما أن وجدوا القيادة القوية التى تسترد لهم ثقتهم بأنفسهم حتى سار الشعب كله وراءها فى روح قومية مجيدة ، شهدناها فيما تلى ذلك من احداث .

المبحث الثانى

مظاهر استتباب الأمن فى هذه الفترة

نستطيع أن نقول ان البلاد فى تلك الفترة عرفت نظاما مستقرا وأمنا مستتبا تقوم عليه حكومة قوية تفرض سيطرتها الكاملة على كل البلاد [صورة رقم ٣٠] .

ومظاهر استتباب الأمن واستقرار النظام نستطيع ان نستنتجها مطمئنين من استمرار الحملات الخارجية وتتابعها ونجاحها . فاطمئنان الفراعنة لحالة البلاد الداخلية ، هو الذى جعلهم يفكرون فى التوسع الخارجى . بل ان الغزوات الخارجية فى ذلك الوقت لم يكن يقدر لها النجاح ، لو لم تتمكن الحكومة القائمة دائما من بسط سيطرتها الكاملة على أنحاء البلاد واقرار النظام والأمن فيها .

ورغم الضجة الهائلة التى أحاطت بالغزوات الخارجية ، فاننا نلحظ بعض الحديث عن الأمن الداخلى يردده ملوك هذه الفترة .

جاء فى لوح حجرى يسجل أعمال الملك تحتمس الأول لهيكل الاله أوزير فى أبيدوس نصا على لسانه يقول «لقد جعلت حدود مصر واسعة كدائرة الشمس ، وقويت الذين كانوا فى خوف وطردت عنهم الشر وجعلت مصر سيدة كل البلاد» [١] كما جاء على نفس الأثر قول تحتمس الأول عن أعماله أيضا أليس هو الذى نشر الأمن فى البلاد ورفع من شأن شعبه .. ؟ .

وقد عثر فى سنة ١٩٣٦ على لوحة فى الجهة الشمالية الشرقية تمثال أبى الهول أقامها الملك أمنحتب الثانى تذكارا لزيارته لهذا الاله جاء فيها «كل الأراضى الأجنبية تخافه ، وقد حزم له رؤساء قبائل البدو التسعة ، والأرضان فى قبضته ، وأهل مصر فى وجل منه» [٢] .

وتأكيداً لاستتباب الأمن فقد أطلق الملك أمنحتب الثالث على نفسه لقب «موطد القانون» : ولم يكن الوادى وحده موضع عناية فراعنة هذه الفترة بل اهتموا أيضا كل الاهتمام بمناطق الصحراء والطرق المؤدية اليها ، ويخيل الينا أن هذه المناطق لم تعرف أمنا مستتبا ونظاما كاملا كالذى شهدته فى تلك الفترة . وتصور لنا مقبرة «أمنمسو» – احد عظماء العصر – عودته من طريق قفط بعد تبادل التجارة بين مصر وبلاد بنت وكان اتباعه يسيرون خلفه على الاقدام لا يحملون اى اسلحة فتاكة عدا عصى قصيرة (٣) .

وفى هذا دليل واضح على أن هذا الطريق أصبح مؤمنا بالشرطة ، وأن سكان هذه البقعة من الصحراء قد ألزموا باحترام الأمن والمحافظة على النظام ، بعد أن كانوا يغيرون وينهبون .

والواقع أن ملوك هذه الفترة قد اهتموا بمناطق الصحراء حتى يتمكنوا من استغلالها على أكمل الصور .

وهذه حتشبسوت تتحدث عن جهودها فى اقرار الأمن وتوفير السلام فى هذه المناطق [صورة رقم ٣١] وذلك فى نقش على واجهة الصخر فوق المدخل ذى العمد فى معبد «سبيوس أرتميدوس» (٤) .

«.... وبلاد رشوات (شبه جزيرة سيناء) وبلاد أوو (بلاد مجهولة) (٥) لم تعد مختفية بعد عن عين شخصى العظيم .... والطرق التى كانت مغلقة على كلا الجانبين اصبحت الان مطروقة» .

وأعادت حتشبسوت فتح المناجم فى سرابيط الخادم فى شبه جزيرة سيناء اذ عثر على بعض قطع من الفخار الملون فى تلك الجهة باسمها . وفى وادى مغارة (٦) عثر على لوحة مؤرخة بالسنة السادسة عشر من حكمها كما وجد لها جعران فى الواحة البحرية (٧) .

وليس من شك أن للوصول إلى تلك الجهات واستغلالها ، يستلزم استتباب الأمن فى مناطقها وفى الطرق الموصلة إليها .

ولم يقتصر الاهتمام بالأمن على مناطق الصحراء ، بل ان النيل نفسه وشواطىء مصر الساحلية قد وضع لها نظام دقيق لحراستها واقرار الأمن فيها . فنحن نعلم أن أمنحتب الثالث عين خفرا حربيا للسواحل يطوف على شواطىء الدلتا ليمنع القراصنة من الدنو من مصر ، ولا

يسمح بالدخول فى مصبات النيل الا للسفن التجارية القانونية . ونعلم أن الطرق البرية قد حرست بالنظام نفسه وكل اجنبى يرى داخل المملكة بسبب غير مصرح به كان جزاؤه الطرد إلى حيث أتى [٨] .

وساعد على اقرار الأمن والنظام فى البلاد أن النظم الادارية ذاتها كانت قد وصلت إلى قمة نضوجها . وظهر رجال اداريون ممتازون يديرون الشئون الداخلية فى براعة وحزم تحت اشراف فراعنة اقوياء ، لم يشغلهم خارج البلاد عن داخلها .

ورغم مشغوليات تحتمس الثالث ومسئولياته [صورة رقم ٣٢] فقد كان يتتبع بنفسه جهود موظفيه فى تنفيذ سياسته الداخلية . فنراه عندما عاد من احدى حملاته يقوم برحلة تفتيشية فى أنحاء مصر يسأل بدقة وعناية الموظفين المحليين ، وكان غرضه من ذلك الضرب على أيدى المرتشين فى الادارة المحلية أثناء جمع الضرائب [٩] .

وعندما ولى رخميرع منصب الوزارة رسم له الفرعون سياسة الدولة الداخلية التى ينبغى عليه اتباعها كما يلى :

«سلح نفسك ، وكن قويا فى العمل ولا تكل ، وناهض الشر» وقد حدثنا رخميرع عن تحقيقه لرغبة الفرعون فى دفع الشر ومعاقبة الاشرار فقال :

«أما أولئك الذين تذبذبت قلوبهم ، وأعوزتهم الاستقامة ، فإن سياج حور (الملك) قد أخضعهم (يقصد نفسه) ... قضيت بين الفقير والغنى بالقسطاس المستقيم ، وخلصت الضعيف من القوى ، ووقفت فى وجه غضب الاحمق ، وسحقت الجشع فى ساعته ، وقمعت ضيق المحتاج فى وقته ... وأعنت الرجل المسن مانحا اياه عصاى ... وكرهت الظلم ولم ارتكبه ، وجعلت أهل الشر يمشون منكسى الرؤوس» [١٠] . وهاهو انتف الحاجب الأول للملك تحتمس الثالث عمدة طيبة ورئيس كل الواحات يتحدث عن جهوده فى صيانة الأمن وذلك فى نقوش مقبرته رقم ١٥٥ بجبانة ذراع ابو النجا بالأقصر ، فيقول عن نفسه «... قوى الساعد مع اللصوص ، ومن يستعمل العنف مع من يستعملون العنف .. وهو من يجعل المذنب يعمل على حسب قواعد القانون على الرغم من ان قلبه غير راض ، والعظيم الفزع بين المجرمين ، ورب الخوف بين ثائرى القلوب [١١]» .

ومن نقوش مقبرة أمنمحات – الذى كان مدير بيت «وسر» وزير تحتمس الثالث – جاء فيها فيما يتعلق بواجبات الوزير :–

«كان الوزير يفعل كل ما يرضى الفرعون يوميا ، جعل الحق يذهب لسيده الذى يحبه جلالته فى كل الاوقات . وقد فعل كل ما يحبه الاله فى تأدية الأوامر وتنفيذ القوانين» [١٢] .

وهكذا فان كل ما وصلنا من أنباء هذا العصر ، يوحى بأن البلاد شهدت نظاما مستقرا وأمنا مستتبا وان كان الأمر لم يخلُ على أى حال من بعض ما يعكر صفو هذا الأمن .

ويتمثل لنا فى هذا الصدد ذلك الصراع المستمر حول العرش ومحاولة الأقوى ان يصل اليه .

وهذا الصراع ليس بذى بال فى موضوعنا عن الأمن الداخلى ، لولا أنه يضم فى ثناياه الكثير من الطوائف تتشاحن وتتنازع . فالملوك لا يتصارعون بأشخاصهم انما بأحزابهم أيضا من رجال الدين والجيش وطبقات الموظفين . ولدينا أمثلة من هذا الصراع نرى ان نشير اليها فى ايجاز .

فنحن نعلم الكثير عن انباء الصراع الذى كانت بطلته الملكة حتشبسوت التى تملأ رأسها فكرة الاستئثار بالملك ، ولهذا اضطربت الامور وانقسم موظفو القصر وربما موظفو الدولة ايضا إلى حزبين وبدأت المؤامرات الداخلية تفعل فعلها فى البلاد [١٣] . ولعل هذا ماحدا «بانينى» أحد عظماء العصر ، أن يذكر فى ختام نقوشه على مقبرته مسجلا عطف حتشبسوت عليه . «... كنت ممتازا لدى قلب مولاى وكنت استمع لما يقوله رئيسى ولم يكن قلبى مزدوجا من ناحية عظماء القصر» [١٤] .

ولعله يقصد بذلك انه لم يكن كالموظفين الآخرين الذين تذبذبوا وتلونوا فى الصراع الدائر بين عظماء القصر ، بل انه ظل مخلصا لحزب الملكة .

وقد كان هذا الصراع فى بعض الأحيان بالغ الخطورة على أمن البلاد فى الداخل والخارج ، ذلك ان اهل كوشى انتهزوا فرصة الخلاف على العرش فى ذلك الوقت واعلنوا العصيان ، وقد ظن «زيته» عالم المصريات الألمانى أن حتشبسوت أرسلت الجنود الأسرى لمساعدة الثورة ضد الملك تحتمس الثانى استنادا إلى نقوش حملة تحتمس الثانى المدونة على الصخور الواقعة بين أسوان والشلال الأول ، وقد جاء فيها «وقد أرسلت الأسرى للمساعدة ومعهم اثنان من بلاد النوبة من ابناء أمير كوش الخاسئة [١٥]» .

ونفهم كذلك من لوحة الحلم التى أقامها تحتمس الرابع لأبى الهول(١٦) أنه ربما لم يكن صاحب الحق الشرعى فى العرش ، ويرى «بترى» عالم المصريات الانجليزى أن صراعا عنيفا دار بينه وبين اخوته للوصول إلى العرش وأن كهنة الشمس لعبوا دورهم فى هذا الصراع .

على أن هذه المنافسات على العرش ينبغى ألا تفسد لنا الصورة التى قدمناها عن الأمن الداخلى فى هذه الفترة ، فقد كانت النظم الداخلية فى أوج استقرارها وكانت الدولة الحديثة فى صدر شبابها . كانت جسما قويا يستطيع ببساطة أن يقاوم هذه العلل الطارئة ، ولذا فان الصراع على العرش فى تلك الفترة ، لم يترك فى الأمن الداخلى إلا أثرا وقتيا لا يلبث أن يزول ، فالأساس قوى والبناء متين وكل ما نستطيع ان تفعله هذه الهزات ، لا يعدو ان يكون زبدا على سطح الماء .

إن هذه الفترة فى تاريخ البلاد كانت فى أمجد أيامها بالنسبة للفتوحات فى الخارج ، وأعظم أيامها من ناحية النظام والأمن فى الداخل .

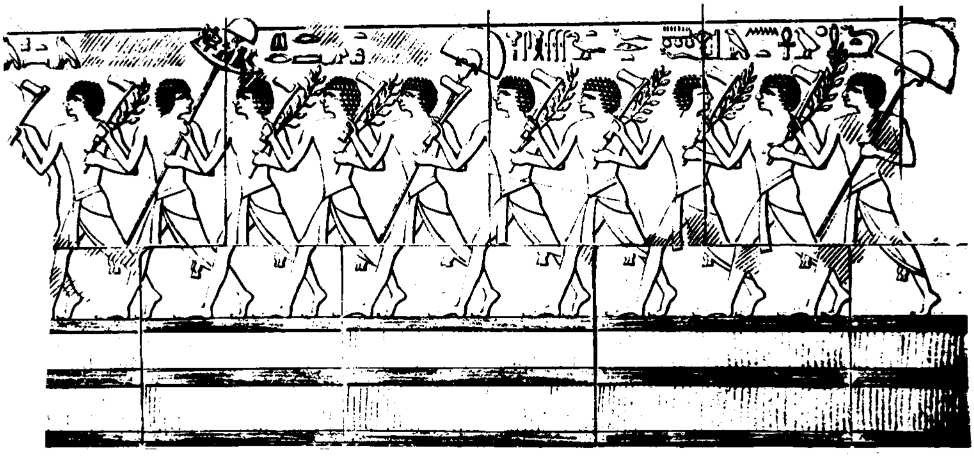

المرحلة الثانية

من عهد أخناتون إلى عهد رمسيس الرابع .

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الديانة الآتونية ودورها فى تهديد الأمن الداخلى .
المبحث الثانى : مظاهر الفوضى الداخلية وأسبابها قبل حور محب .
المبحث الثالث : محاولات الاصلاح .
المبحث الرابع : بين النجاح والاخفاق .

مقدمة

تتميز هذه الفترة بظهور عوامل الضعف وأسباب الانحلال ، وبالصراع المستمر بين مظاهر الضعف وعوامل الانحلال ، والمحاولات الصادقة القوية للعودة بالبلاد إلى نظامها الكامل وامنها المستتب ، كما يظهر لنا من مراسيم حور محب وسيتى الأول [1] .

فالدولة كانت تقاوم فى اصرار وعناد كل مظاهر الفوضى ، ولكن عوامل الفوضى هى الأخرى ، كانت تقاوم فى اصرار وعناد كل جهود الدولة .

المبحث الأول

الديانة الأتونية ودورها فى تهديد الأمن الداخلى

شاءت الاقدار أن يلى عرش مصر ، الفرعون الفيلسوف اخناتون [1] [صورة رقم ١٧] ، وأن يحمل إلى الشعب بعد حين دينا جديدا يفرضه فرضا فى ظروف لم تكن مهيأة له ، ويحارب به كل الاديان الاخرى ، امون ونفوذ كهنته ، وأوزيريس وتغلغل شعبيته ، وبتاح وامجاد تاريخه [2]

ومهما تكن نظرتنا اليوم لهذا الملك الفيلسوف ، رائد التوحيد ، فانه لم يكن فى رأى القدماء أكثر من مارق أوقع فى البلاد الفوضى فى الداخل ، وأضاع امبراطوريتها فى الخارج .

لم يكن بوسع اخناتون ان ينشر دينه الجديد فى سهولة ويسر ، فالدين الجديد يتميز بأنانيته ولا يقبل شريكا معه . وكان على اخناتون أن يدخل فى صراع لا يهدأ مع كهان الأديان الأخرى وأتباعها ، فأصحاب أمون لم يكونوا قلة ولم يكونوا ضعفاء ، وليس من شك فى أنهم لم يعدموا الانصار بين بقية الطبقات الشعبية الذين آذتهم دعوة اخناتون لأنها طعنت فى قلوبهم عقيدتهم فى أوزيريس رب الخير وصاحب عرش الخلود . رأوا فى تلك الدعوة انكارا لسلطان أوزيريس على الأرواح وتجريدا لها من قدرة الحكم عليها بالعذاب أو الثواب ، فنبذوا دعوته وساروا فى ركب آمون [٣] .

ويمكننا ان نتصور صراعا عنيفا دار بين الملك واتباعه من ناحية ، وبين الطوائف التى اذتها الدعوة من ناحية اخرى وهناك جملة مشوهة تحوى الاشارة الفعلية الوحيدة عن دور الملك اخناتون فى الصراع بينه وبين كهانه المعبودات فى مصر القديمة وتكشف فى الوقت نفسه عن مرارة العنف الذى لقيته تعاليم الملك :

«بحق حياة حور آتون ، ان الكهنة هم أسوأ من كل الأشياء التى سمعت عنها فى السنة الرابعة ... هم أسوأ من كل الأشياء التى سمعها الملك منخبرو رع (تحتمس الرابع) من فم الزنوج ومن فم أى شعب» .

فالملك اخناتون [صورة رقم ٣٣] قد لاقى فى دعوته أسوأ من كل الأشياء المخيفة التى سمعها جده تحتمس الرابع من الزنوج والتى لا نعرفها بالضبط وان كان من الواضح أن ذلك كان فى حملته على «بلاد واوات» منذ أكثر من اربعين سنة [٤] .

ومظاهر عنف الصراع تكشفها هجرة اخناتون إلى تل العمارنة فى العام السادس من حكمه ، ويقسم أنه لم يهاجر من طيبة مضطرا ، وانه انتقل إلى مقره الجديد لان فؤاده احب ذلك المكان . ولكننا نعلم تماما ان الفرعون ترك العاصمة القديمة لانه كان يخشى شدة معارضيه وعنادهم [٥] ، ولعل فى اصراره أن يذكر انه لم يهاجر من طيبة مضطرا ما يكشف هذه الحقيقة .

لقد ازداد الصراع الداخلى عنفا فآثر اخناتون أن يهرب بدينه إلى عاصمته الجديدة .

وهكذا فان اخناتون بدينه الجديد عرض أمن البلاد ونظمها الداخلية لشد الاخطار . فليس أخطر على أمن البلاد فى الداخل من انقسامها إلى قسمين كبيرين يتصارعان : أحدهم يرأسه الفرعون نفسه ، والقسم الآخر لا يقل عنه قوة وقدرة على المقاومة .

وازداد الأمر سوءا بأن بدأ اخناتون يحدث تغييرا كبيرا فى ادارة البلاد ، فأقصى من لم يتبعه فى دينه الجديد ، وقرب الذين استطاعوا الحصول على ثقته بما يبدونه من حماس حقيقى أو مصطنع ، فأصبحت وظائف الدولة أو أكثرها فى أيدى فئة حديثة العهد بفن الحكم ، فى وقت كانت فيه البلاد فى أشد الحاجة لخبرة الموظفين الاكفاء [٦] .

ولا ريب أن ضروب الاضطهاد التى حملها الدين الجديد بأنانيته كونت لاخناتون وبطانته اعداء كثيرون ، وليس من شك أن الاستيلاء على أملاك المعابد أدى إلى انتشار البطالة . ويمكننا أن نتصور أن الكهنة المطرودين وملاك الأراضى الذين يكونون طبقة الموظفين المدنيين ، كانوا من الأحزاب التى أساءت إليها الثورة ، وكان من أحب الأشياء إلى نفوسهم أن يروا حكومة الثورة تواجه المصاعب المالية والسياسية ، ونستطيع ان نؤكد أن الاضطراب المدنى كان منتشرا فى مصر بعيدا عن العاصمة فى العمارنه [٧] ، وزاد الطين بله ان جماعات من بدو الصحراء اخذت بدورها تحدث اضطرابا فى الأمن ، وأخذ بعض الزعماء يستخدموها فى محاربة منافسيه .

أمام كل هذه الظروف وقلة الأعوان – الا بعض المستضعفين – جعل اخناتون اعتماده على الجيش يضرب به كل خارج عليه ، حتى ليرى عالم المصريات الألمانى «هلك» أن ثورة اخناتون لم تكن الا نتيجة للصراع بين كبار الموظفين وكبار رجال الجيش .

وقد أحاط اخناتون نفسه بحرس غير مصرى ، لأنه لم يعد يطمئن إلى الملتفين من حوله ، ولأول مرة فى تاريخ مصر نرى حرس الملك مكونا من ليبيين ونوبيين وآسيويين [صورة رقم ١٨] .

أما أعداء اخناتون فقد لجأوا فى مقاومته إلى أسلوب آخر ، هو طريق المؤامرات والاغتيالات وقد مثل لنا «ماحو» رئيس شرطة مدينة اخناتون فى قبره بتل العمارنة رسما مفصلا لمؤامرة الاعتداء على حياة اخناتون . فنراه يسمع صياحا فامتطى عربته واخذ فى ركابه أربعة من رجاله الأقوياء فباغت المتآمرين فى وكرهم وكبلهم بالأغلال وساقهم إلى قاعة الوزير للمحاكمة . ثم نرى الوزير يحف به الكبراء والأشراف فى حضرة الفرعون يقدم اليه المجرمين ، وهم مصرى أصلع الرأس وأجنبيان ، وقد استرسل شعرهما وقصرت لحيتهما .

وعندما نزل «ماحو» من عربته صاح قائلا «ايها الامراء حاكموا بأنفسكم هؤلاء الاجانب المقبوض عليهم» .

وهنا توجه الوزير بالشكر إلى آتون الذى وفقهم لكشف هذه المؤامرة قبل تنفيذها .

ومن الغريب حقا أنه بينما كانت الاضطرابات تسود البلاد ، وتهدد حياة الفرعون ، كانت بطانته تبعث إلى الذين يهمهم الأمر من سلاطين الامبراطورية «اعلموا أن فرعون يتمتع بالعافية ، كما تتمتع الشمس فى السماء ، وأن جنده وعسكره يذرعون دياره من الجنوب إلى الشمال فوق عجلات الحرب ، يطأون بها كل ما تشرق عليه الشمس أو تغرب عنه آمنين مطمئنين» .

والنص فى ذاته – يمكن ان نشتم منه اضطراب الأمور – فهو يؤكد أن الفرعون يتمتع بالعافية وهو تأكيد لم يكن له ضرورة لولا أن الأمور مضطربة والاشاعات متواترة عن حدوث ما يهدد حياة الفرعون وسلامته – والنص أيضا يشير – من طرف خفى إلى أن جنود الفرعون هم الذين يكفلون له الأمان ، ويضمنون سلامته فى هذا الجو العاصف . ومعنى هذا أن البلاد كانت على شيء غير يسير من الفوضى .

وبموت اخناتون تركت مصر لتجابه الموقف المؤسف الذى خلقه دينه الجديد ، وشاء حظها التعس ان يتولى أمور البلاد خلفاء ضعاف ، وهى أحوج ما تكون إلى فراعنة أقوياء يستعيدون الأمن والنظام ، ويبسطون سيطرتهم على الاحزاب المتصارعة فى حزم وقوة .

لقد اتضح ان الملك سمنخ كارع [٨] لم يكن كفئا للوضع الذى وجد نفسه فيه كحاكم على بلاد اهتزت دعائمها وتفككت اوصالها ، هى مصر التى تركها سلفه . وحتى لو كان من بين الملوك الاقوياء – بل حتى لو كان اقواهم – لوجد عائقا قويا بسبب صبغة الهرطقة التى أحاطته ، وارتباطه المباشر بمجرم «آخت آتون» كما كان يلقب كهنة آمون سلفه وحميه اخناتون ، ومن ثم فإن مركزه كان ميئوسا منه . وهكذا فانه عبر فوق مسرح الاحداث واختفى كشبح .

ثم ينتقل العرش المهتز إلى الملك توت عنخ آمون [٩] [صورة رقم ٣٤] الذى اشار إلى حالة البلاد الداخلية فى المرسوم الذى افتتح به عهده فتحدث عن البؤس الذى انحطت إليه البلاد وإلى تهدم المعابد فى مصر كلها وسقوط واجهتها ، وغضب الآلهة وكيف صار الجيش عاجزا عن مد حدود البلاد ، وعندما يتضرع الناس إلى اله أو آلهة لا يستجيبون .

«وبعد بضعة أيام أشرق جلالته على عرش والده وحكم فوق أراضى حورس ، وأصبحت الأرض السوداء والأرض الحمراء تحت قبضة يده» [١٠] .

ورغم هذا فان توت عنخ امون لم يكن سوى شبح هزيل كسلفه لا يستطيع الصمود ، بدأ حكمه عابدا مخلصا لآتون . الا أنه يبدو ان تغييره للدين وللعاصمة معا تم فى خلال عام من اعتلائه العرش ، ولكن الأمور لم تكن لتعود إلى طبيعتها بمثل هذه البساطة ، فسياسة القطر الداخلية تغلغلت فيها عوامل الفوضى والاضطراب إلى أبعد حد .

وبعد ذلك صار العرش إلى الكاهن العجوز «آى» [١١] الذى لم يستطع - فيما نعلم - أن يقوم بمحاولة ايجابية لانقاذ البلاد من الهوة التى تردت فيها .

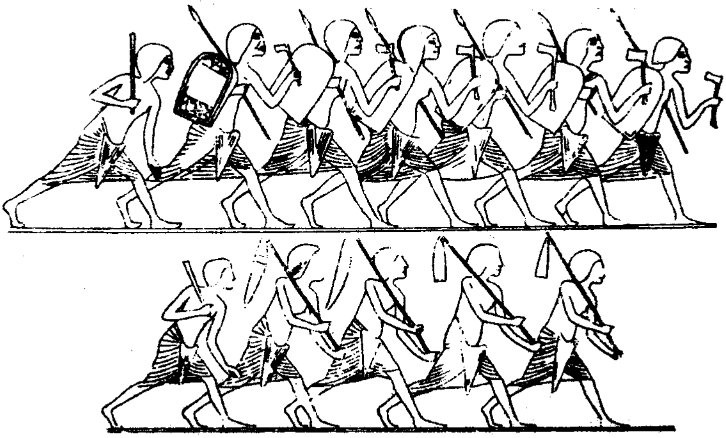

المبحث الثانى

مظاهر الفوضى الداخلية وأسبابها قبل حور محب

من مظاهر اختلال الأمن وانتشار الفوضى ، تلك النهايات الغامضة التى انتهت إليها ملوك هذه الفترة .

ولا نعرف على وجه التحقيق كيف انتهت حياة اخناتون ، فبينما يرى «برستد» انه بعد حكم سبعة عشرة عاما ثار عليه الاهالى وعزلوه ، يرجح «شارف» ان موته كان نتيجة مؤامرة دبرت للقضاء عليه [1] .

ويرى «أحمد فخرى» أن الملك سمنخ كارع وزوجته ماتا فى طيبة فى أواخر ايام اخناتون ونستطيع أن نشتم من وراء ذلك رائحة مؤامرة دبرت للقضاء عليهما معا ، لأننا لا نستطيع أن نتصور أن يموت سمنخ كارع وزوجته معا وفى طيبة بالذات معقل أعداء الآتونية ، وفى هذا الوقت المضطرب العاصف ونرى فى موتهما امرا طبيعيا .

ولا ندرى كذلك أى ميته لاقاها توت عنخ امون أكانت موتته طبيعية ، أم أنه أغتيل ؟ لكننا وجدناه فى مقبرة صغيرة لا تتناسب مع ما أحتوته من فاخر الأثاث وقناطير الذهب مما يدل على أن هذه المقبرة لم تكن له انما دفن فيها بدافع الضرورة الملحة والموت المفاجىء ، ومما يعزز هذا الرأى أن بعض الأثاث الذى دفن معه كان ضخما وكان من العسير ان تتسع له فتحة الباب فقاموا بتوسيعها ليسمح بدخول القطع الضخمة من الأثاث [2] [صورة رقم ٣] .

وبالنسبة لآى يعاودنا نفس السؤال ، هل مات ميتة طبيعية أم قتل أم نزع من العرش ؟ يرى سليم حسن انه لابد قامت ثورة على آى بعد السنة الخامسة من حكمه انتهت بخلعه من العرش ، غير ان قصة هذه الثورة مجهولة تماما حتى الآن . ويستند فى ذلك إلى أن الملك حور محب قد تجاهل عهد آى فى نقوشه التى تركها لنا عن كيفية توليه عرش مصر [3] .

فهذه النهايات ولا نقول الدامية ، ولكن على الأقل الغامضة التى انتهى اليها كل ملوك هذه الفترة – بغير استثناء – تؤكد لنا أن البلاد كانت على درجة كبيرة من الفوضى واضطراب الأمور . كما حدثت فى هذا الوقت بعض الاعتداءات على المقابر ، وسرق بعضها فى فترة الاضطرابات ، الامر الذى دعا حور محب أن يأمر بعمل تفتيش على مقابر الملوك . مما يؤكد ان هذه الفترة كانت تسودها الفوضى وان احوال القطر الداخلية بلغت منتهى الاضطراب [٤] .

ويشير إلى اضطراب الأمور الداخلية بوضوح ، ذلك الحادث غير العادى الذى وقع فى الوقت الذى اعقب وفاة توت عنخ آمون ، وهو خطاب مرسل إلى ملك خيتا «شوبيليوليوما» Suppiluluima [٥] بواسطة أرملة شابة – ربما «عنخ اس ان آمون» ، التى يبدو ان اسمها خلال وقت معين قد حطم – شرحت انه ليس لديها ولد ، ورجت ملك خيتا أن يرسل لها أحد أولاده ليتزوجها ويتولى العرش . وقد داخل شوبيليوليوما الشك اولا ثم ارسل من يتحرى الأمر واخيرا بعث بأمير خيتى إلى مصر ولكنه قتل فى الطريق .

وقد أدى ذلك إلى حرب ضد مصر ، ولو ان شيئا عن هذه الحرب لم يعرف من المصادر المصرية .

فالتجاء أحدى أميرات البيت المالك إلى الخيانة على هذا النحو المزرى ، دليل على سوء الاحوال الداخلية إلى أبعد حد . ولكن من ناحية أخرى فإن فشل هذه المؤامرة وقتل الأمير الخيتى لدليل على وجود قوى واعية داخل الدولة ، لا تزال مصممة على أن تنقذ البلاد من الهوة التى تردت فيها .

أما أسباب الفوضى واضطراب الأمور فى الفترة التى سبقت حور محب ، والتى دعته إلى اصدار مرسومه لمعالجتها فيمكن أن نردها إلى الصدى الذى تركته الديانة الآتونية .

فديانة اخناتون بالرغم من عدم اقبال الشعب عليها لبعدها عن تقاليدهم ، كانت قد تأصلت فى نقوش فئة عظيمة من المفكرين ، وتركت اثرها فى نواحى كثيرة فى حياة القوم لذلك نجد أن هذه الفئة مع عودتهم لديانة الآباء القديمة لم يفعلوا ذلك عن طيب خاطر ، بل دفعهم إلى ذلك سيل التحول الجارف فتمشوا مع الاحوال السياسية . ونستطيع أن نتصور اتباع الديانة الآتونية – بعد أندحارها – يشربون ذات الكأس التى سقوها لاتباع الديانات الاخرى من قبل ، فليس من شك أنهم تعرضوا لضروب من الاضطهاد والانتقام .

هذا إلى أن ادارة القطر أيام اخناتون وخلفاؤه كانت مهملة تحت اشراف حكام الاقسام ولذلك اعتراها السوء وعظمت فيها عوامل الفساد ، والسبب فى ذلك ان الموظفين استعملوا نفوذهم فى ابتزاز الأموال من الفقراء ظلما وعدوانا ، فانتشرت الرشوة وعمت الخيانة بأنواعها كل أنظمة الحكومة المتباينة .

فاذا اضفنا لهذا السلطان الذى كان يتأرجح بين الكهنة ورجال الجيش أدركنا مدى الفساد والاضطراب الذى شمل طبقات الدولة المختلفة .

وزاد الأمر سوءا تلك الفوضى التى نشرها الجنود فى البلاد ، فالمعروف ان مصر فى عهد الملوك الاوائل للدولة الحديثة كونت لنفسها جيشا كبيرا استلزمته الفتوحات المتشعبة ، والمحافظة على الامبراطورية ، ولكن هذا الجيش منذ عهد الملك امنحتب الثالث وخلفائه لم يقم بحروب تذكر ، انما استكان إلى الراحة . وكان من الطبيعى ان الجنود الذين لم يعد لهم نشاط خارجى سوف يصرفون نشاطهم إلى داخل البلاد ، وقد عودتهم الحروب أن تعود عليهم بالغنائم والأسلاب ولكنهم بعد توقفها اصبح عليهم أن يبحثوا عن هذه الغنائم والأسلاب داخل البلاد نفسها ، فأصبحت الفوضى ضاربة أطنابها إلى أبعد حد .

وسنرى فى محاولة الاصلاح التى قام بها حور محب [صورة رقم ٣٦] ان جزءا كبيرا من العقوبات التى جاءت بها تشريعات وجهت إلى الجنود ، محاولة لايقاف اعتداءاتهم على المواطنين . كما وجهت عقوبات اخرى ضد الموظفين ، فى محاولة عنيفة لايقاف الرشوة والاختلاس الذين تفشيا فى الجهاز الحكومى .

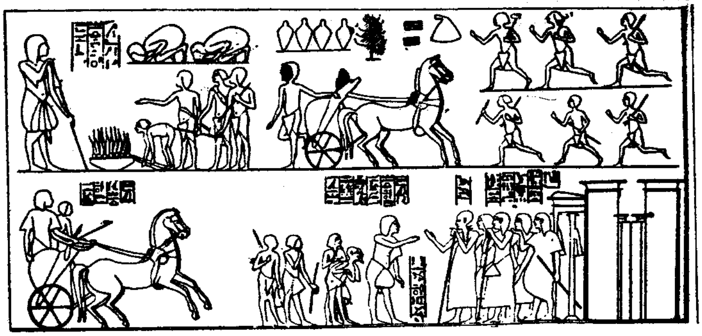

المبحث الثالث

محاولات الاصلاح

تتمثل لنا محاولات الاصلاح فى تلك الجهود التى بذلها كل من الملكحور محب وسيتى الأول وسنعرض هنا لتشريعاتهما بشيء من التفصيل .

ويهمنا قبل ذلك ان نذكر ان هذه التشريعات ليست فى ذاتها كل المحاولات التى بذلت لايقاف تيار التدهور ، فهى تشريعات استثنائية وضعت لمواجهة حالات خاصة ولكنها على اى حال تعطى لنا صورة من محاولات الاصلاح ، وتقدم لنا دليلا نستنتج منه ونطمئن اليه حين نقول ان محاولات قوية بذلت لاصلاح الوضع الداخلى المضطرب ، وأن فراعنة هذه الفترة كانوا عازمين عزما اكيدا على ان يعود للبلاد نظامها وأمنها ، وان ترجع «الماعت» إلى مكانتها القديمة .

عندما بلغ حور محب العرش لم يجهز جيوشا ليوزعها على ميادين القتال ، انما ادخر قوته لتنظيم أمور الدولة فى داخل البلاد . وهناك احتمال كبير فى انه عقد معاهدة مع مورسيل الثالث ملك الخيتيين [1] ضمنت له استقرار الأمور على الحدود وبذلك ركز كل جهده لداخل البلاد . حتى انه جعل من بين القابه «المشرف على ادارة القطرين ليسيرها فى حدود النظام» .

وفى سبيل ذلك وضع قانونا سجله على لوح حجرى طوله خمسة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار عثر عليه بجوار باب من أبواب الكرنك . كما عثر على نسخ منه فى معابد أخرى مثل معبد أبيدوس .

أما غرضه من هذا القانون كما أوضحه على نفس الأثر حيث يقول : «لقد سن جلالته هذا القانون لضمان رفاهية أهالى مصر» ، أما دافعه إلى ذلك فقد أوضحه أيضا فى نهاية الأثر مخاطبا أهل مصر «استمعوا لأوامرى التى سننتها لأول مرة فى التاريخ ، لأحكم بها جميع الأراضى نظرا لما شاهدته من الظلم الصارخ فى هذه البلاد» .

يبدأ هذا المرسوم بألقاب الملك حور محب [٢] وجمل المديح فيه ، ثم يذكر أنه كان يقضى الليل والنهار فيما يمكن عمله لاصلاح مصر ، فأخذ قلماً وقرطاساً من البردى وكتب مايأتى :-

البند الأول :

خاص بالعقوبات التى توقع على كل من يعوق السفينة التى تحمل الضرائب إلى خزائن الدولة ، وكان عقاب ذلك جدع الأنف والنفى إلى حصن ثارو على مقربة من القنطرة .

البند الثانى :

يختص بالاجراءات التى تتخذ فى حالة سرقة سفينة تكون محملة بالضرائب الخاصة بالدولة ، وتكون مرسلة إلى الملك .

البند الثالث :

ما يوقع على من يفعل ذلك أيضا ، أو يحول دون وصول سفينة محملة بأشياء مستحقة لزوجة الملك أو إلى المعابد .

البند الرابع :

يختص بمعاقبة الموظفين الملحقين بمكتب قرابين الملك الذين يذهبون إلى قرية من القرى لأخذ نبات «كث» [٣] ويجعلون أرقاء بعض الناس يشتغلون فترة من الزمن دون رضاء سادتهم .

البند الخامس :

خاص بالاستيلاء على جلود الحيوانات كجزء من الضريبة . ومعاقبة الجنود الذين يذهبون إلى الفلاحين للاستيلاء على هذه الجلود دون وجه حق .

البند السادس :

خاص بالاجراءات ضد ما يقع من ظلم على بعض الفلاحين وما يحدث من تلاعب بين موظفى الضرائب .

البند السابع :

خاص بالعقاب الذى يوقع على من يأخذ من الفلاحين النبات الذى كان ضروريا لعمل الجعة بحجة أنه يؤخذ لأجل ضرائب الملك .

البند الثامن :

خاص بالعقوبات التى توقع على من يظلم الفلاحين بأخذ بعض الحبوب أو الخضروات دون وجه حق باسم الملك .

البند التاسع :

خاص بالعقوبات التى توقع فى حالة اقتراف جريمة من الجرائم التى لم يعرف كنهها بالضبط نظرا لتحطيم النقش فى هذا الجزء غير اننا نرى فيها اسم مدير البلاد الأجنبية وانه يعطى ذهب الملك إلى بعض الناس .

البند العاشر :

ويختص بمنع القسوة أو كثرة العمل على الأرقاء .

فاذا ما انتهى الجزء الخاص بالتشريعات والعقوبات فان المرسوم يبدأ بذكر الاصلاحات الادارية التى أمر حور محب بعملها بمقدمة يتحدث فيها انه سار فى جميع أنحاء البلاد وعرف ما يجرى هناك .... ولهذا قام باصلاح المحاكم والتى كان قضاتها من بين الموظفين والكهنة وبعد أن أصلح شئونهم المادية ، اعتبر اعتداء أى منهم على العدل وظلمه للناس بسبب رشوة أو غيرها جريمة كبرى جزاؤها القتل . وكان آخر ما ذكره فى هذا المرسوم انه وضع تنظيماً خاصاً بالبروتوكول فى القصر ومراتب الموظفين وأيهم يتقدم الآخر .

واذا تتبعنا نصوص المرسوم فان أول ما يلفت نظرنا شدة العقوبات وقسوتها . فالمجرمون – فى الحالات السيئة – كانوا يعاقبون بجدع الأنف والنفى إلى ثارو على الحدود الآسيوية ، وفى الحالات الاقل كانوا يعاقبون بالضرب مائة عصا وخمسة جروح [صورة رقم ٣٧] .

ويرجع ذلك إلى الانتشار المخيف لعدم الأمانة بين الموظفين ولفوضى الجنود ولم يعد ميسورا أن تعود العدالة (ماعت) إلى البلاد الا بتنفيذ أقسى وأشد ما يستطيع ان يفعله القانون ، ولكننا نستنتج من ذلك ايضا ان كلمة الملك لم يعد لها ما كان لها من أثر فى حفظ النظام وضمان الأمن ، ولم يعد للفرعون نفسه ما كان له من الرهبة والاحترام القديم .

ونستنتج كذلك ان أهم عناصر الفساد فى الدولة كان الجهاز الادارى وموظفيه ، ولهذا وجهت معظم العقوبات إلى الموظفين والجنود الذين أصبحوا بلا عمل الا النهب والسرقة .

ولما كان القضاء على الديانة الآتونية هو فى الواقع انتصاراً للكهنة أصبح على الفرعون ان يتملقهم ، فقد جاء فى التنظيمات الادارية فى المرسوم أن كهنة المعبد «خدام الاله» وموظفوا مقر الحكم فى هذه البلاد والكهنة المطهرون الخاصون بالآلهة ، فهم الذين يتألف منهم كل مجلس (قنبت) ويفصلون فى قضايا كل مدينة .

وهكذا نرى فى هذا المرسوم امتداداً لسلطة الكهنة على ساحات القضاء ولذلك فإن الاجيال القادمة لم تعترف بشرعية أى شخصية كبرى من شخصيات عصر العمارنة الا حور محب الذى اشترى اعترافهم بتنازله عما كان للفرعون من سلطة تقليدية ، فقد أعطى كثيرا من سلطته التامة المطلقة إلى الكهنة وإلى المحاكم المدنية . فمدونة صقارة وأبيدوس [٤] تجاهلت عمدا اخناتون وخلفائه الثلاثة ووضعت حور محب بعد أمنحتب الثالث .

ويلفت نظرنا فى هذا المرسوم الاهتمام بالأرقاء ومنع استغلال العبيد فى العمل ظلما واعتبار ذلك جريمة يعاقب عليها القانون ، وهى ناحية فريدة مشرقة فى تاريخ الانسان فى هذا الوقت المبكر .

ولكن يؤخذ على هذا المرسوم انه سمح بامتداد سلطة الكهنة على ساحات القضاء وقد بدا هذا شيئا عاديا أول الأمر ، ولكنه فى أواخر الدولة الحديثة كان من أكبر العوامل التى أفسدت سلطات التحقيق والقضاء .

ويؤخذ على هذا المرسوم أيضاً أنه ركز معظم مواده لحماية موارد الحكومة وهى الضرائب . وإذا كان الرجل الفقير قد شملته الحماية من الظلم والنهب فانما كان ذلك كما نفهم من روح المرسوم حتى يتمكن من توريد ضرائبه ، وكان الموظفون يعاقبون على اختلاساتهم أو تسخيرهم غيرهم فى العمل . كما كان الجنود يعاقبون على إغتصابهم الفلاحين ، لأن ذلك انه كان يؤدى إلى حرمان الدولة مما هو مستحق لها من الضرائب أو مجهود الأفراد .

وبمعنى آخر ... كان هدف المرسوم ضمان موارد الحكومة ، أكثر منه رعاية مصالح الشعب ، بينما توضع القوانين أساسا لرعاية المجتمع وضمان سعادة أفراده وأمنهم ، أما حماية موارد الدولة فتجىء فى المرتبة التالية .

ومهما يكن الأمر ، فانه لا سبيل إلى إنكار جهود حور محب فى ان ينقذ الدولة من هوة الفوضى والاضطراب التى تردت فيها .

وبالرغم من أن رمسيس الأول حكم أقل من عامين فانه استمر فى إدارة البلاد بحزم ونجح كل النجاح فى السير على سياسة حور محب . وعندما تولى سيتى الأول الحكم تابع نفس السياسة لتوطيد الأمن فى البلاد ، ومن المحتمل أن تكون حملاته فى آسيا وأفريقيا اقتصرت على السنوات الأولى من حكمه ، وأنه عقد معاهدة مع خيتا ليتفرغ للشئون الداخلية .

وعلى أى حال فقد اعتبر سيتى الأول نفسه مؤسس عهد جديد وتظهر هذه الحقيقة من معنى عبارة «وحم ميسو» [٥] التى تشير إلى السنة الأولى والثانية من سنوات حكمه .

ولدينا من عصر سيتى الأول [صورة رقم ٣٨] مرسوم صدر للمحافظة على حقوق مؤسسة ملكية عظيمة خصصت للاله أوزير .

كان الغرض من هذا المرسوم حماية البيت المسمى (قلب من ماعت رع» فى راحة فى العرابة) وتدل الاشارات المستمرة إلى الرعاة والصيادين أن هذه الضيعة كان معظمها مكونا من مستنقعات ومراعى ، وكانت منتجاتها ترسل إلى العرابة ، ومن ثم كانت الحاجة ماسة لبناء أسطول من السفن لحملها وحماية هذا الأسطول وإعطائه حقوق استثنائية . فقد جاء فيه أن :

«أى نائب فرعون أو رئيس رماه أو عمدة مدينة أو مدير بيت أو أى موظف كبير أو أى فرد ارسل فى مأمورية لبلاد كوش يتعمد وقف أى قارب تابع لبيت «من ماعت رع» [٦] فإنه سيعاقب بالجلد مائة جلدة وبخمسة جروح دامية ، فضلا عن خصم ما يوازى عمل السفينة منه عن كل يوم تكون قد رسته» .

وأهم ما نلا حظه فى هذا المرسوم شدة العقوبات التى لا تتناسب مع الجرائم ، حيث نص أيضاً على أن «أى نائب ملك فى كوش أو أى رئيس رماة أو عمدة مدينة أو أى مدير بيت أو أى فرد يستولى على شخص تابع لبيت «من ماعت رع» بالقبض عليه من قرية إلى قرية أخرى لتشغيله فى الحرث والحصاد .... يعاقب بالجلد ثمانون جلدة وخمسة جروح دامية ، ... وأى حارس ماشية أو حارس كلاب صيد أو أى صياد تابع لبيت «من ماعت رع» يعطى شخص آخر رأس حيوان مملوك لبيت «من ماعت رع» إختلاسا ولا تقدم لأوزير سيده فى بيت «من ماعت رع» فانه سيعاقب بطرحه أرضاً ووضعه على خاذوق والاستيلاء على زوجه وأولاده وكل متاعه لبيت «من ماعت رع» واسترجاع رأس الحيوان من الذى سرقها» .

ويمكننا تبرير شدة العقوبات هذه أن الفرعون لم يعد له ما كان من الرهبة والاحترام وأن رغبته وحدها لم تعد تكفى لتنفيذ ما يريد ، ما لم تسندها عقوبات صارمة .

ومن ناحية أخرى نستنتج أن الفساد كان قد استشرى ، وأن تلك العقوبات القاسية كانت محاولة عنيفة لايقافه عند حده . وبالرغم من أن المرسوم كان موجهاً عموماً ضد أى فرد يخالفه ، الا اننا نجده ينص دائماً على بعض أشخاص على سبيل التخصيص . ونلاحظ أن هؤلاء الأشخاص من الموظفين من ذلك .

«..... منع البقرات والحمير والكلاب والماعز أو أى حيوان واحد ملك بيت «من ماعت رع» من ان يؤخذ سرقة بطريق الامتياز على أيدى نائب ملك أو رئيس رماة أو أى عمدة مدينة أو أى رئيس جياد أو أى رئيس اصطبل أو أى حامل مروحة أو أى ضابط جيش أو أى فرد أرسل فى مأمورية لبلاد كوشى ...»

«أى موظف أو أى مشرف على أرض تابعة لهذه الضيعة أو أى حارس لثيران حرث أو مدير بيت يتدخل فى حدود الأراضى التابعة لبيت «من ماعت رع» بأن يزحزح حدودها ، سيعاقب بقطع اذنيه ويكلف أن يكون زارعا فى المقر» .

ومن هذا يتضح لنا أن الموظفين – كبارهم وصغارهم على السواء – لا يزالون عنصر الفساد فى الدولة ، وانه رغم كل جهود حور محب ، لا يزال الجهاز الادارى علة العلل بما تفشى فيه من الرشوة والاختلاس .

واخيرا نلاحظ ان المرسوم لم يقتصر على العقاب الدنيوى انما لجأ أيضا إلى التهديد بالعقاب فى الآخرة ... «فان اوزير (خنتى منتى) [٧] أول أهل الغرب ... سيتعقبه هو وزوجه وأولاده ليمحو اسمه ويقضى على روحه ويحرِّم على جسمه البقاء فى الجبانة» .

وليس من شك أن استعانة الملك بعقاب الآخره والتجاءه إلى الآلهة يسألهم انزال اللعنة بمخالفة اوامره ، هو دليل جديد على ضعف سلطة الملك ، التى اصبحت فى حاجة إلى تعزيزها بوسائل اخرى .

فهذان المرسومان اللذان اصدرهما حور محب وسيتى الأول ، يمثلان لنا صورة من الطريقة التى عالجا بها اضطراب الأمور واختلال الأمن . ويهمنا أن نذكر أن هذه الطريقة العنيفة حققت بعض النجاح ، كما سنرى من عودة الأمور إلى حالتها الطبيعية لفترة تالية .

ولكنه كان نجاحا ظاهريا مؤقتاً ، فالأمن العام لا يعالج بمجرد التهديد بأشد العقوبات للخارجين عليه ، لأنه يرتبط كما سبق أن ذكرنا بشخصية الدولة ونظمها ونظرة المواطنين اليها ، ومدى احترامهم الذاتى لأوامرها .

ولذا فأن هذه المحاولات العنيفة رغم صدقها ، كانت فى واقع الأمر علاجاً سطحياً حقق نجاحاً موقوتاً ، ثم ما لبثت الأمور أن عادت إلى الفوضى .

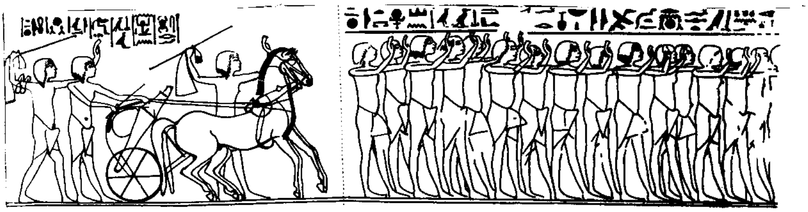

المبحث الرابع

بين النجاح والاخفاق

الفترة التالية التى سنتحدث عنها تبدأ بالملك رمسيس الثانى وتنتهى بانتهاء عصر الملك رمسيس الثالث ، حيث لم تتمتع البلاد بأمن مستتب أو نظام مستقر لفترات طويلة مستديمة . فقد قويت عوامل الانحلال ولم تستطع جهود الفراعنة حتى أعظم فراعنة هذه الفترة أن تفعل شيئا أكثر من أن تؤجل عن البلاد ، لبعض الوقت ، قدرها المحتوم .

استطاع رمسيس الثانى أن يؤمن شمال الوادى (دلتاه) من قراصنة البحر ، الذين أكثروا من الاغارة على الشمال ، ليس بقصد الغزو ، انما للسلب والنهب . ويبدو أن جهوده فى هذا السبيل كللت بالنجاح ، «حتى استطاع أهله أن يناموا فى سلام» .

ورغم انشغال رمسيس الثانى فى حروبه الخارجية فانه لم يغفل الاهتمام بالأمن فى داخل البلاد . ففى نقش إهداء معبد أبى سنبل نرى منظراً يرى فيه رمسيس الثانى على عرشه ، ومعه موظف يدعى «رمسيس عشا خب» منحنياً امامه ، ويصاحب المنظر نصاً يقول «الحمد لله يا ايها الملك الشجاع ... أنه لا يوجد ثائر فى زمنك بل الأرض كلها فى سلام» .

كما عثر على جزء من لوحة كبيرة فى أطلال معبد الاله بتاح فى منف [1] ، المرجح أنها تنسب لرمسيس الثانى لأنها وجدت فى المعبد الذى ينسب اليه وقد جاء فيها عنه :

«... لقد تجنب الخداع وأقصى الكذب من الأرض ، وكانت قوانينه متينة فى ادارة انظمة الأجداد» .

وقد حكم رمسيس الثانى سبعة وستين عاما . وتزوج من كثيرات كما أنجب أولاداً كثيرين ونعرف من بينهم ٥٩ بنتا على الأقل ، أما عدد الذكور فيرى بعض المؤرخين أن عددهم ٧٩ بينما يرى البعض الآخر أنهم أكثر من ١٠٠ ، وليس من شك ان كثرة عدد

الأمراء على هذا النحو ، بالاضافة إلى ضعف سيطرة رمسيس الثانى على البلاد فى أخريات أيامه تحت وطأة الشيخوخة أوجدت فى البلاد بعض الفوضى ، لا ندرى ما هيتها بالضبط ، ولكننا نعرف أنه بمجرد تولى مرنبتاح العرش أمل الناس أن يروا فى البلاد عهداً جديداً من الأمن والنظام ، وأسرع الشعراء يضعون الأناشيد احتفالاً بتوليه العرش قائلين عنه :

«أنه أكثر نفعا من أى ملك آخر . أيها الصالحون تعالوا لتروا ان ماعت قد طردت الخداع ، وانكفأ الأشرار على وجوههم ، وتجاهل الناس جميع الجشعين ..» .

والحق أن مرنبتاح تلقى تركة ثقيلة تهددها أشد الأخطار فى الخارج ، ولكنه فى النهاية نجح فى تأمين حدود البلاد الخارجية وفرض السلم فى داخلها على النحو الذى يصوره لنا فى لوحة النصر المعروفة باسم لوحة اسرائيل (٢) :

«اجلس مسرورا وتكلم أو سر بعيدا حيث اردت فلا خوف الآن فى قلوب الناس — تركت القلاع وشأنها وفتحت الآبار من جديد ... أما الجنود فأصبحوا ينامون مستريحى البال ، وعاد حراس الحدود يشتغلون فى حقولهم كالعادة ، وعادت الماشية إلى مراعيها ، ولم يعد أحد يخشى الذهاب إلى النيل ، ولا أثر للأصوات التى كانت تنادى فى صميم الليل ، قف واقدم ها هو ذا شخص قادم ... ها هو ذا رجل اتى يتكلم لغة أجنبية . بل ها هو كل شخص يروح ويغدو مغنيا ، ولم يعد الناس يتنهدون حسرة ، واستقرت القرى ، ومن زرع سوف يجنى محصوله ويأكله حقا لقد رجع رع إلى مصر . كيف لا ... فقد ولد ليدافع عنها ويحميها فى شخص الملك مرنبتاح» .

فالنص يوضح لنا ان حالة البلاد الداخليه كانت مضطربة ، وان الأمن الداخلى كان مهددا باشد الأخطار ، ولكن جهود مرنبتاح استطاعت ان تعيد النظام إلى نصابه .

على أن الضعف لم يلبث ان تسرب إلى سلطة الملك وشخصيته فى أواخر عهده ، واستطاع «رومع روى» الكاهن الأول لامون ان يستغل هذا الضعف ، ونجح فى ذلك لدرجة انه تمكن من نقش اسمه وصورته على أحد جدران معبد الكرنك . وقد كان هذا امتيازا مقصورا على الفرعون وحده ، ولم يكن فى استطاعته اتخاذ هذه الخطوة إلا عندما شعر بضعف سلطة الملك وقتئذ ، أى عندما أخذ يشعر بضعف الفرعون فى حكم البلاد وقلة نفوذه فيها .

وتبلغ الفترة التى انقضت بين وفاة الملك مرنبتاح وولاية الملك ستنخت العرش ثلاثون عاما . وقد حكم البلاد خلالها عدد من الفراعنة نعرف منهم على التحقيق الملوك «أمون مسس» «سيتى الثانى» و «تاوسرت» و «سى بتاح» وان فى تتابع هؤلاء الملوك على العرش بسرعة وفى انعدام اثارهم إلى الحد الذى جعل المؤرخين لا يزالون مختلفين فى أمرهم ، لدليل واضح على اضطراب الأمور واختلال النظام .

ترك مرنبتاح العرش وحالة البلاد الداخلية لا تبشر بالخير فقد كان له أخوه ، وأخوات وأبناء أخوات كثيرون [٣] ، وكان هؤلاء جميعا ومعهم الحاشية وحكام البلاد والكهنة ذوو مطامع وأغراض ، ولم يجدوا الشخصية القوية التى توقف كل منهم عند حده ، ولهذا لا يدهشنا ان نرى التغيير والتبديل فى الوصول إلى العرش . فربما كان كل هؤلاء الذين وصلوا إلى الملك أو الذين كانوا يعاونونهم ويدفعونهم إلى الامام من نسل رمسيس الثانى .

ومن مظاهر اختلال الأمن ، واضطراب الأمور وفساد الجهاز الحكومى ، وانتشار الرشوة ما وصلنا من بردية محفوظة حاليا بالمتحف البريطانى [٤] تقول انه :

كان رئيس العمال «بانبى» الذى عاش فى عصر سيتى الثانى رجلا سيئا شريرا إلى اقصى حد . فقد كان يسرق كل ما يقع تحت يده من أوان تحتوى على البخور والنبيذ ، معدة لتكون قربانا جنازيا للملك ، وغطاء عربة وقطعة نفيسة جدا من مقبرة احدى الملكات ، وجدت بعد ذلك فى منزله بالرغم من انه كان قد اقسم انها ليست عنده . وفى مرة سرق اداة مما يستعمل فى كسر الاحجار ، وعندئذ قال قائل «انها ليست موجودة» ، فبحثوا عنها شهرا كاملا ولكنه كان قد سرقها وخبأها وراء حجر كبير ، وفى مرة اخرى عين عمالا لكى يكسروا الاحجار فى اعلى بناء الملك سيتى الثانى ، فكانوا يسرقون كل يوم شيئا لمقبرته ومن هذه الاحجار اقام لنفسه اربعة اعمدة فى مقبرته ، فبهذه الوسائل وغيرها اخذ يؤسس لمقبرته اثاثا بثمن ضئيل من اقرب طريق .

ولا شك ان هذه الرغبة كانت تحدوه عندما سرق من شخص يدعى «باحر بك» كتابين كبيرين له كانا يضمان على الراجح اجزاء من كتاب الموتى ، ولم يستح هذا الشخص نفسه من ان يجرد مقبرة احد مرؤوسيه من محتوياتها تماما . فقد هبط فى مقبرة العامل «نخت مين» وسرق السرير الذى كان يضطجع عليه واخذ الأشياء المعتاد تزويد الميت بها وسرقها ، وحتى الأدوات التى اشتغل بها فى مقبرته كانت مملوكة للقصر .

ولقد كان يستغل دائما عماله ويستخدمهم فى مآربه الشخصية ، فقد اعار ذات مرة عمالا لا يتبعونه للوزير الذى كان محتاجا إلى عمال زراعيين . ثم انه كلف المدعو «نب نافى» بأن يعلف ماشيته طوال شهرين . كما جعل نساء هذا العامل ينسجون له وكان يلذ له ان يقوم باعتداءات من نوع آخر على نساء عماله وبناتهم .

وعلاوة على كل ذلك كان فظا غليظ القلب فقد أشبع ذات مرة قوما ضربا أثناء الليل ثم لاذ بالفرار متسلقا الجدران واخذ يرميهم بطوب اللبن ولكن اسوأ اعماله جميعا كانت تصرفه نحو ابناء مقدم العمال «نب نافى» وبخاصة نحو «نفر حتبى» الذى خلف والده فى وظيفته حتى لقد حاول مرة الاعتداء على حياته ، ولو انه كان هو نفسه الذى اشرف على تربيته . فلقد تبع رئيس العمال «نفر حتبى» لكنه اغلق ابوابه من دونه فأخذ حجرا وكسر ابوابه فأقيم حراس على «نفر حتبى» يحرسونه لأنه قال «انى سأقتله فى الليل ، وفى هذه الليلة ضرب تسعة من الرجال . فرفع مقدم العمال «نفر حتبى» الأمر إلى الوزير «أمونمس» فعاقبه .

ومع ذلك فقد تمكن «بانبى» من ان يتخلص من هذه التهمة وغالبا انه تمكن اخيرا من قتل «نفر حتبى» وبالرغم من ذلك فقد عاش فى سلام ، اذ أنه ، اذا جاز لنا أن نصدق اقوال الشاكى ، فقد قتل الناس الذين شهدوا ضده .

تلك هى صورة من الجرائم التى ارتكبها أحد الخارجين على القانون فى ذلك العصر . وهى جرائم خطيرة متتابعة توضح لنا إلى أى حد استهتار المجرمون بالقانون ، وبالقائمين عليه .

فهذه البردية ان صح ما جاء فيها ، لتدلنا بوضوح أن الأمن قد اختل إلى أبعد حدوده .

ومن الطبيعى أن توجد الجريمة فى كل مجتمع ، مهما كانت درجة أمنه لأنها ظاهرة طبيعية ولكن ما جاء فى هذه الورقة بالذات ليس مجرد جريمة عادية ، بل انها دليل واضح على مدى انحلال الأمن فى ذلك الوقت .

فبانبى هذا رئيس العمال قد تجاسر وسرق احجارا من بناء للملك سيتى الثانى الذى كان يعاصره !!! وبانبى هذا ارتكب اكثر من جريمة ، لها اكثر من لون من سرقات متعددة إلى شروع فى قتل إلى اغتصاب نساء ....

واستطاع بانبى هذا ان يستمر فى جرائمه دون توقف . بل انه هدد «نفر حتبى» بالقتل وشرع فى الاعتداء عليه ، وبلغ الأمر الوزير ، ومع هذا فقد تمكن فى النهاية من تنفيذ جريمته كما ارادها دون ان تقوم السلطات بواجبها لحماية «نفر حتبى» هذا .

واذا كان كل هذا يحدث فى طيبة ، وهى مدينة لها دائما شأنها ومكانها ، تحظى باهتمام خاص من ناحية الأمن والنظام ، سواء كانت العاصمة ام لم تكن ، فلنا ان نتصور كيف كان حال الأمن فى المدن الأخرى وفى القرى .

ان الملك رمسيس الثالث يصور لنا الحالة السيئة التى انحدرت اليها البلاد فى تلك الفترة فيقول «كان لكل رجل قانون خاص به ، ولم يكن هناك رئيس لعدة سنوات ثم جاء وقت كانت ارض مصر تتكون من امراء ورؤساء قرى والرجل يذبح اخاه ، ثم تلى ذلك وقت خلو من السنين عندما نصب «ارسو» (٥) نفسه كحاكم واخضع البلاد كلها لارادته» .

ففى هذه القطعة نجد ان المجد اللامع الخاص بالأسرات ١٨ و ١٩ قد اختفى ونقلت البلاد مرة أخرى إلى الحالة التى سبقت عصر الهكسوس .

وينبغى ان نشير هنا إلى أن «ارسو» هذا ، كما رجح أغلب المؤرخين ، كان من الجند المرتزقة الذين كانوا فى الجيش ، جمع حوله رجاله وحاول الاستيلاء على السلطة لمصلحته .

ومن الغريب أنه بعد أن وصلت حالة البلاد إلى هذا المستوى ، نجدها مرة أخرى تسترد انفاسها وتجاهد فى محاولة أخرى وأخيرة لتعيد الأمن الداخلى إلى نصابه .

ولما اتفقت كلمة «المعبودات» على السلم ، اجمعت رأيها على العمل معا لما فيه مصلحة البلاد . فولت إبنها ونصبت «ست نخت» (٦) (مؤسسة الأسرة العشرين) حاكما على كل الأراضى فارجع النظام إلى جميع البلاد الثائرة وقتل العصاه الذين كانوا فى مصر ، وطهر العرش المصرى العظيم ، فعرف كل انسان اخاه بعد أن كان مضطرا للمعيشة قابعا بين جدران منزله .

وتابع الملك رمسيس الثالث سياسة والده الملك ست نخت فى فرض الأمن واقرار النظام ، ولم تشغله الغزوات الخارجية (٧) المتلاحقة عن الاهتمام بالأمن الداخلى ، ومحاولة انقاذ البلاد من الفوضى الداخلية . فقد جاء فى بردية هاريس وصفا لجهوده فى هذا السبيل «جعلت المرأة فى مصر تمشى بخطى واسعة إلى المكان الذى ترغب فيه اذ لا يعاكسها غريب أو أى فرد

على الطريق وجعلت المشاة والخيالة يسكنون (فى وطنهم) فى زمنى ، فكان جنود الشردانا والقهق فى مدنهم مضجعين على ظهورهم ولا يخامرهم خوف لانه لم يكن هناك عدو من كوش أو مناهض من آسيا ، وقد ثوت أسلحتهم فى مخازنها فى حين انهم كانوا راضين وسكارى فى ابتهاج وكانت زوجاتهم معهم واولادهم بجانبهم ، ولم ينظروا خلفهم حوفا ، وكانت قلوبهم واثقة لانى كنت لهم بمثابة درع وحماية لاعضائهم . وقد حفظت كل أهالى البلاد احياء سواء اكانوا من الأجانب أم من عامة الشعب أم من المدنيين ذكورا واناثا وخلصت الرجل من مصيبته ، ومنحته الحياة» .[٨]

على أن رمسيس الثالث فى أواخر أيامه تراخت قبضته على البلاد ، وبدأ الزمام يفلت منه وقد تحرج مركزه لدرجه اضطر فيها ان يكون حرسه الخاص من الأجانب .

ولعل كبرى اسباب الفوضى فى نهاية عصره نتجت من الجنود ، فنحن لا نستطيع ان نتصور هذه الاعداد الهائلة التى اشتركت فى صد الهجمات الخارجية وقد استكانت إلى الراحة وزاد الأمر سوءا ان نسبة كبيرة من هؤلاء الجنود كانوا مرتزقة ، وقد اصبحوا محرومين من نهب اعداء مصر ، وربما لم تدفع لهم مخصصاتهم كما حدث لعمال الجبانة ، فاخذوا يعيشون من نهب سكان مصر نفسها . وقد بذل رمسيس الثالث جهده فى هذا السبيل فانشأ مستوطنا فى الوجه القبلى (ليعيش فيها الشردانا وكتبة الجيش الملكى) ولكنهم مع هذا ظلوا مصدر قلق للأمن .

وكان من نتائج ذلك ، عصيان وزير رمسيس الثالث المدعو «تا» وجمعه قوة كبيرة وتحصنه فى أتريب ولكن هذه القوة لم تكن كافية فاستسلمت بسرعة لقوات رمسيس الثالث الذى تمكن من ارجاع النظام مرة اخرى وربما كان سبب هذه الثورة قيام رمسيس الثالث بعزله من وظيفته حيث كان وزيرا على قسمى البلاد .

واخيرا كانت المؤامرة على حياة الملك وكذلك اضراب عمال الجبانة فتتابع الاحداث على هذه الصورة يشير من غير شك إلى اضطراب الأمور الداخلية فى نهاية عصر رمسيس الثالث ، فكان ذلك مقدمة طبيعية للفترة التالية وكان بداية انحدار البلاد نحو الهاوية .

المرحلة الثالثة

من عهد رمسيس الرابع إلى نهاية عهد رمسيس الحادى عشر

ويتضمن المباحث التالية :

لمبحث الأول : اسباب الفوضى الداخلية .
لمبحث الثانى : مظاهر إختلال الأمن .
: كلمة أخيرة .

مقدمة

وخلال هذه الفترة سارت البلاد إلى مصيرها التعس ، فقويت عوامل الفوضى ، وضعفت جهود المقاومة حتى تكاد تتلاشى .

والفراعنة مع هذا قائمون على العرش ، يرون الفوضى ويلمسون الاضطراب ، ولكن جهودهم كانت اعجز من ان تقاوم . ولعل عوامل الفوضى كانت اعمق من ان تستأصلها تلك الجهود ، حيث بلغت البلاد قمة مجدها ثم أخذت بعد ذلك فى الانحدار .

المبحث الأول

أسباب الفوضى الداخلية

اذا حاولنا ان نتلمس فى ظلام العصر اسباب الاضطراب واختلال الأمن ، فاننا نلاحظ أولا تتابع الملوك على العرش بسرعة ، فالعرش انتقل بين الرعامسة عدة مرات فى خلال ٢٥ أو ٣٠ سنة بعد وفاة الملك رمسيس الثالث حتى الملك رمسيس التاسع وان كان هذا من مظاهر اضطراب الأمور فهو ايضا من اسباب هذا الاضطراب . وان تتابع الملوك على العرش بسرعة يجعلنا نستنتج دائما ان أحوال البلاد الداخلية على درجة كبيرة من الفوضى ، وتفسير ذلك أمر يسير ، فالملك فى مصر القديمة كان هو الدولة وهو واضع النظم ومباشر تنفيذها ، فمعنى تعاقب الملوك بسرعة وتتابع النظم المختلفة والسياسات المتعددة بنفس السرعة لا يعطى الفرصة للنضوج . وبدون شك استقرار الدولة رهين باستقرار النظام الذى تسير عليه .

ومن ناحية أخرى ، فان التتابع على العرش بسرعة معناه ان الجالس على العرش ليس بالقوة التى يستطيع ان يحمى بها نفسه من ادعياء الملك ، والفرعون الذى لا يستطيع ان يحمى نفسه ، لا يستطيع من باب أولى ان يوفر الحماية لافراد رعيته .

والتتابع السريع على العرش – من جانب آخر – مظهر صراع عنيف بين الأمراء ، كل يحاول ان يبعد سابقه ليوطد لنفسه العرش ، والملوك والأمراء لا يتصارعون باشخاصهم انما باحزابهم ، وكل صراع على العرش هو فرصة يغتنمها الكهنة ، ويستغلها رجال الجيش . يحاول هؤلاء ، وغير هؤلاء ان يستفيدوا منها قدر ما يستطيعون واخيرا فاذا فاز احد الأفراد بالعرش ، فتح الباب امام الانتقام من اعدائه بابعادهم عن وظائفهم ، او محو اسمائهم من آثارهم إلى غير ذلك من ألوان الانتقام الذى يقود البلاد إلى صراع – مهما تكن درجته – فهو يعرض الأمن الداخلى للاخطار . ومن أبرز أسباب اضطراب الأمور فى هذه الفترة ازدياد نفوذ كهنة آمون تدريجيا . وليس من شك ان ذلك كان على حساب سلطة الفرعون . فكان الكاهن الأول لآمون يجمع إلى عمله ككبير الكهنة فى جميع المعابد المصرية اعمالا أخرى مثل اشرافه على خزانة الفرعون ، ووظيفة حامل ختم الملك . كما حصل من رمسيس التاسع على حق جباية أموال آمون بواسطة كتبة المعابد ، وليس بواسطة موظفى الدولة ، وكانت هذه الايرادات تدخل رأسا إلى خزانة المعابد . واخيرا كشف أمنحتب النقاب عن وجهه فصور نفسه بجرأة عجيبة على جدران معبد الكرنك ، بنفس الحجم الذى رسم به الفرعون . والفرق الوحيد الذى يميز الملك عن الكاهن الاول أمنحتب هو ان الملك كان يقف على قاعدة صغيرة ، فى حين كان الكاهن الأكبر يقف على الأرض .

ولما كان المثال يقصد ان يظهر بطريقة ما التساوى فى الحجم بين صورة الفرعون وصورة الكاهن الأكبر فانه صور المديرين الذين كانا يقفا إلى جوار أمنحتب للقيام بالباسه وتضميخه بالعطور بحجم أقل منه مرتين اذ لا يكاد الواحد منهما يصل فى الرسم إلى حزامه .

ولما كان الفنان المصرى يحرص دائما على ان يربط بين اهمية الشخص وحجم صورته فمعنى هذا ان السلطة الحقيقية لم تكن فى يد الفرعون وحده انما كان يقتسمها معه كاهن آمون . هذا اذا لم تكن سلطة الأخير الفعلية أكبر من سلطة الملك .

وليس من شك أن اضمحلال سلطة الدولة التى يمثلها الفرعون على هذا النحو من شأنه أن يزعزع فى نفوس الأفراد مدى احترامهم لكلمة الدولة ونظمها وهو حجر الزاوية بالنسبة للأمن الداخلى كما ذكرنا .

وقد ساهم الكهنة خلال هذه الفترة بنصيب وافر فى تهديد الأمن الداخلى بما ارتكبوا من جرائم معتمدين على مكانتهم الخاصة التى تيسر لهم الافلات من كل عقاب .

ولدينا فى تورين بردية تشير إلى أن أحد كهنة معبد خنوم فى الفنتين اتهم بالسرقة والرشوة وانتهاك حرمة المعابد ، والاتصال بالزوجات ، وبيع عجول منفيس المقدسة ، والاشتراك فى حمل تمثال الاله قبل أن تنقضى فترة تطهيره واستغلال الرشوة لازاحة كاهن آخر من طريقه .

ولم يقتصر دور الكهنة على تهديد الأمن الداخلى وإشاعة الفوضى ، إنما امتد سلطانهم إلى أجهزة الدولة المختلفة ، وأصبحت المحاكم لا قيمة لها إذ كانت الكلمة العليا فى كل شكوى هى ما يحكم به الاله ، وهو حكم نهائى لا رجعة فيه ، ويعتمد على إقناع كهنة المعبد قبل التقدم بالشكوى ، أو عند عرضها ، وكانت وسيلة ذلك الاقناع لا تتغير ، فالاله يحكم لمن يستطيع أن يثبت أنه شخص تقى وذلك بتقديم ما يستطيع تقديمه للكهنة . وكان الوحى يتحكم أيضاً فى تعيين الموظفين وليس من الغريب بعد هذا أن تنتشر الرشوة والاختلاس إلى أبعد حد ، مادام المجرمون مطمئنين إلى حسن صلتهم بكهنة المعبد أو المسيطرين عليه بما يقدمونه لهم من هدايا .

ولدينا من عصر رمسيس الرابع بردية تحمل رقم ١٠٣٣ بالمتحف البريطانى تعطى لنا صورة عن فساد العصر وانتقال سلطات التحقيق والاتهام إلى كهنة آمون . فهى تحكى لنا قصة لجوء الخادم «امنمويا» إلى آمون صاحب بختنى (حى من أحياء طيبة) ليدله على السارق .

«حضر لى أناس وقت الظهيرة وسرقوا منى خمسة قمصان من النسيج الملون ، فيا سيدى الطيب المحبوب ، هل لك ان تعيد إلى ما سرقوه ؟» فهز الاله رأسه بعنف وذكر له الخادم «أمنمويا» أسماء أشخاص البلدة ، فهز الاله رأسه عند ذكر إسم المزارع «باتا ومديأمون» قائلاً انه هو الذى سرقها .

ولدينا استراكون (لخاف) من عهد هذا الفرعون أيضاً يلتجىء فيه العامل «كننابن سيوازد» إلى الملك أمنحتب الأول الذى كان يعد إله قرية العمال وجبانتها لأنه منع ظلما من اتخاذ مسكنه فى المكان المعروف باسم بيت بيخال بينما هو الذى أعاد بنائه .

ولدينا أيضاً نقش على أحد جدران معبد الكرنك من عهد رمسيس الحادى عشر يمثل لنا دور بيونخت الكاهن الأكبر لآمون فى تعيين كاتب لمخازن الكرنك ويوضح لنا مسألة من مسائل الوحى التى أصبحت متكررة فى ذلك العصر .

فالكهنة كانوا من العوامل التى لعبت دوراً فى اضطراب الأمن الداخلى ، وفساد النظم خلال تلك الفترة . ولكنهم لم يكونوا وحدهم أسباب الفوضى ، فهناك إشارات عديدة يؤرخ الكثير منها بالسنوات الأخيرة لرمسيس التاسع عن حضور أجانب إلى طيبة أو ليبيين أو مشواش [١] ، وبالرغم من أننا لا نعرف بالضبط كيف نفسر هذا الأمر ... هل كانوا غزاه حقيقيين أم كانوا من سلاله الأسرى الذين انضموا للجيش المصرى وأحسوا بقوتهم ليثوروا ويثيروا القلاقل ؟ هذه الأسئلة ستبقى بغير جواب بالنسبة لنقص الشواهد ، ولكن على الأقل كان من الواضح أن ذلك أثر تأثيراً كبيراً على الأهالى الوطنيين فإن التقارير الخاصة بعمال الجبانة تذكر أياماً كثيرة اضطر فيها العمال إلى إيقاف العمل بسبب الأجانب ، وأصبح ذلك أمراً عادياً فى عهد رمسيس التاسع .

وسواء أكان هؤلاء الأجانب غزاة أم من الاسرى السابقين كما نرجح ، فإنه من المؤكد أن الجنود المرتزقه داخل الجيش لعبوا دوراً فى اضطراب الأمور لانه لم يصبح لديهم عمل . فلم تعد هناك حملات حربية يشتركون فيها ، وليس ببعيد أن مقرراتهم لم تدفع لهم كما حدث لعمال الجبانة ، وأنهم اعتمدوا فى معاشهم على السلب والنهب من المواطنين .

فإذا أضفنا لهذا كله سوء الحالة الاقتصادية فى البلاد لدرجة أن الحكومة توقفت عن دفع مرتبات عمال الجبانة أكثر من مرة ، فى الوقت الذى ارتفعت فيه الأسعار ارتفاعا جنونيا ، فوصل ثمن غرارة القمح ٥ دبن [٢] فى عهد رمسيس التاسع بعد أن كان ثمنها ١٫٥ دبن ، وارتفع ثمن غرارة الشعير إلى ٨ دبن فى عهد رمسيس السابع ، أى أن البلاد اصبحت فى حالة إفلاس ، وأصبح صغار موظفى الحكومة وعمالها لا يجدون ما يسد رمقهم فلم يبق أمامهم إلا السرقة والرشوة .

وكان من نتائج سوء الحالة الاقتصادية إنتشار سرقات المقابر إنتشاراً مخيفاً . وتتابع اضرابات عمال الجبانة على النحو الذى سنبينه فيما بعد .

المبحث الثانى

مظاهر إختلال الأمن

وصلت حالة الأمن الداخلى فى هذه الفترة إلى درجة كبيرة من الاضطراب ، وتردت البلاد إلى هوة سحيقة من الفوضى سببها انهيار النظام ، ويمكننا أن نرى مظاهر ذلك بسهولة فى كثير مما وصلنا من أنباء العصر .

فتتابع الرعامسة على العرش بسرعة ، وقلة آثارهم التى تركوها تدل كما قدمنا على اضطراب الأمور ، كذلك انتشار سرقات المقابر وتتابع إضرابات العمال ، يؤكد لنا فوضى البلاد وانعدام نظامها ، وسنتناول ذلك بالتفصيل فى الفصل التالى .

وتوقف استغلال مناجم سيناء تماماً فى ذلك العصر حيث يرجع آخر نقش فيها إلى عهد الملك رمسيس الرابع ، مما يدل على اضطراب الأمور الداخلية حيث لم تعد لديهم الفرصة ليفكروا فى استغلال مناطق الصحراء ، ومعناه أيضاً أن الفراعنة لم تعد لديهم القوة ولا القدرة على أن يكفلوا الأمن فى هذه المناطق وفى الطرق المؤدية إليها .

وقد كان هذا ضروريا لامكان استغلال تلك الجهات وحماية العمال فيها . أما مدى ضياع نفوذ الحكومة وانهيار سلطة الملك فتدل عليه بوضوح وثيقة من عهد الملك رمسيس العاشر [1] هى البردية المسماه «شاباس – ليبلين» وتذكر لنا أن الوزير طلب إلى المسئولين فى الجبانة إرسال رجال لنقل بعض ملابس الملك نفر كارع (رمسيس التاسع) ولكن هذا الطلب قد رفض – لأن العمال وقتئذ كانوا فى حالة ثورة وقد أجاب أحد العمال رسول الوزير قائلا «دع الوزير يحمل ملابس الملك نفر كارع بنفسه» .

أما الجهاز الحكومى ذاته ، فقد تغلغت فيه الفوضى والاضطراب إلى أبعد حد ، فكل أجهزة الدولة ومصالحها قد اعتراها الانحلال ، ولدينا ورقة من عهد رمسيس الحادى عشر تمثل لنا خطابا يشكو فيه حاكم الفنتين إلى رئيس الضرائب فى ذلك الوقت من ان الضرائب التى

حددت بواسطته على قطعتين من الأرض غير مضبوطة ويعلن عدم مسئوليته عن ذلك ، وقد حدث فى عهد الملك رمسيس العاشر أن العمال الذين كانوا يشتغلون فى حفر مقبرة الفرعون فى وادى الملوك أضربوا عن العمل لأن صاحب الشرطة المسمى نسأمون – وذلك على حسب أمر موظف كبير – قال لهم : «لا تعملوا وابقوا فى المعبد» (معبد مدينة هابو) [٢] .

فاذا كان كبار الموظفين ورجال الشرطة هم المحرضون للعمال – الذين يشتغلون فى حفر مقبرة الملك – للاضراب فانه يتبين لنا إلى اى حد انحرف الموظفون عن أداء واجبهم .

ومن عصر رمسيس الحادى عشر اكتشفت فى القرن التاسع عشر مجموعة من الخطابات الهامة وهى حاليا مقسمة بين متاحف مختلفة وملكيات خاصة ، ومعظمها يدور حول شئون خاصة ولكن بعضا منها يشير إلى أحداث تاريخية ، وحوالى ١٢ خطابا منها مرسله من «بيعنخى بن حريحور» الذى كان يشغل وظيفة الكاهن الاكبر لآمون رع [٣] .

وفى ثلاثة خطابات متشابهة تقريبا أرسلها «بيعنخى» إلى أمه «نوزمه» وإلى تحتمس الذى كان يعمل مساعدا له فى طيبة ، ولموظف آخر كانت تعليماته لهم أن يخرسوا أفواه اثنين من رجال شرطة المازوى الذين تكلموا بغير حكمة أو حذر وذلك بقتلهم وإلقاء جثتهم فى النهر ليلا .

وانه لمن الضرورى أن يكون هناك أمر خطير ارتكبه الكاهن الأكبر لآمون وعلم به هذان الشرطيان وتحدثا عنه ، فرأى هذا الكاهن الاكبر أن أفضل وسيلة لاسكاتهم هى قتلهم وإلقاء جثتهم فى النهر .

ان هذه الخطابات الثلاث لتدلنا بوضوح إلى أى مدى استهتر هذا الرجل الكبير المسئول بالأمن ورجاله .

وتضطرب الأمور فى نهاية عصر الرعامسة وتتلاحق أحداث غامضة ، نجد اشارات إليها فى اوراق مختلفة ، وهى على كل حال لا تترك شكا للحالة المتدهورة التى وصلت اليها البلاد .

ففى «بردية ماير (أ)» يقول العامل «حوت نفر» فى الجزء الخاص بنهب صندوق النفائس : «لقد أتى الأجانب واستولوا على المعبد عندما كنت مكلفا برعاية بعض الحمير ملكا لوالدى» .

ولدينا إشارة أخرى إلى نفس الحادث فى الورقة ١٠٠٥٢ بالمتحف البريطانى حيث نجد شاهدا اسمه «موت مويا» يقول عن شخص معين :

«والآن عندما وقعت حرب الكاهن الأول سرق هذا الرجل سلعا ملكا لوالدى» وفى وثيقة «ماير (أ)» أيضا أن بعض اللصوص قتلوا بواسطة بانحسى آخرين ذكر عنهم انهم ذبحوا فى حرب الاقليم الشمالى كما نقرأ إشارة تقول «عندما خرب بانحسى مدينة حارداى – وهى مدينة يسميها الأغريق سنيبوليس – عاصمة المقاطعة ١٧ من مصر العليا وقد كتب اسم بانحسى[٤] بطريقة توضح انه كان عدوا للطيبين ، كما أن عدم وجود أى لقب مع اسمه يوضح انه كان شخصية معروفة .

وهكذا فإن أحداث هذه الفترة ، التى تردد ذكرها عرضا فى الأوراق البردية التى أشرنا إليها هى :

(١) ابعاد أمنحتب الكاهن الأول .
(٢) حرب أمنحتب الكاهن الأول .
(٣) حرب الاقليم الشمالى .
(٤) تخريب مدينة «حارداى» بواسطة بانحسى .

وعلى أى حال نحن نعرف من حكام النوبة فى أواخر عصر الرعامسة من يدعى بانحسى الذى استدعاه الملك مرة لاخماد فتنه فى الشمال .

كيف يمكن أن نفسر هذه الأحداث .. ؟ وهل يرتبط بعضها مع البعض الآخر ؟ وإلى أى حد ؟ .

ينبغى علينا قبل أن نعرض آراء المؤرخين فى هذا الموضوع ، ان نشير إلى أن هذه الآراء لا تخرج عن التخمين والترجيح ، فالآثار لا تسعفنا بما يؤكد لنا رأيا نهائيا ، وكل هذه الأحداث الخطيرة الهامة ، لم يصلنا عنها الا مجرد إشارات إليها وردت عرضا فى أقوال المتهمين والشهود .

يرى سليم حسن أن إبعاد «أمنحتب» الكاهن الأول قد نفذ بشدة بالغة لدرجة انه كان يستحق ان يطلق عليه اسم حرب . ويتساءل ما إذا كانت الحرب فى الاقليم الشمالى هى نفس هذه الحرب ؟ ثم يقول انه من الصعب أن يفهم الانسان لماذا وجه الأجانب ضربتهم إلى

الكاهن الأول لآمون استنادا إلى النص السابق ذكره ان الأجانب أتوا واستولوا على المعبد ، ويتصور الموقف فى النهاية على أن بانحسى كان إبن الملك صاحب كوش [٥] قاد الفرق النوبية والطيبية ضد قوات الاسرات الليبية المتزايدة التى كانت معسكرة فى هيراكليوبوليس [٦] وأنه تابع القتال إلى الشمال مخربا بلدة حارداى . أما أحمد فخرى فيرى أن حرب «أمنحتب» كبير الكهنة كانت بقيامه بالقضاء على ثورة القائمون بها من الأجانب وربما كانوا من الجنود المرتزقة فى الجيش .

أما ويلسون فيرى أنه كان هناك تنازع على السلطان بين عائلة الكهنة الحاكمة فى طيبة وبين رجال الجيش وأن هذه الثورة حدثت ما بين العام ١٢ و١٥ من حكم رمسيس الحادى عشر وانها كانت متصلة ببعض الاضطرابات الاخرى التى حدثت فى مصر مثل الثورة فى المنطقة الشمالية وتخريب إحدى مدن مصر الوسطى على يد شخص يسمى «بانحسى» الذى كان على ما يظهر نائب الملك فى السودان وقائد الجيش .

وهناك رأى آخر يقول ان مصر قبل نهاية الأسرة العشرين كانت مقسمة إلى حزبين الحزب الوطنى برئاسة أمنحتب الكاهن الاول لآمون ، والحزب الاجنبى أتباع ست [٧] وعلى رأسه كاهن يدعى «اوسارسف» وقد استعان هذا الحزب بأعداء مصر من الكنعانيين والآموريين والفينيقيين والاسرائيليين . وكانت الواقعة الاولى بين الحزبين فى صالح الشمال ، فهجر أمنحتب مصر إلى كوش حيث وجد الفرعون هناك بينما انتشر الأجانب فى البلاد ينهبون ويسرقون ، ولكن سرعان ما أعاد الكاهن الأول أمنحتب والملك تنظيم قواتهما ، وقد وجدا فى «بانحسى» و «حريحور» رئيسين قادرين وتمكنوا من طرد الأجانب وذبح أتباع ست . وهذا النصر كان بداية عصر جديد سمى بعصر النهضة .

ونحن نتفق مع سليم حسن وجاردنر أن إبعاد الكاهن الأول وحرب الكاهن الأول يشيران إلى حدث واحد .

فإبعاد أمنحتب الكاهن الأكبر أمر ثابت لدينا ذكرته بوضوح ورقة «ماير (أ)» فى شهادة العامل حوت نفر التى أشرنا إليها ونستطيع ان نلاحظ فى نفس الورقة القسم الخاص بنهب صندوق النفائس ثم إحراقه ، إن أمنحتب الكاهن الأول لآمون لم يقم بدور عضو تحقيق أو عضو فى المحكمة المكلفة بمحاكمة المجرم . وكان قد عين قبل ذلك فى تحقيق سرقات المقابر المختلفة فى عهد رمسيس التاسع .

ونلاحظ أن إبعاد الكاهن الأول هذا ، يشار إليه كحدث ضخم هائل يؤرخ به فقد جاء فى شهادة العامل حوت نفر «... وكانت قد مضت ستة شهور على بداية محاربة أمنحتب الذى كان كبيراً لكهنة آمون» ، ويقول أيضا «وحدث بعد ذلك اننى عدت بعد تسعة شهور كاملة من محاربة أمنحتب كبير الكهنة» .

والتأريخ بهذا الحادث – على النحو المشار إليه – دليل على انه حدث هائل معروف لم يتم فى بساطة وسهولة ، وليس لنا على أى حال أن نتوقع ان يبعد أمنحتب كبير كهنة آمون ، وله ما له من السلطة والنفوذ ببساطة وسهولة ، بل لا بد ان الأمر قد اتخذ لونا عنيفا استحق ان يشار إليه بتعبير «حرب الكاهن الأول» .

فإبعاد الكاهن الأول ، وحرب الكاهن الأول هما شيء واحدا ، أما التفسير الذى قدمه الدكتور أحمد فخرى . أن حرب كبير الكهنة تحملنا على الاعتقاد أن هناك ثورة قام امنحتب بالقضاء عليها وكان القائمون بها من الأجانب ومن الجنود المرتزقة فى الجيش . ولكن من وجهة نظر أخرى أن أمنحتب قد أبعد فعلا ، وليس من اليسير علينا أن نتصور أنه قد بلغ من الضعف إلى درجة أنه أبعد عن منصبه وبلغ من القوة لدرجة أنه تمكن من إخضاع ثورة قام بها الجند المرتزقة فى الجيش وذلك فى نفس الوقت أو على أضعف احتمال وبين الحادثتين فترة قصيرة انما الافضل ان نعتقد ان الابعاد والحرب كانا شيئا واحدا .

أما لماذا أبعد الكاهن الأول ؟ وكيف تم هذا الابعاد ؟ فأمر لاندريه – لاننا لا نجد ما يشير إليه – وان كنا نستبعد ان يكون الفرعون هو الذى قام بذلك فسلطة رمسيس الحادى عشر وقتئذ كانت واهية إلى درجة نستبعد معها ان يستطيع محاربة كبير الكهنة وابعاده وليس أمامنا بعد ذلك الا ان نبحث عن قوة أخرى من القوى القائمة وقتئذ وهى قوة الجند المرتزقة فى الجيش لنقول انها هى التى استطاعت محاربة كبير الكهنة وإبعاده .

وعلى أى حال فإن الاعتبارات التى تفسر لنا الأحداث تجعل من المستحيل علينا ان نصل بين إبعاد الكاهن الأول والثورة التى قام بها بانحسى ، فليس هناك ما يمنع أن يكون كل منهما حدثا مستقلا بذاته .

ومهما كان الرأى الصحيح فى تفسير هذه الأحداث ، فانه ليس من شك انها صورة حية ناطقة بفوضى الأمور الداخلية وانعدام النظام واضطراب الأمن إلى ابعد حد .

أن الفترة التى بدأت برمسيس الرابع وانتهت بتولى حريحور العرش ، كانت البلاد خلالها تنحدر بسرعة مخيفة إلى هاوية سحيقة من الفوضى واضطراب الأمور .

لقد عرفت البلاد الفوضى ، ولكنها عرفت أيضا المحاولات القوية المخلصة للاصلاح ، أما إذا تتبعنا هذه المحاولات خلال هذا العهد فاننا لا نكاد نجد الا محاولة يائسة فى عهد رمسيس الحادى عشر هى ظهور فترة تاريخية جديدة تسمى «وحم مسو» أى تجدد الميلاد (عصر النهضة) وهو تعبير استعمله أمنمحات من قبل كاسمه الحورى واستعمله سيتى الأول ليؤرخ به لسنوات حكمه الاولى والثانية . ولذا فإن مفهوم التعبير يعنى أن نوعا من التجديد يتعلق بالدولة قد بدأ .

وقد بدأ ذلك العصر فى السنة ١٩ من حكم رمسيس الحادى عشر وقد أوصى كهنة آمون بهذه الفكرة عندما أرادوا لمصر ان تبدأ عهدا جديدا أساسه الحكم الدينى ، وكان التاريخان يكتبان جنبا إلى جنب فنرى العام ١٩ من حكم رمسيس الحادى عشر يقابل العام الأول ، وفى وثيقة أخرى أن السنة الخامسة والعشرين من حكم الملك توافق العام السابع من عصر النهضة .

ولكن هذه المحاولة لم تترك أثرا يذكر ، وسارت البلاد نحو الهاوية ، بينما هذه المحاولة لم تستطع ان تغير مصيرها أو حتى تبطىء مسيرتها . بل ان هذه الاحداث الاخيرة التى ذكرناها ، والتى تنسب للسنوات المتأخرة من عهد رمسيس الحادى عشر عاصرت أو عاصر بعضا منها على الاقل عصر النهضة !!!

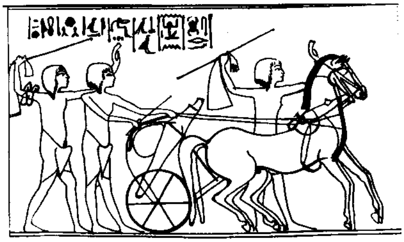

كلمة أخيرة

لقد عاشت الدولة الحديثة ، قرابة خمسمائة عام ، واجهت فيها متاعب كثيرة فى الداخل ، ومصاعب خطيرة فى الخارج ، فهل استطاعت فى نهاية الأمر ان تحفظ للبلاد أمنها ، وتصون نظامها ، إذا اردنا حكما عاما لها أو عليها ان مظاهر قوة هذه الدولة لا نراها فى الأمن والنظام فى أول عهدها ، فكذلك تبدأ الدول . وان مظاهر ضعف هذه الدولة ، لا نستنتجها من الفوضى والاضطراب فى أواخر عهدها فكذلك تنتهى الدول . ولكن عظمة الدولة الحديثة حقا فى الفترة الوسيطة والتى امتدت اكثر من مائتى عام .

عظمتها فى قدرتها الباسلة على الصمود وفى اصرارها العنيد للتغلب على عوامل الضعف – وفى حيويتها المتجددة التى خلقت أكثر من مرة من الفوضى نظاما ، ومن الاضطراب امنا ، ومن الانهيار بناءا جديدا .

ان الفوضى التى عاصرت الديانة الآتونية والتى تلتها ، كانت نذيرا يعلن نهاية الدولة ... ولكنها لم تنته انما استردت شبابها بعد سنوات قلائل فى عهد حور محب وسيتى الأول . وكذلك الفوضى التى تلت عهد مرنبتاح – بدت – وكأنها الستار ينزل على الفصل الأخير من تاريخ هذه الدولة . ولكنها بعد سنوات قلائل عاودتها حريتها ، وشهدناها أوائل عصر رمسيس الثالث صامدة للأحداث ، تتحمل مسئولياتها فى الداخل والخارج فى بسالة واقتدار .

تلك هى عظمة الدولة حقا ان تخوض التجربة بعد التجربة ، وان تمر بالمحنة بعد المحنة . وإذا قدر لها أن تنتهى ، فقد أدت دورها ، وبقى عليها أن تواجه حتمية التاريخ .

الجزء الثانى

جهاز الشرطة ووسائله

ويتضمن الفصول التالية :

مقدمـــــــــة : وظيفة جهاز الشرطة .

الفصل الأول : الشرطة فى عصر الأسرات المبكر (العصر العتيق) .
الفصل الثانى : الشرطة فى الدولة القديمة .
الفصل الثالث : الشرطة فى العصر الاقطاعى الأول .
الفصل الرابع : الشرطة فى الدولة الوسطى .
الفصل الخامس : الشرطة فى الدولة الحديثة .
الفصل السادس : أجهزة الشرطة وأختصاصاتها .
الفصل السابع : واجبات أخرى للشرطة .

مقدمة

يبدأ التاريخ بتغيير أساسى فى المجتمع البشرى ، فكان الأنسان الأول فى مصر غنى عن الآخرين ، فهو الذى ينتج قوته ويبنى كوخه ويمد نفسه بالملابس وكافة حاجاته الضرورية ، ثم يتزايد عدد السكان ويعيش المجتمع الزراعى المتشابه حول قرى تصبح مراكز سياسية وزراعية واجتماعية ، ويأتى التخصص فى الوظيفة مصاحبا للثورة المدنية .

وهذه المجتمعات الكبيرة تقوم على معاونة الناس بعضهم لبعض ، واعتماد بعضهم على بعض ، وبذلك صارت هناك حاجة إلى قواعد متعارف عليها تنظم العلاقات فى هذه المجتمعات المتعاونة . وهكذا نشأ التنظيم الادارى ونشأ القانون العام ونشأت الحاجة إلى دين قومى .

وتؤدى الثورة المدنية طبقا لرأى «تشيلد» إلى قيام دولة عظيمة الشأن فيها طبقة من الموظفين لتنظيم الأعمال المدنية والكهنوتية ، ولها قوة من الشرطة لتضمن الامتثال لطقوس الديانة وأوامر القانون .

ومهما تكن الانتقادات التى وجهت لهذه النظرية وغيرها من النظريات التى تفسر قيام المجتمع المصرى الأول ، فانه ليس موضع شك أن وظيفة الشرطة صاحبت الدولة منذ قيامها لأنها جزء أساسى من مقوماتها ، ولسنا نستطيع تصور وجود دولة دون وجود جهاز ينفذ أوامرها ويفرض سلطانها .

ان وجود أية نظم فى أى مجتمع يعنى بالضرورة وجود هيئة تكفل لها صفة الالتزام ، ولذا فان وظيفة الشرطة – فى صورة من الصور – وجدت حتى فى التنظيمات الأولى التى سبقت قيام الدولة بالمعنى المفهوم لان وجود أية نظم يستلزم وجود من يقوم عليها ويضمن تنفيذها ، وتلك هى وظيفة الشرطة .

وظيفة جهاز الشرطة

إذا قلنا أن وظيفة الشرطة صاحبت الدولة منذ نشأتها ، فليس يعنى ذلك أن جهاز الشرطة وجد بصورته المنظمة المستقلة مع وجود الوظيفة لاننا سنرى أن الشرطة كجهاز مستقل له كيانه الخاص لم تتأكد لنا الا فى عهد الدولة الحديثة ، وقبل ذلك كانت تختلط بالجهاز الادارى وبالجيش حتى ليصعب فصلها وتحديد دورها الخاص . ولذا فانه ينبغى علينا أن نفرق بين وظيفة الشرطة وجهاز الشرطة ذاته .

فوظيفة الشرطة كما قدمنا هى ضرورة وجدت مع أول نظم شهدها المجتمع . أما جهاز الشرطة ، ونعنى به هيئة أو سلطة لها كيانها المستقل عن كل أجهزة الدولة الاخرى بما فيها الجهاز الادارى والجيش ، فكانت وظيفته الرئيسية حفظ النظام وإقرار الأمن وإجبار الافراد على احترام سلطة الدولة . هذا الجهاز كان وجوده بصورته المستقلة يستلزم بعض التطور .

على أن قولنا أن جهاز الشرطة فى الدولة الحديثة أصبح له كيان مستقل عن أجهزة الدولة بما فيها الجهاز الادارى والجيش . هذا القول لا يعنى بطبيعة الحال أن جهاز الشرطة عرف التخصص الوظيفى ، بمعنى أنه اقتصر على طائفة معينة من الموظفين والجنود يندرجون فى سلكه فقط ويتخصصون فى عمله فقط .

فقد كان من الجائز دائما – وفى كل وقت – أن يتقلد وظيفة الشرطة أفراد من رجال الجيش والادارة والكهنة وغيرهم ممن يتمتعون بثقة الفرعون الشخصية دون أن يكون فى ذلك ما يبرر إدماج وظيفة الشرطة مع وظيفة الجيش أو الادارة ، فقد كان لها كيان مستقل .

ومن الخطأ الواضح القول أنه لم يكن هناك شرطة فى مصر القديمة ، وانها كانت مختلطة بالجيش لأن رجالها كانوا يختارون من الجيش فى حالات كثيرة .

فمنذ سنوات قليلة فى مصر المعاصرة كان بعض ضباط الشرطة يختارون من ضباط الجيش ، ويندرجون فى سلك الشرطة . بل ولا يزال بعض ضباط الجيش يعملون حاليا فى مصلحة السجون وهى جهاز يتبع الشرطة . دون ان يكون فى كل هذا مبرر للقول أن جهاز الشرطة ليس له وجوده المستقل وانه مختلط بالجيش [1] .

وعلى أى حال فالشرطة منذ عهد الدولة الحديثة على الاقل أصبحت جهازا متميزا عن أجهزة الدولة ، ومع أن افرادها ظلوا يختارون من رجال الجيش أو الادارة و الكهنة الا أنهم بمجرد تقلدهم وظائفهم كانوا يباشرون عملا متميزا عن عمل الجيش والادارة والكهنة .

الفصل الأول

الشرطة فى عصر الأسرات المبكر

(العصر العتيق)

لا نستطيع ان نتبين جهاز الشرطة – خلال هذا العصر – الا مختلطا بالنظام الادارى مرتبطا به ... فالملك كان على رأس الجهاز الحكومى . وكان للحكومة موظفون عديدون على اتصال بالقصر الملكى بمدينتى «بى» «ونخن» [1] بالوجهين البحرى والقبلى وقد عهد إلى هؤلاء الموظفين حفظ العدالة والنظام فى الدولة .

وقد اثارت مسألة وجود الوزير على رأس الجهاز الادارى فى ذلك الوقت مشكلة بين المؤرخين ، فالذين يقولون بوجود وظيفة الوزير يعتمدون على رسم موجود على لوحة نعرمر يمثل رجلا يتقدم الملك وقد حمل لقب «ثت» . وهى كلمة قريبة جدا من لفظ «ثاتى» ومعناها منذ الدولة القديمة (وزير) .

ومهما يكن الأمر فليس من شك أن توحيد القطرين استدعى إزديادا كبيرا فى أعمال الحكومة والأعباء الجديدة استلزمت بطبيعة الحال أن يكون هناك شخص ما يمثل الصلة بين موظفى الدولة والفرعون – وهو الشخص الذى شاهدناه فى لوحة الملك نعرمر يسير امام الفرعون – وسواء كان هذا الشخص يحمل لقب الوزير فعلا كما يظن إدوارد ماير أو لا يحمله كما يعتقد دريتون ، فليس من شك أنه كان يقوم بوظيفة وزير بصرف النظر عن اللقب الذى يحمله . ومعنى هذا أن وظيفة الوزير بمعنى موظف كبير على رأس الجهاز الادارى كانت موجودة وقائمة سواء كان شاغلها يحمل لقب الوزير فعلا أو يحمل لقبا آخر .

ومن أهم الوظائف فى ذلك العهد وظائف حاملى أختام الاله (أى حاملى أختام ملك الوجه القبلى وحاملى أختام ملك الوجه البحرى) [٢] . وهذه الألقاب وجدت منذ أواسط الأسرة الأولى وبقيت طوال الدولة القديمة . وهؤلاء الموظفون كانت مهمتهم الرئيسية إدارة البعثات فى المناجم والرحلات التجارية فى الخارج ، ولهذا السبب كان لديهم غالبا جنود مسلحون تحت ادارتهم ، لان التجارة أو استغلال المناجم كانا يحتاجان إلى حماية خاصة وهو عمل من أعمال الشرطة .

وقد كانت مصر مقسمة إلى مقاطعات حتى قبل ذلك العهد ، ومنذ العصر العتيق نلاحظ ظهور لقب (عج مر) ومعناه المشرف على حفر القنوات [٣] ، وهو اللقب الرئيسى لحكام المقاطعات عند ابتداء الدولة القديمة . ويظهر ان حملة هذا اللقب فى العصر العتيق كانوا هم أيضاً حكاما للمقاطعات وكان يقع على عاتقهم ان يحصلوا من الارض على أحسن غلة ممكنة ، وكان عليهم عبء الاحصاء وتدوين ارتفاع الفيضان وملاحظة حالته لتجنب المجاعة .

وبعبارة أخرى كانوا مسئولين مسئولية كاملة عن شئون إقليمهم ، وليس من شك أن كان فى مقدمة مسئولياتهم المحافظة على الأمن والنظام فى مقاطعتهم وهو أمر ضرورى حتى يمكنهم تحقيق مسئولياتهم .

وقد استخدم المصريون النوبيين فى أعمال الحراسة . بالنسبة لصفاتهم الحربية وخاصة قبائل المازوى . وكانت امثال هذه القبائل تفد إلى مصر طامعة فى عيش أرغد بالنسبة لفقر بلادهم .

وهكذا فان جهاز الشرطة فى العصر العتيق لا نستطيع أن نتبين معالمه المستقلة عن النظام الادارى فقد كان يرتبط به إلى حد بعيد وكان يرتبط أيضا بالوظائف الحربية .

الفصل الثانى

الشرطة فى الدولة القديمة

ينبغى علينا نتحدث عن الشرطة فى الدولة القديمة ، أن نلقى نظرة على الجهاز لادارى وتطوره .

كان الوزير على رأس الادارة المركزية ، ويرى دريتون أن هذه الوظيفة ظهرت فى عهد لملك سنفرو . ومهما يكن من أمر فانه كان هناك موظف تمر به كل الاشغال الهامة قبل ان تعرض على الملك . وكان يعاونه رؤساء الارساليات الذين ينقلون اليه تقارير الادارات الاقليمية وهم حملة أختام الاله وتحت قيادتهم فرق مسلحة من الجنود – كما كان الحال فى العصر لعتيق – تعاونهم على تنفيذ مأمورياتهم التجارية واستغلال المناجم والمحاجر .

أما فى الاقاليم ، فكان حكام المقاطعات فى النصف الاول من الدولة القديمة تابعين تماما سلطة المركزية خاضعين لنظام النقل من مكان لآخر . وليس أدل على ذلك من أن واحدا منهم لم يذكر إسم المقاطعة التى يحكمها بل كان تركزهم عند موتهم حول مقبرة الملك(1) .

اما فى النصف الثانى من الدولة القديمة فقد قويت الروابط بين الحكام ومقاطعاتهم وضعفت صلتهم تدريجيا بالبلاط ، فاخذوا يقيمون المقابر فى اقطاعياتهم ، وساعدهم على ذلك ـ اصبحت مناصبهم وراثية ، وهكذا نشأت أسرات امراء الاقطاع فى الأقاليم .

واذا حاولنا أن نلتمس الجهاز الذى قام على الشرطة ودوره فى حفظ النظام والأمن فى بلاد فانه لما كانت حدود البلاد هى المناطق المعرضة دائما لاضطرابات الأمن فيها بسبب غارات بدو الشرق والغرب وهجمات الجنوبيين . وهذه الغارات التى تعرضت لها حدود البلاد فى هذا الوقت لم تكن تستهدف الغزو بالمعنى الذى نفهمه ، إنما كانت تقصد السلب والنهب . وما يتبع ذلك من إشاعة الاضطرابات واختلال الأمن ، لذا نرى الملك زوسر يقسم حدود بلاد إلى مناطق ويطلق عليها (أبواب المملكة) ويجعل فى كل منها حامية ، وقد نصب على كل

من هذه المناطق حاكما خاصا يلقب «مرشد الارض» «سشم تا» وكان لهؤلاء الحكام الكلمة العليا على حكام المقاطعات ، وكانت فى يدهم إدارة الشرطة كل فى منطقته ، ولذلك كانوا مسئولين عن الأمن والنظام فى هذه المناطق .

وفى عهد سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة نجد لكل مقاطعة حاكما يعينه الملك يحمل لقب «نائب الملك» ، وهذه التسمية تدل على أن حاكم المقاطعة كان تحت إدارة الملك مباشرة ، وكان المسئول الوحيد أمامه فى مقاطعته .

وكان تحت ادارة حاكم المقاطعة عدد من الموظفين يساعدونه على تصريف الأمور ولما كان حاكم المقاطعة مسئولا عنها وبخاصة عما يتعلق بالأمن والنظام وتحصيل الضرائب فقد وضعت تحت يده ادارة الشرطة فى مقاطعته .

وتدل المعلومات المستقاة من وثائق الأسرة الخامسة أنه كانت توجد فرق تؤلف حاميات ثابته داخل المدن وكانت تحت تصرف السلطة المدنية لضمان حفظ النظام ولتمكين رجال السلطة من الالتجاء إليها لتنفيذ القانون .

وفى عهد الملك ببيى الأول كان على القبائل النوبية (ارثت ومجا وايام) [٣] تزويد البلاد برجال الشرطة ، وقد استخدمت فرق العسس منهم .

واذا حاولنا أن نضع صورة لنظام الشرطة الذى كان قائما فى عهد الدولة القديمة نجد أن الشرطة مرتبطة بالنظام الادارى مختلطة به . فنائب الملك فى المقاطعة والذى كان يطلق عليه (حكاحت عات) قبل الأسرة الرابعة والذى صار بعد الأسرة الرابعة (القاضى حاكم المقاطعة) كان هو رئيس الشرطة فى مقاطعته فقد كان العظيم «متن» فى أواخر الأسرة الثالثة حارس اقليم وحاكم مقاطعة الحدود الغربية ويطلق عليه لقب رئيس الشرطة ، وكان القاضى حاكم المقاطعة يحيط به موظفون نجد من بينهم من يحمل لقب «القاضى رئيس الشرطة» وهو قاضى له السلطة على قوة مسلحة وهذه القوة كانت فى خدمة العدالة ويتألف منها رجال الشرطة .

وفى عهد الأسرة الخامسة كان حاكم المقاطعة رئيس الشرطة كذلك . واستمر هذا النظام قائما فى أيام الأسرة السادسة ، ولكننا نلحظ بوضوح فى هذا العهد اختيار نوبيين حراسا يسهرون على الأمن فى العاصمة وربما فى غيرها من المدن أيضا ، إذ كانوا كثيرا ما يفدون إلى مصر للعمل بها وخاصة لانهم امتازوا فى العمل كحرس فى المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية

وهناك من النصوص ما يشير إلى ان بين هؤلاء النوبيين من كانوا يعملون كحرس للجبانات الملكية ، كما يتضح من مرسوم دهشور فى عهد ببيى الأول وخاصة من العناصر التى عرفت باسم المازوى الذين ينتمون إلى القبائل المعروفة باسم المجا .

وقد ركزت الحراسة على الأهرامات الملكية والجبانات ، إذ خصص لها حرس من الجنود النوبيين ، كما كانت هناك حاميات ثابتة من النوبيين أيضا للمحافظة على الأمن فى مناطق الحدود والمقاطعات .

كما كانت أيضا محروسة بعناية ونظام دقيق . لأننا نرى الحكيم «ابيو – ور» [٤] يتساءل فى عهد الفوضى الذى أعقب سقوط الدولة القديمة «لماذا اصبحت الطرق غير محروسة ويختبىء الناس بين الأشجار حتى يأتى الشخص الراكب فيأخذون منه أحماله ويسرقون ما معه» .

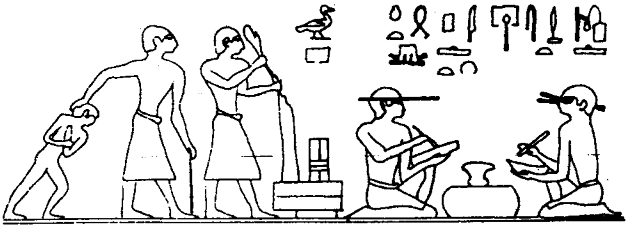

الفصل الثالث

الشرطة فى العصر الاقطاعى الأول

خلال العصر الاقطاعى الأول لا نستطيع ان نتبين جهاز الشرطة مستقلا بذاته انما اختلط تماما بالجيش فقد كان أمراء الاقاليم كل واحد منهم يحيط نفسه ببلاط صغير وله جيش لحماية الاقليم من اعتداء أى إقليم مجاور وفى الوقت نفسه لنشر الطمأنينه والأمن بين السكان .

وهكذا كانت قوات الاقاليم فى ذلك الوقت تؤدى دورا مزدوجا لصيانة الأمن فى الداخل والخارج على السواء . إذ كان الحكام يتنافسون فيما بينهم ويتباهون بقدرتهم على إشاعة الأمن فى أقاليمهم . فهذا «تف ايب» [١] حاكم إقليم أسيوط يذكر لنا أنه كان صاحب فيلق قوى من الجنود أقام منهم حراسا على حياة الناس وتأمين سلامتهم «وحتى دعى لى النائم فى العراء ، لانه كان آمنا كمن ينام فى بيته لأن همة عساكرى كانت كفيلة بنشر الأمن على الناس وحماية أرواحهم» .

هذا بالنسبة للأقاليم اما بالنسبة للسلطة المركزية فاننا نفهم من قصة الفلاح الفصيح من هذا العصر – إذا صدقت كلماته – أن مدير البيت العظيم كان صاحب الاختصاص الاول فيما يتعلق بالأمن فى أنحاء البلاد . لان الفلاح الفصيح [٢] يقول فى إحدى شكاياته «إنى أعرف رب هذه الضيعة ، فهى ملك مدير البيت العظيم وأعرف أنه هو الذى يقضى على كل سارق فى أنحاء البلاد ، فهل أسرق فى ضيعته ؟» ثم يخاطبه قائلا «لقد نصبت لتسمع الشكاوى وتفصل بين المتخاصمين وتضرب على يد السارق ولكنك تتحالف مع السارق» .

وكان أمير مقاطعة قفط فى العصر الاهناسى [٣] يشرف على طريق القوافل التجارية فى بلدته ، وبذلك كان المشرف على شرطة الصحراء فى منطقة طيبة القائمة بذاتها .

الفصل الرابع

الشرطة فى الدولة الوسطى

ظلت مصر فى عهد الدولة الوسطى [صورة رقم ٣٩] محتفظة بقسميها التقليديين – الوجه القبلى والوجه البحرى – كما يدل على ذلك قائمة المقاطعات التى كشف عنها فى معبد الملك سنوسرت الاول . وقد وجدت أحجاره مستعملة فى مبانى الصرح الثالث الذى أقامه أمنحتب الثالث فى معبد الكرنك ، ويلاحظ ان كلا القسمين قد رسم فوقه سماء منفصلة عن الاخرى .

وكان الوجه القبلى مقسما إلى قسمين : الاول يبدأ بالمقاطعة الاولى جنوبا وهى «آبو» [(١)] (الفنتين) إلى المقاطعة العاشرة وهى «وازيت» والثانى من المقاطعة العاشرة إلى المقاطعة الثانية والعشرين التى تسمى فى قائمة سنوسرت (حنت) أى الفاصلة وتسمى السكين فى قوائم البطالمة .

ومن ناحية أخرى نعلم ان مصر خلال الدولة الوسطى كانت مقسمة إلى ثلاثة اقسام ادارية كبرى : مصر العليا ، ومصر الوسطى والدلتا وتذكر لنا لوحة من «ابجو» [(٢)] أبيدوس شخصا يحمل لقب رئيس «وعرتو» المقاطعة الشمالية (وعرت محتت) لمدينة الجنوب اى فى طيبة .

وقبل عهد الملك سنوسرت الثالث ، كان يتولى إدارة المقاطعات حكام المقاطعات والناظر إلى ما فى مقابر بنى حسن [(٣)] من صور ونقوش يستطيع ان يرى بوضوح ، أن أمراء الاقاليم الذين دفنوا هناك كانوا يعتبرون انفسهم سادة لاقاليمهم اولا ، ثم خدما للملك ثانيا . وفى كل ما يفخرون بعمله يذكرون عن عمد انهم قد عملوه من اجل إقليمهم ، وبينما يفخر أسلافهم فى مقابرهم انهم كانوا محبوبين من الملك اكثر من جميع خدمه نراهم على العكس

يفخرون فى نقوش مقابرهم انهم كانوا محبوبين من مدينتهم . وبينما كان أمراء الاقاليم يؤرخون حسب سنى حكم الملك ، نجدهم إلى جانب ذلك قد زادوا عليها تأريخا بحسب سنى حكم أمير الاقليم .

غير أنه فى عهد سنوسرت الثالث حل محل أمراء الاقاليم ، موظفون من قبل الحكومة المركزية أرسلوا إلى المقاطعات ليكسروا من شوكة حكام الاقاليم . وكان لهؤلاء الموظفين نفوذ وسلطان مستمدان من نفوذ وسلطان الملك القوى نفسه . ويلاحظ فى هذا الشأن أن قبور حكام المقاطعات العظيمة اختفت بعد حكم الملك سنوسرت الثالث . فهذه الملكية إن لم تكن قد قضت على الاقطاع ، فانها على الاقل قامت بتغييرات رئيسية فى هذه الدولة الاقطاعية تجعل من الصعب علينا أن نغلق أعيننا على التغيير الكبير الذى حدث فى سلطة الملك .

وكان جهاز الشرطة خلال الدولة الوسطى لا يزال إلى حد ما مختلط بالنظام الادارى ... فالوزير هو رئيس الادارة الأعلى وممثل الفرعون ، وهو بهذه الصفة مسئول عن الأمن والنظام فى أنحاء البلاد ، فهو الذى يضع الخارجين على الطاعة تحت سلطة القانون ويفصل فى منازعات الحدود . ويجعل الاخ واخوته يعودون متصالحين بقرار من فمه ، وكان فى الوقت نفسه الرئيس المباشر لشرطة العاصمة . كذلك كان يقوم «الوعرتات» حكام مسئولون عن الأمن والنظام وتطبيق القانون . ولدينا فى ورقة بولاق رقم ١٨ وهى وثيقة كتبت فى عهد الملك «سبك حتب» [٤] جاء فيها قوائم باسماء الموظفين تحتوى على خليط من القاب البلاط والقاب الشرف والالقاب الفعلية . ونلاحظ بين الالقاب الواردة فى هذه الورقة لقب «الوعرتو الكبير» لاهالى المدينة (وعرتو عانيوت) الذى كان يقوم بدور المأمور تقريبا فى نظامنا الحالى .

وكان رجال الادارة هم المشرفون على تطبيق القانون ، ولذا كتب أحد موظفى الدولة الوسطى مفتخرا «كنت أعرف القانون تماما ، وأنفذه بكل حزم وحذر» .

ولدينا من عصر الأسرة الحادية عشر لوحة لموظف عظيم يدعى «ثيثى» ، عاصر الملك واح عنخ انيوتف [٥] من ملوك الأسرة الحادية عشر ، يقول «اذا وليت عملا مثل تحقيق شكاية أو فحص ملتمس انسان ، كنت عادلا ولم أعتد أن أتخطى التعليمات التى فرضت على ولا أن أضع شيئا مكان آخر» فاذا كان هذا الموظف كما نعتقد يؤدى عملا من أعمال الشرطة ، فان هذا يوضح لنا بجلاء ان الشرطة كانت تعمل وفق تعليمات منظمة كان على رجالها ان يلتزموا بها .

وكانت الصحراء فى ذلك الوقت مأوى الفارين والمجرمين . لذلك ركز ملوك الدولة الوسطى جهودهم للاشراف على الصحراء ، وكان رجال شرطتها هم أنشط رجال الشرطة فى ذلك الوقت . ويبدو أن الصيادين فى الصحراء كانوا يقومون ببعض أعمال الأمن فيها لدرايتهم بمسالكها ، وان لم يكونوا متفرغين لهذا العمل ، فقد سجل لنا «حننو» الذى أرسله الملك منتوحتب الثالث ليبعث بسفينة إلى بلاد بنت نقشا بوادى الحمامات يقول فيه «لقد خرجت من قفط على الطريق التى أمر بها جلالته ... وقد كان الجيش يمهد لنا الطريق قاهرا أولئك الذين كانوا غير موالين للملك ، وقد قام الصيادون وأبناء الجبال حراسا لهم» .

ولدينا نقش من عهد الملك منتوحتب الرابع [٦] بوادى الحمامات سجله لنا «سعنخ» الذى كان يحمل ألقاب «قائد جنود الصحراء ، ومدير بيت فرعون ، وقائد الأسطول النهرى» يقول فيه : «لقد كنت قائد جنود هذه الأرض قاطبة فى الصحراء ، مجهزا بقرب الماء والسلات والخبز والجعة ، وكل الخضر اليانعة من الحبوب ... وقد توغلت فى سيرى حتى البحر الأحمر وأسرت شبابها واستوليت على الماشية وجبت الصحراء» .

ويقول «ودديكو» أحد عمال الملك سنوسرت الأول «لقد غادرت طيبة بوصفى شريفا يعمل كل ما يمدح على رأس جيشى من الشباب ، لأعيد الحكم فى أرض الواحات بوصفى موظفا ممتازا» .

وقد عثر كذلك على لوحة من عهد الدولة الوسطى (بمتحف برلين حاليا) لموظف يحمل لقب رئيس الصيادين ، وفى الوقت نفسه يلقب بلقب (مدير الصحراء الغربية) وفى هذه اللوحة وصف مختصر لنشاطه ويقظته بوصفه رئيسا للمرور والشرطة فى هذه الجهات ، فيقول : «لقد وصلت إلى الواحات الغربية ، وفحصت كل اطرافها واحضرت الهاربين الذين وجدتهم هناك ،وظل جنودى سالمين ولم تحدث بينهم اى خسارة فى الانفس» .

فهذه النصوص التى وصلتنا من عهد الدولة الوسطى توحى لنا ببداية ظهور الشرطة كجهاز مستقل له كيانه الخاص . ولكنه استقلال لم يكتمل بعد فهو لا يزال يرتبط بالنظام الادارى كما كان الحال قبل ذلك ، فالدولة الوسطى هى الخطوة الاخيرة لتطور جهاز الشرطة واتجاهه نحو الكيان الواضح المستقل الذى ظهر فى الدولة الحديثة .

على أنه يهمنا أن نذكر أن الشرطة لا يمكن ان تستقل عن الجهاز الادارى كل الاستقلال ، وحتى فى العهود الحديثة لم يحدث ذلك ، وانما الفارق بين الدولة القديمة والوسطى والحديثة – فى جهاز الشرطة – فوارق فى الدرجة وليست فى النوع .

ففى عهد الدولة القديمة وخلال العصر الاقطاعى لا نجد اثرا واضحا يبين لنا وجود جهاز للشرطة مستقل عن الجهاز الادارى أو الجيش ، كما سبق بينا ، ثم تطالعنا النصوص خلال الدولة الوسطى بأقوال بعض الذين شغلوا وظائف الشرطة ، ونحس من احاديثهم انهم يشغلون وظيفة معينة تستقل او تكاد عن وظائف الادارة . ثم تتضح هذه الحقيقة خلال الدولة الحديثة أكثر وأوضح .

وعلى أى حال يمكننا ان نتصور جهاز الشرطة فى الدولة الوسطى ان الوزير كان على رأس هذا الجهاز فى الدولة كلها اذ يحدثنا منتوحتب وزير الملك سنوسرت الاول عن اختصاصاته فيقول انه سن القوانين وصدق على مستندات الحدود ففصل بين مالك الارض وجاره وانه نشر السلام فى ربوع البلاد كرجل حق بين القطرين وشاهد صدق مثل الاله تحوت ، وكانت كلماته تؤلف بين الاخوة فيعودون إلى بيتهم فى سلام ، وكان يجعل الذين تحدثهم انفسهم بالشر أو التألب على الملك يرتعدون خوفا ، وقد قبض على زمام سكان الصحراء وجعل البدو يهدأون .

وكان الوزير بالاضافة إلى اختصاصه العام بالنسبة للشرطة يتولى شئون العاصمة ويشرف على رجال الحفظ والأمن فيها .

ويلى الوزير حكام الاقاليم ويشرفون على الشرطة فى اقاليمهم ، كما كان حكام الصحراء يتولون نفس المهمة فى اقاليمهم ، ويبرز لنا خلال الدولة الوسطى بعض الذين شغلوا وظائف رئيسية فى جهاز الشرطة ، وتحدثوا عن اعمالهم فيما يتعلق بوظائفهم كرجال شرطة ، فكان هذ بداية تابعت سيرها خلال الدولة الحديثة .

أما جنود الشرطة فى عهد الدولة الوسطى فيبدو انهم كما كان الحال فى الدولة القديمة يجمعون تقريبا من بلاد النوبة .

وفى عهد الاضمحلال الثانى يبدو أن النظام سار على ما كان عليه خلال الأسرة الثانية عشر . فالاحتمال ضئيل فى ان ملوك هذا العصر جددوا فى الناحية الادارية أو غيرها ، انما حاولوا فى كل شىء ان يقلدوا أسلافهم الامجاد .

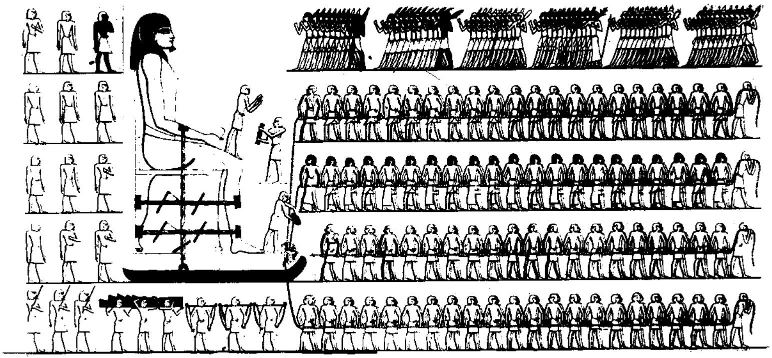

الفصل الخامس

الشرطة فى الدولة الحديثة

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : النظام الادارى فى الدولة الحديثة .
المبحث الثانى : جهاز الشرطة .

المبحث الأول

النظام الادارى فى الدولة الحديثة

كان الملك فى بداية الأمر على رأس الجهاز الادارى للدولة ولكن نظرا لاتساعه وتشعبه استعان بوزير يساعده . ولما تضاعف العمل بتطور النظم واتساعها عجز الاثنان الملك والوزير عن القيام بالعمل فعين الملك وزيرا ثانيا ، وهكذا نجد مصر فى أوائل الدولة الحديثة قسمت إلى قسمين واضحين يشرف وزير على سير الأمور فى كل منهما فالقسم الجنوبى تحده الأشمونين شمالاً فى حين ان القسم الشمالى يبدأ من الأشمونين حتى ساحل البحر . وكان مقر الوزير فى الشمال مدينة منف بينما كان مقره فى القسم الجنوبى مدينة طيبة . وقد ظل الحكم فى المقاطعات كما كان من قبل ، فأصبح الحاكم يعين من قبل الفرعون بدلا من أن يتولى عن طريق الوراثة .

وبذلك عادت البلاد إلى نظامها القديم الذى عرفته فى النصف الأول من الدولة القديمة النظام الذى كفل لها الأمن وضمن لها الاستقرار ، فقد عاد للملك الاشراف الفعلى على حكام المقاطعات ، وكان فى هذا الدليل على عودة قوة الملكية وبداية ازدهارها من جديد . ولكن الملكية هنا لم تعتمد على الحق الالهى وقداسة الفرعون معظم الاعتماد . كما كان الحال فى الدولة القديمة ، فقد ضعفت الهالة المقدسة التى أحاطت بالفرعون ، وأصبح على الملك أن يعتمد أيضا على سلطة الجيش وقوة الشرطة .

وأشرف حاكم المقاطعة على إدارتها بمعاونة جمهرة من الموظفين ، يشكلون معهم مجلس الحكم فى الاقليم . وكان على المقاطعات أن ترسل تقاريرها إلى الوزير المختص ثلاثة مرات فى السنة فى أول يوم من الشهر الرابع من كل فصل من الفصول الثلاث أما عدد الأقسام بين أسيوط والشلال الأول فيبلغ ٢٧ ويغلب أن يكون عدد الأقسام شمالى أسيوط معادلا لذلك على الأقل . ومعنى هذا أن عدد الاقسام الادارية قد تغير عما كان عليه الأمر من قبل ، فيلاحظ

أن عددها قد ازداد وبالتالى فإن مساحة المقاطعة قد صغرت ، وربما كان القصد من ذلك إعطاء حكام المقاطعات الفرصة لاحكام رقابتهم عليها ، فكلما قلت مساحة المقاطعة ، كلما وجد الحاكم فرصة أكبر لبسط إشرافه الفعلى عليها .

وداخل هذه الأقسام الادارية الكبيرة نجد المدن الصغيرة كان يعين عليها رؤساء . أما القرى فكان يعين عليها بعض الكتبة تحت إشراف كاتب منهم .

وكان من جراء ظهور طيبة واتخاذها عاصمة للملك فى عهد الدولة الحديثة بوصفها مقرا للاله آمون [1] ، أن عين لها حاكما خاصا أطلق عليه لقب عمدة المدينة الجنوبية .

وكانت الادارة ونظام الحكم ممثلة فى الآلهة «سشات» ربة الكتابة وتمثل على هيئة امرأة جالسة على كرسيها وبيديها قلم وقرطاس تكتب عليه [2] .

ونلاحظ بصفة عامة فى النظام الادارى فى الدولة الحديثة أن الفرد كان يشغل عدة وظائف فى وقت واحد ، قد لا تمت لعمله الاصلى بصلة ، فطالما كان الفرد متمتعا بالثقة فليس هناك ما يمنع من أن يسند اليه مزيد من الوظائف والاعمال ، فمثلا نجد «منموسى» يباشر الأعمال التى تتعلق باقامة المبانى فى أكثر من ١٢ معبدا . كما صحب تحتمس الثالث فى حملات النوبة وسوريا [3] بالاضافة إلى قيامه بجمع الضرائب وكان يعمل أيضا كمباشر للكهنة فى المعابد التى يعمل بها .

كما نلاحظ أيضا أن معظم الموظفين الذين شغلوا مناصب رئيسية كانوا من عامة الشعب الذين كونوا أنفسهم بأنفسهم فى تلك الفترة التى اختفى فيها كل الأمراء الاقطاعين ، ونستدل على ذلك من أن معظم هؤلاء الموظفين لم يذكروا أسماء أبائهم ، أو ذكروها مجردة من الألقاب حيث أن الارستوقراطية الموروثة أخذت تبتعد لتفسح المجال أمام طبقة أخرى من الموظفين تعتمد أول ما تعتمد على كفائتها الشخصية ، وربما كان هذا من أسباب استقرار الأمور ونضوج النظم فى الدولة .

المبحث الثانى

جهاز الشرطة

ويشمل :

١ - واجبات الوزير .

ويتضمن :

أ - المحافظة على المؤسسات العامة .

ب - سجلات المجرمين .

ج - تلقى تقارير موظفى الادارة .

د - حراسة الفرعون .

ه - الحوادث الهامة .

٢ - رؤساء الشرطة .

ويتضمن :

أ - رؤساء شرطة العاصمة .

ب - رؤساء شرطة الصحراء .

ج - اختيار رؤساء الشرطة .

د - مكانة رؤساء الشرطة فى الدولة .

٣ - رجال الشرطة .

جهاز الشرطة

ونجد الوزير على رأس جهاز الشرطة ، الذى كان هو الرئيس الاعلى لها فى العاصمة بل وفى القسم الذى يتبعه من الدولة . وكانت تعرض عليه القضايا الجنائية وعليه أن يدير الابحاث ويتابعها وكثيرا ما قام الوزير بجولات فى جهات مصر لتفقد أحوال الادارة والنظام ، ولذلك كانت توجد تحت تصرفه الشخصى سفينة حكومية تنقله إلى حيث يشاء ويدخل تحت اشراف الوزير ايضا حرس الملك الخاص .

وعلى العموم كان الوزير هو القوة المحركة لنظام الحكومة طوال الدولة الحديثة بوصفه الرئيس الأعلى للجهاز الذى يتلقى الشكاوى وينشر العدالة وينصر الضعيف ويحقق الطمأنينة للجميع ، وكان عليه أن يكون مثلا يحتذى ، فعندما عين تحتمس الثالث وزيره «رخميرع» لفت نظره إلى ذلك قائلا : «يمقت الاله التحيز ، لا تصرف شاكيا دون ان تسمع شكواه ، واذا قدم لك متظلم شكوى فلا تطرده بغير سبب ، فإن كان لابد من طرده فبين له لماذا تطرده إذ أن الشاكى يفضل الاستماع إلى شكواه على ان يراها تجاب» .

١ - واجبات الوزير

خلف لنا «رخميرع» الذى شغل وظيفة الوزير فى النصف الأخير من عهد الملك تحتمس الثالث على جدران قبره - الذى يحمل رقم ١٠٠ فى جبانة شيخ عبد القرنة فى طيبة الغربية - نصا عدد فيه مهام الوزير نظمت سطوره على جدران قاعة الوزير ، وترجع اهميته أنه لا يتعلق بشخص «رخميرع» انما بواجبات عامة معروفة ، كان دور «رخميرع» بالنسبة لها هو مجرد تسجيلها . وقد عثرنا على ثلاث نسخ من هذا النص فى قبور ثلاث وزراء غير رخميرع وهى مقبرة «امنمحات» رقم ٢٩ ومقبرة «باسر» رقم ١٠٦ ومقبرة «آمون وسر» رقم ١٣١ واحدى هذه النصوص تعود إلى ما قبل عهد رخميرع والاثنان الآخران إلى ما بعد عهده وسنورد هنا واجبات الوزير فيما يتعلق بالأمن العام فقط كما جاء فى النص .

أ - المحافظة على المؤسسات العامة

يجب أن يقدم للوزير تقرير عن اغلاق المخازن وفتحها فى مواعيدها المقررة ، كذلك يجب أن توضع له تقارير عن خروج كل من يغادر البيت (ديوان ادارة البلاد) كذلك يوضع له تقرير عن جميع من وفد أو خرج من أرض الحكومة بأنهم دخلوا أن خرجوا أو أنهم سيدخلون وسيخرجون بمعرفة حاجبه .

وكان لزاما على الوزير أن يمثل أمام فرعون ، ليقدم له تقريرا عن حالة البلاد يومياً فى قصره . وكذلك كان عليه أن يدخله البيت العظيم على أثر أتخاذ رئيس الخزانة الاعلى مقعده عند العمود الشمالى . ويجب على رئيس الخزانة عندما يتحرك ركاب الوزير ويظهر عند مدخل البوابتين العظيمتين ، أن يأتى لينضم إليه ويقدم تقريرا يقول فيه : «ان كل أعمالك فى أمان وسليمة ، وكل موظف قائم بعمله وقد قدم لى تقريرا قال فيه أن شئونك آمنة سليمة وأن مقر الحكومة أمن سليم» وكان على الوزير بدوره أن يبلغ رئيس الخزانة الأعلى «أن كل اشغالك آمنة وسليمة كذلك كل ادارة من ادارات المقر الملكى والحكومة وقد وضع لى تقرير أن كل المخازن قد أغلقت وفتحت أبوابها فى الوقت المحدد وذلك بمعرفة كل موظف قائم بالعمل» .

وبعد أن يقدم كل من رئيس الخزانة الاعلى والوزير تقريره لزميله ، كان على الوزير أن يرسل رسلا لفتح أبواب الحكومة الملكية ويسمح بالدخول لمن يريد وكذلك بالخروج لمن يريد ، وكان على الحاجب أن يقوم بهذا العمل كتابة .

ب - سجلات المجرمين

فى حالة اتهام موظف ولم يكن فى مقدرته أن يمحو خطيئة عند سماع ظروف قضية «أى عند ما تتضح ادانته» فعلى الوزير أن يقيدها فى سجل المجرمين المحفوظ فى السجن الرئيسى ويتخذ مثل هذا الاجراء اذا لم يكن فى مقدوره أن يبرىء حاجبه من التهمة - فاذا وقع منهما مثل ذلك مرة أخرى فلا بد من تقديم تقرير عن ذلك - كما يبلغ عنهما أنهما مقيدان فى سجل مجرمين وعن السبب الذى من أجله قيدا فى هذا السجل بالنسبة لجرمهما .

حـ - تلقى تقارير موظفى الادارة

كان على موظفى الادارة أن يبلغوا الوزير كل ما يحدث فى منطقة نفوذهم فى بداية كل فصل من فصول السنة .

د - حراسة الفرعون

من واجب الوزير الاشراف على حشد الجنود والسير فى ركاب الفرعون عندما ينحدر فى النهر شمالا أو يصعد جنوبا وكذلك من واجبه ارسال الجنود والكتبة المحليين لوضع الترتيبات للفرعون .

هـ - الحوادث الهامة

من واجب الوزير أن يقوم بأتخاذ الاجراءات ضد أى مغتصب أو خارج عن القانون من أى مقاطعة وأن يكون هو الذى يحاكمه .

تلك هى واجبات الوزير كما تتضح لنا من نقوش مقبرة رخميرع وظل يتمتع بهذه الاختصاصات طوال عهد الدولة الحديثة وحتى فى فترات الضعف فى عصر الرعامسة المتأخرين ، ولدينا فى ورقة أبوت من عهد رمسيس التاسع قول «بورعا»عندما بلغه أن كاتبى الجبانة أبلغا «باسر» حاكم طيبة الشرقية ببعض الاتهامات فيما يتعلق بسرقات المقابر سجل «بورعا» فى تقريره للوزير : «فى حين أنها جريمة من هذين الكاتبين انهما ذهبا إلى أمير المدينة هذا ببلاغاتهم - فان اسلافهم لم يتقدموا قط ببلاغاتهم إليه بل إلى الوزير عندما يكون فى الجنوب - فاذا كان فى الشمال - فان بوليس الجبانة الملكى يذهب بوثائقهم إلى المكان الذى يكون فيه الوزير» .

ومن هذا نفهم أن الوزير كان يبلغ بالحوادث الهامة ففى مقبرة رخميرع منظر ابلاغ الرسائل للوزير حيث نشاهد خارج قاعة المحكمة رسولين قد وصلا على جناح السرعة يحمل أحدهما غصن زيتون وسهما وقد استقبل كل منهما رجلا آخر يحمل سهما فقط والاولان هما شرطيان يقومان بعمل رجلى بريد أما الثالث فيحتمل انه حاجب المحكمة .

وبالرغم من أن الوزير كان عصب الدولة فى كل نواحيها الا أن اشاعة الأمن والقضاء على المجرمين كانت أولى واجباته ويحدثنا عن ذلك رخميرع [صورة رقم ٤٠] فيقول «سواء كنت واقفا أم قاعدا فقد كانت عصاى على كتفى ضاربا بها المهاجم ، قضيت على عصابات المؤمرات الليلية ، وصددت المعتدى ، وابدت المجرمين على الماء واليابسة ، ولم أكن عبوسا فى وجه من قصدنى متظلما ولم أصده بل احتملته فى ساعة غضبه ، وخلصت الرجل الخائف من الشرس اننا نرى هذه المهمام المتعددة التى كلف بها الوزير ونتذكر فى الحال قول تحتمس الثالث لوزيره عندما عينه «أن منصب الوزير ليس حلوا قط ، بل أنه مر المذاق كالصبر» .

٢ - رؤساء الشرطة

كان الكثيرون يحملون إلى جوار القابهم لقب رئيس الشرطة ، وتحدثنا لوحة الاربعمائة سنة أن سيتى الأول كان يحمل بين القابه «رئيس المازوى» وشرطة الصحراء كما نجد بين نواب الملك فى النوبة من كانوا يباشرون قبل تعيينهم وظيفة رئيس الشرطة .

وقد رأينا أن كل من «روى» الذى كان رئيس الشرطة فى طيبة الغربية فى عهد تحتمس الثالث وأمنحتب الثانى وكذلك «نب آمون» رئيس الشرطة فى عصر تحتمس الرابع اختيروا من بين الضباط الحاملين لرتبة «حامل العلم» فى حرس الملك الخاص ، وهذا يدلنا على أن رئيس الشرطة كان ينتخب من بين الضباط الحاملين لرتبة حامل العلم . وكانت وظيفة الشرطة فى مرتبة فارس ولكن ذلك لم يكن قاعدة اذ نجد أن بعض الكهنة قد شغلوا وظائف رؤساء الشرطة فى عهد سيتى الاول ، كما أن «آمون ام أوبت وننفر» الكاهن الاكبر لآمون فى عهد رمسيس الثانى كان يشغل وظيفة رئيس شرطة .

على أى حال يمكن أن نميز بين نوعين من رؤساء الشرطة أولهم رؤساء شرطة العاصمة وأمهات المدن الكبرى مثل منف وقفط وثانيهم رؤساء الصحراء (المازوى) .

أ - رؤساء شرطة العاصمة

كانت طيبة الغربية لها اهمية كبرى بما تشتمل عليه من المعابد والمقابر التى كانت مليئة بالكنوز ، ولوجود طوائف العمال التى تقوم ببناء ونحت المقابر وزخرفتها ، ولذلك احتل رئيس شرطة طيبة الغربية مكانة خاصة ، على أننا من جهة أخرى لا يمكن أن نجزم بوجود رئيس شرطة فى طيبة الشرقية . وفى عهد الرعامسة حينما كانت مدينة طيبة يديرها عمدتان احدهما لطيبة الشرقية والآخر لطيبة الغربية ، نجد أن النصف الشرقى أى المدينة الحقيقية كان يرأسه «أمير المدينة» والنصف الغربى كان يرأسه «أمير الغرب والرئيس الاعلى لفرق بوليس مدينة الاموات» ، وكان الوزير هو الرئيس المباشر للقسمين معا .

وكان رئيس شرطة قفط هو الآخر له مكانته الهامة ، لأن قفط كان الطريق لجلب الذهب من وادى الحمامات ، ولذلك كان من الضرورى وضع نقط شرطة قوية هناك . وفى عهد الأسرة الثامنة عشر كان رئيس شرطة قفط يعمل باتصال وثيق مع مدير مناجم الذهب التابع لقفط وقد ظهر فى الرسوم التى على مقبرة «منخبر رع سنب» عند تسليم الذهب لرئيس الكهنة فى عهد الملك امنحتب الثانى وكان «ماحو» رئيس شرطة مدينة اخناتون قد استطاع أن يحبط المؤامرة التى دبرت لاغتيال الفرعون . وكان هو المسئول عن المحافظة عن الأمن والنظام فى تل العمارنة .

وكان الوزير هو الرئيس المباشر لرؤساء الشرطة فى المدن التابعة له ، وعلى هؤلاء أن يقدموا إليه كل ما يتعلق بوظائفهم ، ففى مقبرة «ماحو» [صورة رقم ٤١] فى تل العمارنة نشاهده وهو يتصل بالوزير الذى كان لابد أن يقدم له تقاريره وتدلنا ورقة أبوت على أن هذا النظام كان هو المتبع حتى نهاية الدولة الحديثة اذ نجد أن - «باسر» - حاكم طيبة الشرقية يهدد أنه سيبلغ الاتهامات الجديدة لديه للفرعون رأسا .

ومعنى هذا أن التقرير المباشر للفرعون من موظف داخلى بغير أن يمر على الوزير كان امرا غير طبيعيا .

فالتهديد بأبلاغ الفرعون رأسا بالاتهامات التى لديه ، مما يدل على أن ذلك كان أمرا غير طبيعى ، وأن المفروض أن يبلغ بها الوزير ، ولكنه هدد بتخطيه ، ربما لانه شعر أن الوزير غير محايد فى الصراع بينه وبين بويرو كما سنبين ذلك تفصيلا فيما بعد .

ب - رؤساء شرطة الصحراء

لم يقتصر الاهتمام على المدن فقط بل كانت الصحراء التى تكون جزءا كبيرا من أرض مصر موضع اهتمام شديد ، فعلى حدود الوجه القبلى من الشرق والغرب ، كان يقوم بالحراسة شرطة الصحراء ، وهم رجال خفاف الاجسام سريعوا الحركة معظمهم نشأ فى الصحراء نفسها .

وكان يسيطر عليهم مشرف يحمل لقب مدير الصيادين ، وكان مهمة هؤلاء الحراس القيام بأعمال الشرطة بتعقبهم الفارين إلى الواحات وحماية عمال قطع الأحجار من غارات البدو وصيانة الطرق المؤدية إلى مناجم الذهب .

وكانت الواحات فى عهد الأسرة الثامنة عشر مقسمة إلى قسمين الواحات الشمالية والواحات الجنوبية ولدينا لوحة فى متحف اللوفر لموظف يدعى «اتف نفر» عاش فى عهد الملك أمنحتب الأول وكان يشغل وظيفة عمدة الواحات قبل التقسيم كما كان المصريون منذ أيام الملك امنمحات الأول يرسلون الدوريات البوليسية للتفتيش على طرق الصحراء وتأمينها .

ويبدو أن أعمال الأمن فى الصحراء كانت تحت اشراف رئيس شرطة الصحراء (المازوى) الذى كان هو الآخر تحت الاشراف المباشر للوزير . على أنه قد يحدث أن يشغل الشخص الواحد وظيفة عمدة المدينة ورئيس المازوى كما حدث بالنسبة «لسثى» الذى كان يلقب فى عهد الملك تحتمس الثانى برئيس المازوى كما كان يحمل لقب «عمدة المدينة الجنوبية» أى طيبة .

حـ - اختيار رؤساء الشرطة

«سجل لنا نب أمون» الذى كان رئيس الشرطة فى طيبة الغربية فى عهد تحتمس الرابع والملك أمنحتب الثالث ترقيته إلى وظيفة رئيس الشرطة وذلك فى نص مؤرخ بالسنة السادسة من عهد تحتمس الرابع ، سجله على قبره الواقع فى جبانة شيخ عبد القرنة رقم ٩٠ جاء فيه «أن «نب أمون» بلغ سن الشيخوخة فى خدمة الفرعون – له الحياة والسعادة والصحة

بثبات وفى الحق – وانه كان يتحسن كل يوم فى انجاز ما أمر به ولم يقدم عنه تقرير سيء ، هذا فضلا عن انى لم أجده قد تعدى حدوده ، وأن كان قد وشى به فعلا – وقد أمر جلالتى أن يمنح وظيفة رئيس الشرطة فى طيبة الغربية» .

ومعنى هذا أن رئيس الشرطة بالنسبة لاهمية منصبه كان يراعى فى اختياره صلته الشخصية بالفرعون التى تجعله يطمئن له ، كما كان يشترط فيه – كما نفهم من النص السابق – السلوك الطيب والخلق الحسن .

د – مكانة رؤساء الشرطة فى الدولة

جاء فى اللوحة التذكارية للاحتفال بعيد الاربعمائة سنة التى أقامها الملك رمسيس الثانى ألقاب بعض من حضروا الاحتفال بمرور ٤٠٠ سنة على تتويج «ست» الها لمصر كلها فى عهد الهكسوس «لقد حضر الامير الوراثى والمشرف على العاصمة والوزير وحامل المروحة على يمين الملك ورئيس الرماة والمشرف على البلاد الاجنبية والمشرف على حصن ثارو ورئيس المازوى والكاتب الملكى والمشرف على الخيالة» .

فاذا كانت هذه الوظائف – كما نظن – مرتبة حسب مراكز افرادها الاجتماعية فانه يتضح لنا أن رئيس الشرطة كان يحتل مكانة لا بأس بها بين كبار موظفى الدولة .

٣ – رجال الشرطة

كان تحت أمر رئيس شرطة طيبة الغربية قواد فرق [صورة رقم ٤٢] كل منهم يسمى كذلك رئيس شرطة الجبانة . وفى عهد الأسرة الثامنة عشر ظهر بجانب قواد الفرق ، هؤلاء الذين كانوا يسمون رؤساء شرطة ، ضباط آخرون يلقب كل منهم «بحامل علم الشرطة» .

وكان رجال الشرطة خلال الدولتين القديمة والوسطى قوامهم من القبائل النوبية – كما سبق أن ذكرنا – وكانوا يعرفون باسم المازوى واستمر اطلاق هذا الاسم على رجال الشرطة فى عهد الدولة الحديثة وأن لم يكونوا من هذه الطائفة .

فأهالى المازوى مثلا قاموا بأعمال الشرطة فى عاصمة اخناتون وأتخذ منهم حرسه ويعتقد جاردنر أن المازوى كانوا فى ذلك العهد من المصريين لأمن الأهالى النوبيين .

وكان قوام قوات الأمن فى عهد الدولة الحديثة فرق خاصة من المصريين تحت السلاح دائما ولم يدخل فى عدادها فرق الجنود المرتزقة الذين كان يؤتى بهم من الخارج .

أما تنظيم فرق الشرطة فمن الجائز أن الكتيبة فى الشرطة كانت تتألف من نفس العدد الذى تتألف منه فى المشاة وهو مائتان وخمسون – كما نجد أن كل فصيلة كانت تتألف من خمسين رجلا .

أما أماكن مراكز الشرطة فلسنا على وجه التحقيق ، ولكن يظهر أن حصن الجبانة فى طيبة الغربية كان مركز الشرطة فيها ، لاننا نجد العمال المصريين فى عهد رمسيس الثالث يجتمعون عنده ويخرج اليهم هناك «منتوموس» رئيس الشرطة ينصحهم بالمحافظة على النظام . ويبدو أن رجال الشرطة بحكم وظائفهم – وكما هو متبع حاليا – يسكنون فى دائرة عملهم ، وقد ذكر لنا الجزء الأخير فى ظهر البردية رقم ١٠٠٦٨ بالمتحف البريطانى أن من بين ملاك ال أطظِ بيتا التى عددها النص فى طيبة الغربية فى عهد الرعامسة المتأخرين نجد أمير طيبة الغربية وضابطا مركز واثنان رؤساء شرطة وسبعة من رجال الشرطة . كما كشفت البعثات الالمانية والانجليزية التى حفرت فى تل العمارنة عن وجود ثكنات عسكرية كان يقيم فيها جنود المازوى (الشرطة)

والظاهر أن تموين الشرطة بالمواد الغذائية كان يشبه فى نظامه تموين الجيش ، اذ كان لرجال الشرطة نائب يسمى «نائب رجال الشرطة» وقد ظهر ممثلا على جدران مقبرة «نب مون» بوصفه من مرؤسا له ، كما نشاهد «ماحو» رئيس شرطة تل العمارنة يشرف بنفسه على حضار مواد الطعام لجنوده التى كانت يقدمها الأهلون ضريبة إلى مخازن رئيس الشرطة مباشرة . وهو نفس النظام المتبع فى تموين الجيش ، وهذه السخرة لتغذية الجنود كانت جارية فى البلاد منذ عهد الدولة القديمة .

وكان جنود الشرطة مسلحين بالأسلحة : المعروفة فى ذلك الوقت ، ففى مقبرة نب مون التى أشرنا إليها نجد الجنود الذين ، ربما كانوا يقومون باستعراض أمامه بمناسبة توليه وظيفة شاهدهم بعضهم مسلحين بعصى رماية والبعض الآخر بحراب . وفى مقبرة حويا بتل العمارنة

نشاهد منظرا يمثل تسلم الجزية من البلاد الأجنبية فالملك اخناتون والملكة نفرتيتى جالسين محفة فاخرة محمولة على الاعناق – ويسير فى ركاب الموكب ثلة من الجنود مسلحين بالعصى المعقوفة التى تحملها قبائل البدو وربما كانوا من هذه القبائل فعلا .

أما رمز وظيفة الشرطة فنشاهدها فى احدى مناظر مقبرة نب امون ، اذ نراه واقفا أم الملك ، وأمامه خادمان يحملان رموز وظيفته وهى بلطة وحزام أعشاب ومروحة . وقد كان العلامة المميزة لجنود الشرطة فى طيبة الغربية علما مصورا غزالة أما فى تل العمارنة فكانت در مستطيل الشكل رسم عليه عدو يضربه الفرعون .

ويبدو أن رجال الشرطة بحكم طبيعة عملهم كانوا يتميزون بالدهاء وسعة الحيلة – أ كان المفروض فبهم ذلك – ولدينا اوستراكا من عهد الدولة الحديثة عليها فأر يمثل قاضيا وأمامه طفل صغير مجرما ، وقط يمثل رجل الشرطة . ولعل فى تمثيل رجل الشرطة بالقط يشير إلى بعض صفاته .

وقد كان لرجال الشرطة مكانتهم بين افراد الشعب وربما كانت هذه المكانة قائمة على الرهبة والتقدير معا – فالحكيم آنى يلفت نظره ابنه أن يكون على وفاق مع رجال الشرط فيقول «اتخذ من شرطة شارعك صديقا – ولا تجعله يثور عليك – واعطه من طرائف بيتك حينما يكون منها فى بيتك (فى أيام العيد) ولا تتغاضى عنه وقت صلاته بل قل له «المدي لك» .

الفصل السادس

أجهزة الشرطة وأختصاصاتها

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : الشرطة المحلية .
المبحث الثانى : الشرطة الخاصة .
المبحث الثالث : الشرطة النهرية .
المبحث الرابع : شرطة المعابد .
المبحث الخامس : الحرس الملكى .

المبحث الأول

الشرطة المحلية

ونعنى بها الشرطة المنوط بها حفظ الأمن والنظام فى المدن ومناطق الصحراء ، وهى كانت تحت رئاسة رؤساء الشرطة فى المدن ، ورئيس شرطة المازوى بالنسبة لمناطق الصحراء .

أما نظام الحراسة داخل المدن ، فقد أوضحت لنا مقبرة نب أمون صورة منه اذ رسم لنا فى المقبرة موظفا جالسا تحت شجرة وبيده غصن يرمز به للعيد أو الفرح وقد أتى إليه «ترى» رئيس الشرطة فى الحى الواقع غربى طيبة ومعه رجلان فبلغ الضابط «ترى» عن الحالة قائلا : «ان الحى الجنوبى والحى الشمالى يسود فيهما النظام» ثم يضيف رجاله ويحتمل انهم رجال الدورية للحيين قائلين «ان المكان فى امان والنظام فيه جيد جدا» .

ولعل هذا هو ما نسميه بلغتنا الحديثة «اعطاء التمام عن الحالة» ونرى نظام الحراسة فى تل العمارنة فى مقبرة «ماحو» رئيس شرطة اخناتون اذ نجد محل الحراسة كان محصنا وليس له الا باب واحد والدخول فيه كان محروسا بسياج فى هيئة اعمدة يصل بعضها ببعض حبال حاجزة والظاهر انه كان هناك سلسلة بيوت حراسة صغيرة متباعدة حول المدينة وكان يحتل كل واحد منها حارس كما نشاهد مخزن اسلحة يحرسه ثلة من الجنود مسلحة تسليحا تاما . اما بالنسبة لمناطق الصحراء الغربية كان نظام الحراسات فيها يعتمد على دوريات بوليسية مهمتها المرور فى الطرق للتفتيش عليها وتأمينها ويرجع اول نظام قام فى الواحات إلى عهد الأسرة الثامنة عشر وكانت مقسمة مجموعتين وكان لها حاكم أو حاكمان احيانا تحت ادارة حاكم العرابة ولكن منذ الأسرة التاسعة عشر اصبح لها حاكم خاص بها . كما كان طرق التجارة عبر الصحراء الشرقية تحرسها دوريات مسلحة لضمان الأمن للقوافل وقد عززت الحراسة فى اماكن خاصة اذ كان الطريق من قفط «كبتوس» إلى محاجر الحمامات تحت حراسة عسكرية قوية تؤمنه وتحميه من لصوص البدو الذين كانوا يغيرون على المسافرين كما كانت مناجم الذهب التابعة لقفط سببا لتشديد الحراسة على هذا الطريق .

وقد كانت هذه الحراسة كافية فى الاحوال المعتادة ، أما فى حالة قيام بعثات كبيرة لاستغلال مناطق الصحراء ، فقد كان الامر فى معظم الاحيان يحتاج إلى تزويد الحملة بقوات من الشرطة ترافقها ضمانا لحمايتها وعدم الاكتفاء بالاعتماد على الشرطة المحلية فى المنطقة .

المبحث الثانى

الشرطة الخاصة

كانت سلامة الفرعون وضمان ولاء افراد الشعب له من الضروريات ، ذلك ان الفراعنة لم يعودوا الآلهة العظام الذين يخضع لهم الشعب بغير تفكير أو مناقشة ، فالاحداث التى مروا بها خفضت من عليائهم وقربت بينهم وبين افراد الشعب وعلمتهم ان بقاءهم على العرش يعتمد على قوتهم وقدرتهم على السيطرة على انحاء البلاد . وكان للحرس الملكى شأن كبير فى ذلك ولكننا نتساءل ... ألم يكن لدى الفرعون جهاز خاص تحت اشرافه المباشر أو تحت اشراف الوزير من واجهة ان يتحرى مدى ولاء كبار الموظفين للحكومة التى يرأسها الفرعون ؟ أو بمعنى آخر الم يكن هناك جهاز يشبه جهاز المباحث العامة حاليا ، ويختص بأمن الدولة فى الداخل ؟

ونجد ان «نب آمون» عندما يعينه تحتمس الرابع فى وظيفة رئيس شرطة طيبة الغربية [صورة رقم ٤٥] يذكر فى امر تعيينه «انه كان يتحسن كل يوم فى انجاز ما امر به – ولم يقدم عنه تقرير سيء وان كان قد وشى به فعلا – والآن قد امر جلالته ان يمنح وظيفة رئيس الشرطة فى طيبة الغربية .»

فالوشاية اذن هى شيء غير التقرير وليس من شك ان التقارير عن موظف كبير كهذا تختص بها جهة معينة لها اتصالها المباشر بالفرعون أو بالوزير على الاقل فانه كان يوجد جهاز مهمته تقديم التقارير للفرعون أو للوزير على الاقل عن كبار الموظفين وحكام الاقاليم للتأكد من ولائهم للعرش واخلاصهم لنظام الدولة .

ونقدر وجود هذا الجهاز منذ عهد الدولة الوسطى حين عهد فراعنتها إلى القضاء على نفوذ حكام الاقاليم ببث عيونهم حولهم ورصد عمالهم لمعرفة اخبارهم . ومما يساعدنا على ترجيح هذا الرأى ان رجال الشرطة قبيل الدولة الحديثة أثناء حروب التحرير وجدناهم يقومون

بالتحريات السرية على اعدائهم وجمع المعلومات عنهم فقد جاء فى لوحة كارنافون التى عثر عليها فى طيبة خاصة بحروب «كامس» ضد الهكسوس «لقد اقلعت منحدرا فى النيل بوصفى محاربا لأهزم «العامو» بأمر الاله أمون صادق النصيحة ، وقد كان جيشا شجاعا يسير امامى كأنه عاصفة من النار . وكان جنود المازوى فى مقدمة معاقلنا ليتجسسوا على مواقع السيتيو «الآسيويين» وليدمروا مواقعهم شرقا وغربا .

فاذا كان رجال الشرطة قد استخدموا التحريات السرية وجمع المعلومات عن الاعداء فليس ببعيد ان الفراعنة قد استخدموهم لغرض مشابه وهو التحرى عن مدى ولاء كبار الموظفين لهم ومدى اخلاص المواطنين لنظام الدولة القائم .

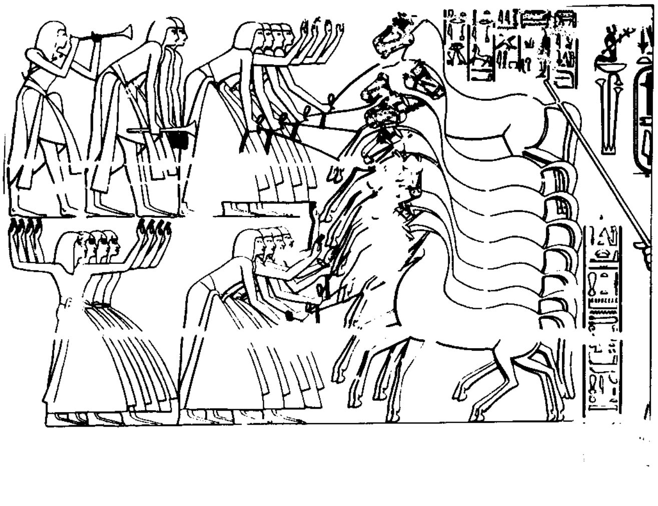

المبحث الثالث

الشرطة النهرية

لما كان النيل هو عصب المواصلات بالنسبة للدولة ، سواء بالنسبة لتنقلات الافراد أو شحن التجارة أصبح من الضرورى تأمين هذا الطريق الهام بالنسبة للمواصلات . ونعرف منذ عهد الملك منتوحتب الرابع ان «سعنخ» وكان يحمل بين القابه قائد جنود الصحراء وقائد الاسطول النهرى ونجد أن رخميرع وزير تحتمس الثالث تحدث عن نفسه وجهوده فى صيانة الأمن فيقول «ابدت المجرمين على الماء واليابسة» [صورة رقم ٤٦] .

ولما انتشرت القراصنة فى حوض البحر الأبيض المتوسط وعاث القرصان الليسيون فى انحائه فنهبوا بجرأة موانى قبرص ثم غلوا فى اجرامهم فانزلوا بعضا منهم على شواطىء الدلتا للنهب والسرقة ، اهتم الملك امنحتب الثالث بذلك وعين خفرا حربيا للسواحل المصرية يطوف على شواطىء الدلتا لمنع القرصان من الدنو من مصر ، ولا يسمح بالدخول فى مصبات الأنهار الا للسفن التجارية القانونية . وفى هذا الشأن يقول «امنحتب بن حابو» [صورة رقم ٤٧ ، ٤٨] أحد الموظفين الذين عهد إليهم بهذا العمل فى عهد الملك امنحتب الثالث « .. وقد احيط الاقليمان برقابة استطلاعية لمنع البدو ، وفعلت مثل ذلك عند رؤوس الأنهار التى اغلقها جنودى فى وجه الجميع ماعدا البحرية الملكية» . ولدينا فى مقبرة «قن امون» فى طيبة الغربية منظر يمثل سوق للتجارة على الشاطىء وامرأة أمام حانوت وقد حدث بجوارها حادث له علاقة بادارة الميناء ... اذ نرى بعض البحارة قد ساقهم رئيسهم امام ضابط من ضباط الميناء كان يدون اسمائهم وعددهم .

وتطالعنا قوانين حور محب باجراءات مشددة ضد من يعوق السفن التى تحمل الضرائب إلى خزينة الدولة تصل إلى جدع الأنف والنفى إلى مدينة ثارو ومن الطبيعى ألا يكون «حور محب» – ضمانا لسلامة السفن – قد اكتفى بمجرد التهديد بالعقوبات بل لعله قد اهتم ايضا

بتدعيم قوة البوليس النهرى الذى كان يقوم بدوريات نيلية ضمانا لسلامة الأمن بالنسبة للسفن .

وتظهر لنا هذه الحقيقة واضحة فى عهد الملك سيتى الأول فى تشريعه الذى اصدره للمحافظة على حقوق المؤسسة التى حبسها على الاله أوزيريس فقد جاء فى تشريع سيتى «أمر جلاله بس قانون ...» لمنع أى تدخل فى أمر أى شخص تابع للبيت المسمى «القلب فى راحة فى العرابة ..» وكذلك للتحريم على قواربهم الوقوف على الماء بأى «دورية تفتيشية» .

ونفهم من هذا التشريع انه كانت هناك دوريات تفتيشية تجوب النهر ، من حقها ان تستوقف السفن لتعرف وجهتها وحمولتها ، ضمانا للقضاء على أى قرصنة فى النيل وكان هذا النظام مطبقا بالنسبة لجميع السفن .

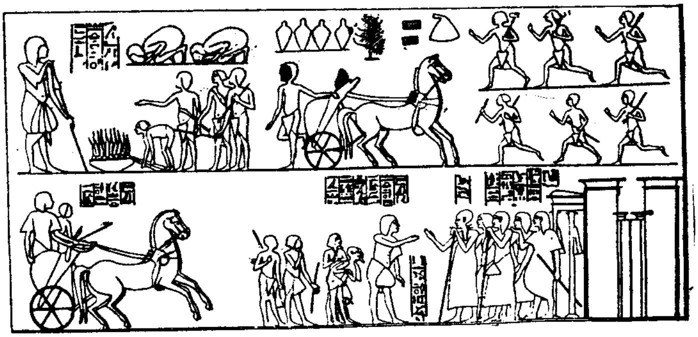

المبحث الرابع ٢٥٦

شرطة المعابد

كان للمعابد موظفوها وحراسها منذ عهد الدولة القديمة ، ويبدو ان اختصاصاتهم كانت تتعلق بالنظام داخل المعبد [١] وبممتلكاته فى الخارج ، وظل الحال كما كان فى عهد الدولة الوسطى ، وكان عدد حراس المعبد وموظفيه يتناسب بطبيعة الحال مع اهميته . فهذا معبد أنوبيس الذى كان قائما فى اللاهون فى أيام الملك سنوسرت الثانى له حراس ابواب بلغ عددهم ستة . ويظهر ان الكهنة كانوا يقومون بواجباتهم فى حراسة المعابد أيضا . فقد عثر على لوحة فى ادفو لموظف يدعى «ايوف» بدأ خدمته فى عهد الملكة عاح حتب والدة الملك أحمس الأول ، وقد قال فى النص الذى على اللوحة «لقد نصبنى كاهنا ثانيا للقيام على اوقاف مائدة القربان وحارسا لباب المعبد ، وكاهنا مطهرا ، وفى عهد الدولة الحديثة ازدادت ثروة المعابد بما اغدق عليها الفراعنة [صورة رقم ٤٩] ، واتسعت املاكها وبالتالى كبر عدد الموظفين العلمانيون ، فلابد من فلاحين لزراعة الارض والاهتمام بالماشية والحصاد ولابد من سفن لنقل المحصول ، وشرطة لمنع الاختلاس والغش والمحافظة على النظام ، وكان هؤلاء الجنود فى المعابد يتبعون لرئيس الكهنة ، وليس للشرطة المحلية ، فمن المعلوم ان رئيس كهنة آمون كان له جنود خاصون به .

ولدينا فى «مقبرة منخبر رع» رقم ١١٢ فى جبانة شيخ عبد القرنة ، (وكان يحمل لقب الكاهن الاكبر للاله آمون فى عهد تحتمس الثالث) منظرا للحصاد يفسر لنا واجبات «منخبر رع» بوصفه المشرف على مخازن غلال آمون فنشاهد القمح وقد طاب للحصاد ولكن قبل أن يحصد المحصول كانت تحدد الحقول ليقدر عليها نصيب آمون ، وكان يحضر احد رجال الشرطة وقت اجراء هذه العملية ليحفظ النظام .

وفى النصف الثانى من عهد الدولة الحديثة ، اتسعت ممتلكات المعابد وازداد سلطان الكهنة ونفوذهم ، فنعرف مثلا ان «بتاح مس» الكاهن الاكبر لبتاح فى عهد رمسيس الثانى وفى الوقت نفسه كان رئيس جند معبد بتاح . وكان «رومع روى» الكاهن الاول لامون فى عهد

مرنبتاح ، وفى الوقت نفسه رئيس جند آمون . وكان الملوك يهتمون بقوات المعابد ويعززونها ، فهذا سيتى الاول فى مرسومه الخاص بمعبد العرابة [٢] يذكر فيه «وقد عين له كهنة وضباط ....» . كما سار على نفس السياسة وزاد عليها رمسيس الثالث اذ نجده يذكر فى بردية هاريس صفحة ٢٨ للاله رع حور اختى وكل الهة هليوبوليس «... ونصبت عبيدا حرسا لمينائك لملاحظة قناة ميناء «هليوبوليس» فى المكان الفاخر (المعبد) ، ونصبت حراس أبواب من العبيد ، وأمددتهم برجال ليحرسوه ويراقبوه ، وجعلت عبيدا حراسا لادارة القناة ، وحراسا للشعير النقى لاجلك ايضا» .

وفى بردية تورين التى ترجع الى عهد رمسيس الخامس مايشير الى نظام الحراسة فى المعابد ودقتها ، فقد ارسل الوزير حينذاك رسولين لاستدعاء الكاهن المسمى «فاخبش» التابع لمعبد خنوم ويبدو انه كان شاهد ضد «بنعقت» التابع لنفس المعبد ، ولما وجد الرسولان ان «فاخبش» كان يقوم بالحراسة فى تلك الفترة صمما على ان ينتظراه حتى تتم خدمته ، (وكان كهنة كل معبد مقسمين أربعة طوائف ، كل منها كانت تقوم بالحراسة شهرا) ، ولم يستطع رسولا الوزير او لم يردا انتزاع الكاهن من حراسته بل قالا له «اننا لن نأخذك وانت تقوم بخدمتك الشهرية» .

وفى هذا دليل على ان نظام الحراسة فى المعابد كان قائما على اسس دقيقة صارمه . ويبدو ان الكهنة اخذوا يمدون سلطانهم شيئا فشيئا بعد ذلك ، واخذوا يبسطون سيطرتهم حتى على اختصاصات البوليس المحلى ، مادام الأمر يتعلق من بعيد أو قريب بالمعابد أو المقابر . ولدينا فى ورقة «امهر ست وليو بولد الثانى» البردية الخاصة بسرقة المقابر مايشير الى امتداد سلطة الكهنة وبخاصة أمنحتب الكاهن الأول لآمون أثناء التحقيق ، فهو الذى يكلف باحضار اللصوص المقبوض عليهم ، ويلقى بهم فى السجن التابع له «حصن بيت آمون رع» «ملك الآلهة» ، الى أن يقرر الفرعون عقابهم .

المبحث الخامس

الحرس الملكى

الى عهد الدولة الحديثة لم يكن هناك الا عنصر واحد لجيش قائم كان يتمثل فى اتباع الملك وهم بمثابة الحرس الملكى [صورة رقم ٥٠] . وفى عهد الأسرة الخامسة نجد حرس فرعون ، فرق مختلفة من المجندين تحمل كل منها اسما خاصا بها ترتبط به مثل «كم مقدار حب ساحورع» ، «ما اجمل ساحورع امام القصر» مما يظهر ارتباطها المباشر بالفرعون .

ومن عهد الأسرة الثامنة نرى مرسوم أصدره الملك «نترى باوو» منقوش على لوحة حجرية فى معبد الاله مين من قفط لتعيين ضابطا خاصا ليكون رئيس حرس ابنته الكبرى «نبيت» زوجة الوزير «شماى» . وفى العصر الاهناسى كان يسير فى ركاب امير المقاطعة فرقة حربية ، وكان جنودها مسلحين بالدروع والحراب والبلط والاقواس والنشاب والسهام [١]

وتظهر اهمية الحرس الملكى فى ذلك الوقت من وصايا خيتى لابنه مريكارع ، [٢] اذ يقول له : «ضاعف عدد رعاياك الذين تتخذ منهم اتباعك ، ومدهم بالحقول والماشية» .

وفى الدولة الوسطى ازداد شأن الحرس الملكى ليساعد فرعون على بسط سيطرته على حكام الاقاليم ، وقد قص لنا امنمحات [٣] قصة الاعتداء الخائن على حياته واشار الى تراخى الحراس فى الدفاع عنه . ويقص علينا «سبك خو» الموظف فى عهد سنوسرت الثالث مهمته فى حراسة الملك فيقول : «أمر جلالته أن أشتغل جنديا خلف جلالته ومعى ستة من رجال الحاشية ، ومن أجل ذلك كنت بجانبه على أستعداد» .

وفى الدولة الحديثة اقتضت الروح الحربية فى الفترة التى اعقبت الكهسوس ، أن يكون للملك حرس كامل العدد له شعار خاص يتبع الملك فى غدواته وروحاته ، كما أصبح له ايضا ضباط حربيون يرافقونه فى حله وترحاله ، وذلك حتى يستطيع الفراعنة ان يسود البلاد بغير معارضة .

وكان الوزير مكلفا بتكوين حرس الملك ، [صورة رقم ٥١] وكانت تنظم فرق خاصة من المصريين لتقوم باعمال حرس الفرعون الخاص ، وكانت هذه الفرق تحت السلاح دائما ولم يدخل فى عدادها فرق الجنود المرتزقة الذين كان يؤتى بهم من الخارج ، ولكن لم يلبث ان تغير الأمر بعد ذلك ، ففى مقبرة «بانحس» فى تل العمارنة نشاهد أسرة الفرعون اخناتون ، وهم يسوقون عرباتهم ويشاهد فى هذا المنظر ان الحرس الفرعونى كان يحتوى على سوريين وليبيين بالاضافة الى الجنود المصريين (٤) .

وفى النصف الثانى من الدولة الحديثة اصبح للعناصر الاجنبية كيان عظيم فى القصر الملكى . فمثلا نجد أن احد السوريين المدعو «بن عوزق» رقى فى عهد الملك مرنبتاح (٥) الى رئيس شرطة القصر الملكى . كما نجد نسبة كبيرة من حرس الملك رمسيس الثالث [صورة رقم ٥٢] من الاجانب ، وكان الفرعون يختار رجال حرسه من بين الأفراد الذين يتمتعون بثقته الشخصية . فمثلا نجد أن «مح» الذى حارب مع الملك تحتمس الثالث فى غزواته وترقى خلال هذه الغزوات من جندى بسيط الى ان تقلد لقب فارس وعندما احتفل امنحتب الثانى بعيد أوبت بعد توليه العرش طلب «مح» هذا للمثول بين يديه فى القصر الملكى وخاطبه قائلا .... «انى أعرفك منذ ذلك العهد حيث كنت لا أزال صبيا فى المهد ، فقد كنت وقتئذ رفيق والدى ، من أجل ذلك أكل اليك نيابة الجيش ، ويجب أن تعد نفسك مسئولا عن حرسى الخاص من الآن» .

ونستطيع أن نتتبع بعض رجال الحرس الملكى خلال النصف الأول من الدولة الحديثة ، فنجد أن «سبك حتب» كان يحمل لقب «حارس قاعة الادارة» وكان بمثابة حارس «قصر تحتمس الاول» .

وكان من رجال الحرس الملكى الفارس «باسر» الذى عاصر الملك أمنحتب الثانى كذلك مدير شرطة صحراء «نفر حاوت» ، وقد عاصر تحتمس الثالث ، ثم الفارس «أمنحتب» الذى رقى فى عهد (آمون إم حب) الى رتبة نائب الملك فى الجيش . وكان فى الوقت نفسه المشرف على حراسة شخص الفرعون ، وكان «سوم نوت» من خدم الفرعون أمنحتب الثانى ، ويحمل بين ألقابه ساقى الفرعون طاهر اليدين ، ومعظم مناظر قبره تنصب على تمثيل مهام عمله بوصفه ساقى الفرعون ، اذ نشاهده يشرف على تحضير أنواع عدة من الشراب ، ولا يبعد أن يكون من رجال الحرس الخاص الذين كان من واجبهم الاشراف بأنفسهم على شراب الفرعون ضمانا لسلامته .

وكانت مهمة الحرس الملكى أيضا حراسة قصر الملك [صورة رقم ٥٣] ، ولدينا صورة من هذه الحراسة عندما استدعى «آى» الى القصر ليتقبل هدايا اخناتون ، وكان من بينها زوج من القفازات لبسه عندما خرج من باب القصر ، وعندئذ هلل خدمه ، ولفتت هذه الضوضاء نظر الجنود الذين كانوا يقوموں على الحراسة فى الخارج ، فسأل احدهم لمن يهللون هكذا يا غلام ؟ فيجيبه الصبى «هم يهللون من اجل الاب المقدس «آى» وزوجته «تى» اللذان صارا خلقا من الذهب» (٦) .

وكانت مهمة الحرس الملكى تقتضى حراسة الفرعون عند خروجه لاداء مهامه الرسمية أو شعائره الدينيه [صورة رقم ٥٤] ، ولدينا الكثير من مناظر تل العمارنة التى تمثل حراسة اخناتون ، وفى احدى هذه المناظر نرى الموكب يتحرك من القصر الملكى ، يجرى أمامه رجلان يحملان عصيا ليوسعا الطريق لعجلة الملك ، وعلى الجانبين يسير الحرس الملكى على الأقدام وهو يعدو مسرعا .

ويبدو أن الملك كان ينتخب من بين أفراد حرسه أشد المقربين اليه ، ليكون بمثابة حارسا وبخاصة أثناء خروجه للحملات الحربية . وقد كان حارس البدن بالنسبة لسيتى الأول أثناء حروبه فى الشرق ، بكر أبنائه وولى عهده .

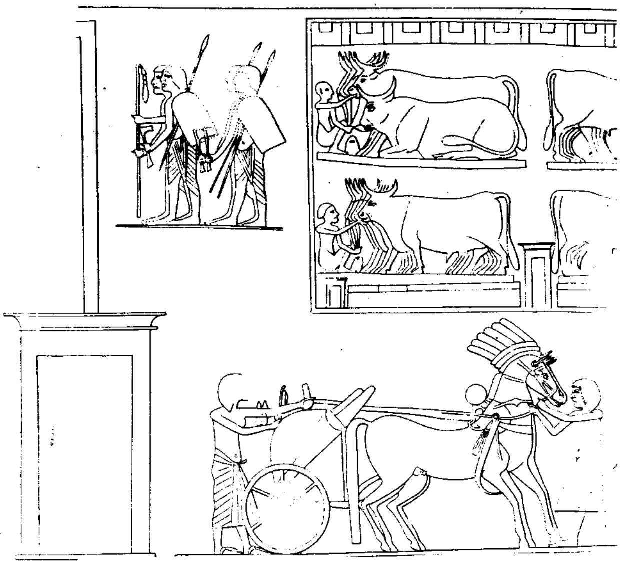

الفصل السابع

واجبات أخرى للشرطة

كانت الشرطة الى جانب أعمالها فى حفظ الأمن تكلف بأعمال أخرى ، فقد أشرف رجال الشرطة على جمع الضرائب المفروضة على البضائع الخارجية فى مواضع مخصصة . ويبدو أن قوات من الجند كانت توضع عند فوهات الترع لضمان جباية المكوس ، أما الضرائب داخل البلاد فكان يكلف بجبايتها موظفوا الادارة وهم العمد ورؤساء المراكز (حقاخت) ، أما فى المدن التى فيها حاميات فكان يكلف بجباية خراجها قائد الحامية ، ومن ذلك ما نعلمه من أنه كان يقوم بجمع الضرائب فى الفنتين قائد حمايتها ومأمور ضرائبها .

وقد كان على رجال الشرطة جمع المجندين وفرزهم ، ولدينا فى مقبرة «نب آمون» [1] الذى كان يشغل وظيفة رئيس الشرطة فى عهد تحتمس الرابع وأمنحتب الثالث ، منظرا يمثل عددا من الرجال يجلسون على كراسى ، كما يرى عدد كبير من الناس ويلاحظ أن أربعة رجال وامرأة ينحنون بخشوع للجالسين على الكراسى ، وفى الجهة المقابلة من المنظر نشاهد مجندون يجلسون على الأرض حاملين حقائبهم واقواسهم على ظهورهم .

ويظن الاثرى الانجليزى «ديفيز» ان هذا المنظر يمثل اقتراع المجندين السنوى ، فالرجال الجالسون هم المجلس العسكرى . فكان فريق من أعضائه ينتخب المجندين الجدد ، فى حين أن الفريق الآخر يفصل فى الشكاوى المقدمه من أقارب المجندين يرجون الاعفاء ، ثم يصدر بعد ذلك القرار النهائى .

وسواء كان هذا المنظر رسم على جدران مقبرة «نب آمون» باعتباره رئيسا للشرطة ، أو باعتبار وظائفه الحربية التى شغلها قبل ذلك ، والتى وصل فيها الى رئيس رماة ، سواء كان هذا أو ذاك فاننا لا نشك كثيرا فى أن رجال الشرطة كان لهم دور هام فى جمع المجندين من أنحاء الأقاليم المختلفة ، لأنهم بحكم توزيعهم فى البلاد أقدر على أداء هذه المهمة .

وكان على رجال الشرطة ايضا مرافقة بعثات قطع الاحجار ، ويحدثنا «حنى» من عهد منتوحتب الرابع كيف بدأ الطريق من قفط – ٣٠٠٠ جندى خلف قوة من الشرطة كانت تطهر الطريق من العصاه . وخير مثال وصل لنا فى هذا الشأن ذلك النقش الطويل الذى دون اشارة للحملة الثانية التى أرسلها الملك رمسيس الرابع الى وادى الحمامات (٢) والمؤرخ السنة الثالثة ، اذ نلاحظ فى تأليف تلك البعثة نائبا شرطة وخمسون شرطيا . وكان عملهم يختص بالأمن العام ، فمن الجائز أن ينشب الشجار بين العمال ، فكان على رجال الشرطة أن يفصلوا فيه ، حيث كان عددهم بذلك كافيا للمحافظة على الأمن بين جموع العمال [صورة رقم ٥٥] .

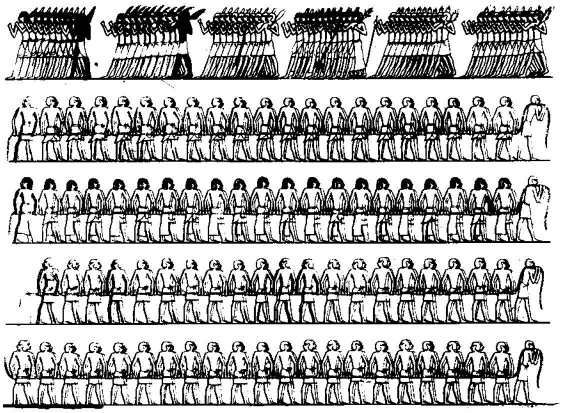

الفصل الثامن

وسائل البحث الجنائى

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول	:	طريقة الاسلوب الجنائى .
المبحث الثاني	:	الكلاب البوليسية .
المبحث الثالث	:	قص الأثر .
المبحث الرابع	:	استخدام المرشدين .

المبحث الأول

طريقة الاسلوب الجنائى

أحدث وسائل التحقيق الجنائى المستخدمة فى عصرنا الحديث هى الطريقة المعروفة باسم M.O. ، وتتلخص فى حفظ سجلات للمجرمين مقسمة حسب أنواع جرائمهم ووسائل ارتكابهم للجرائم ، فاذا ارتكبت جريمة ما ولم يعرف الفاعل رجع الى هذه السجلات ، لمعرفة من هم المجرمون المتخصصون فى ارتكاب هذه الجريمة ، بالأسلوب الذى ارتكبت به ، وبذلك يمكن حصر الشبهات فى عدد محدود من المجرمين ، لأنه لوحظ أن المجرم لا يغير نوع جرائمه التى يرتكبها ، ولا أسلوبه فى ارتكابها ، ويحق لنا أن نتساءل هل استخدمت نفس هذه الطريقة فى مصر القديمة .. ؟ .

اتصح لنا من نقوش مقبرة «رخميرع» السابق الاشارة اليها أن من واجبات الوزير عند سماع قضية فى قاعته عن أى موظف لم يكن كفئا فى اداء عمله (وينبغى أن نأخذ هذا اللفظ بمعنى اوسع ، أى أن الموظف ارتكب جريمة ما تتعلق بعمله كالرشوة والاختلاس ، لأنه من غير المعقول أن الموظف بمجرد اهماله أو تراخيه فى عمله يقيد فى سجل المجرمين) . فعلى الوزير ان يسمع حجته فى هذا الموضوع ، فاذا لم يكن فى مقدوره أن يمحو عنه خطيئته (اى وجده مذنبا) عند سماع ظروف القضية فعليه اذن ان يقيدها فى سجل المجرمين فى السجن الرئيسى ، ويتخذ مثل هذا الاجراء اذا لم يكن فى مقدوره ان يبرىء حاجبه من التهمة ، فاذا وقع منهما مثل ذلك مرة اخرى ، فلابد من تقديم تقرير عن ذلك كما يبلغ عنهما انهما مقيدان فى سجل المجرمين ، وعن السبب الذى من أجله قيدا فى هذا السجل بالنسبة لجرمهما .

وتذكر لنا سرقات المقابر فى الأسرة العشرين هذه السجلات ، فقد جاء فى ورقة «أبوت» أنه عندما أجرى التحقيق مع النحاسين ، واتضح انهم لا يعرفون أى قبر فى مكان الفرعون ، أطلق الأشراف سراحهم ووضعوا تقريرا عن الاجراءات التى اتخذت ووضع فى سجلات الوزير .

بل ان برديات «أبوت وأمهر ست ولبوبولد الثانى» التى تحتوى على تفاصيل دقيقة عن المجرمون اسماؤهم والقابهم ووظائفهم واتهاماتهم ، والتحقيقات التى اجريت معهم هى فى رأى بعض المؤرخين سجلات حقيقية أو صورة من هذه السجلات كانت تحفظ فى المعابد والادارات العامة . وهكذا نرى انه كان لكل قضية اوراق تحفظ فى السجلات الخاصة .

ومن ناحية اخرى نرى ان هذه السجلات لم تكن محفوظة بغير نظام ، ولدينا الجدول الذى على ظهر «بردية أبوت» وهى المعروفة بالصفحة الثامنة من هذه الوثيقة التى يظن بعض المؤرخين ، كما سبق ان ذكرنا انها صورة من السجلات الرسمية ، نرى هذه الصفحه ، تحتوى على قائمتين الاولى تشمل اسماء لصوص صناديق النفائس ، والثانية تشمل اسماء لصوص الجبانة فقط .

ولا شك ان التمييز والتفرقة بين هذين النوعين من الجرائم رغم التقارب الشديد بينهما ، يوحى لنا ان التمييز بين المجرمين حسب نوع جرائمهم كان معروفا بل وكان مأخوذا به فى السجلات الرسمية .

اما استخدام هذه السجلات والاستعانة بها لمعرفة اللصوص ، فيظهر لنا من «بردية أبوت» أنه عندما ثبت للجنة الاولى المشكلة لفحص المقابر برئاسة «بويرو» أن بعض المقابر قد سرقت ، سرعان ما وضع امام الوزير ورجاله قائمة كتابية باللصوص فى سرعة مدهشة ، وكان بينهم «بيخال بن خارى» الذى قيل فى تعليل اتهامه «وكان هذا الرجل قد وجد هناك (بالقرب من المقابر) ، وضبط مع اثنين اخرين تابعين للمعبد القريب من المقابر ، وهو الذى كان عمدة المدينة قد حقق معه هو والوزير (نب ماعت رع نخت) فى السنة الرابعة عشر» .

أى ان السبب فى اتهام هذا الرجل بسرقة المقابر فى هذا الوقت الذى اكتشفت فيه سرقات المقابر وبدأ البحث عن مرتكبيها ، هو انه سبق ان اتهم بذلك منذ عامين وحقق معه .

وليس من الطبيعى ان نتصور ان «بويرو» بعد ما اكتشف سرقة بعض المقابر ، وظهرت رغبته الملحة فى معرفة مرتكبى الجرائم ، لتقديمهم للوزير فليس من الطبيعى ان نتصور انه رجع بذاكرته الى عامين مضيا يبحث عمن سبق اتهامه فى قضايا مشابهة ، ثم اختار «بيخال بن خارى» بهذه السرعة ، انما الاوفق والاصح ان نتصور ان «بويرو» بمجرد معرفته بسرقات المقابر ، أسرع الى السجلات يبحث فيها عمن سبق اتهامه فى جرائم مشابهة ، وقدم «بيخال» وزملائه على هذا الأساس .

والنتيجة من هذا كله ، أننا نرى أنه كانت هناك سجلات للجرائم والمجرمين ، وأن هذه السجلات كانت مقسمة فى بعض الأحيان حسب انواع الجرائم ، وان هذه السجلات كان يرجع اليها لمعرفة الفاعلين فى الجرائم المجهولة . فهل يحق لنا أن نتصور بعد ذلك ان طريقة M.O. الحديثة كانت معروفة وقتئذ ، أو على الأقل كانت الاسس الرئيسية فيها مستعملة لمعرفة المجرمين .. ؟

ان اكتشاف هذه الطريقة فى العصور الحديثة ، صاحبت ضجة كبيرة وانقلاب ضخم فى أسس البحث الجنائى فهل نقول ان المصريين القدماء سبقوا العالم كله الى هذا الاكتشاف ..... ؟

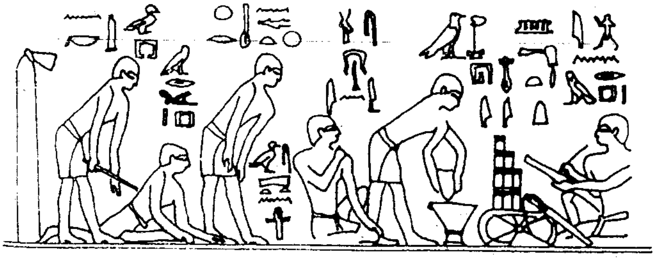

المبحث الثانى

الكلاب البوليسية

هل استعانت قوات الشرطة بالكلاب البوليسية .. ؟ وفى أى الاغراض .. ؟ من المعروف أن الكلاب البوليسية تستعمل فى اجهزة الامن لاغراض ثلاثة : الحراسة ، ومطاردة الهاربين والقبض عليهم ، واخيرا اقتفاء الآثار للتدليل على المجرمين ، على اننا قبل ان نجيب على السؤال ، يحسن بنا ان نلقى نظرة على الكلاب ومدى الاهتمام بها فى مصر القديمة .

كان الكلب من الحيوانات المقدسة فى مصر [١] ، ومن يقتلها عامدا يلاقى الموت جزاء ذلك . وكان البيت الذى يعثر فيه على كلب ميت يحلق سكانه جميعا اجسامهم ويعلن الحداد كما يقول ديودو الصقلى . وقد بلغ من تكريم الكلاب اقامة لوحات على قبورها كتلك التى كانت تقام على قبور الافراد . وكانت هذه الحيوانات تدفن فى معظم الاحيان بجوار قبور أسيادها ، وقد عثر على امثلة من هذا النوع فى حفائر شمال سقارة من عهد الأسرة الاولى والثانية ، واستمر تصوير الكلاب على اللوحات طوال عهد الدولة القديمة والوسطى ايضا . وقد كشفت الأبحاث عن قبور متواضعة فى المنطقة المعروفة باسم الحصن [٢] ، تدل مظاهره وطريقة الدفن فيها على انها كانت لطوائف المحاربين ، وعثر بينهما على واحد يضم جثة مبتورة . وإلى جوارها جثة كلب . ولم يستقر الرأى بعد على تاريخ هذه القبور ، أهى من العصر المظلم الاول أم من العصر الذى دخل فيه الهكسوس مصر . ومن عهد الأسرة الحادية عشر عثر على لوحة كانت موجودة امام هرم الملك انيوتف الثانى الذى شيده فوق قبره [٣] ، وفيها نراه واقفا ومعه خمسة من كلابه .

وكانت أشهر الكلاب المتوفرة فى مصر القديمة من النوع المعروف بالسلوق وهى قوية المخالب منتصبة الاذان ، ذات اذيال قصيرة غير مرسلة ، وانما هى ملتفة الى اعلى حتى تكاد تشبه الدوائر احيانا .

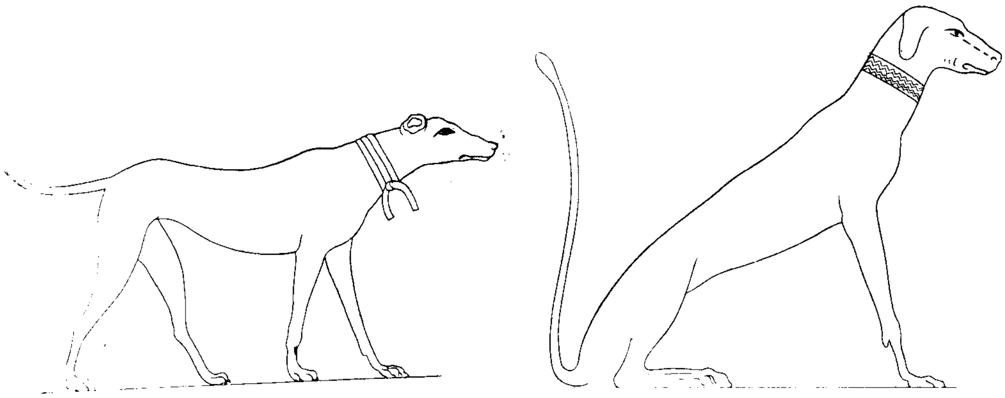

أ - استخدام الكلاب فى الحراسة

استخدمت الكلاب البوليسية فى الحراسة ، فقد ذكر لنا كاتب مريض كان يستشفى فى الارياف : «كان على باب دارى مائتا كلب من الكلاب العظيمة وثلمثائة كلب سلوق واقفة على بيتى طيلة اليوم ، فيكون مجموعها خمسمائة ، وفى اثناء النهار لاتقول شيئا ، ولكن اثناء الليل عندما تقلق اثناء نومها فانها تضايق المار ، وتقوم جماعات لترجعه من حيث اتى بنباحها وان امكن نهشته بأنيابها» .

ويذكرنا ديودور الصقلى أن من أسباب تقديس الكلب هو استخدامه فى حراسة الانسان .

ويبدو أن استعمال الكلاب للحراسة أصبح شائعا فى عهد الدولة الحديثة ، ويطالعنا ذلك فى كلمة وردت عرضا فى احدى رسائل تل العمارنة ، وهى رسالة كتبها «عبد شرتا» الى فرعون مصر أمنحتب الثالث يقول فيها «على أقدام الملك مولاى سبع مرات ، أسقط أنا خادم الملك كلب حراسته» .

ب - مطاردة الاعداء والقبض عليهم

لدينا من العصر الاقطاعى مناظر مسجلة على جدران «عنخ تفى» فى صخور المعله على شاطىء النيل الشرقى بين اسنا وارمنت ، مناظر تمثل صفا من عساكر الرماة وقد أخذ كل منهم بزمام كلبه ، وليس من شك أن اصطحاب المحاربين لكلابهم على هذا النحو ، لدليل على استخدامهم فى مطاردة أعدائهم والقبض عليهم . ولدينا أمثال مشابهه من عصر الدولة الحديثة اذ عثر على الجدار الأيمن من معبد بيت الوالى بالنوبة على نقش يمثل الفرعون رمسيس الثانى يضرب ليبيا ، فى حين كان كلبه يقبض على العدو .

حـ - اقتفاء الآثار للتدليل على المجرمين

يحدثنا ديودور الصقلى كذلك أن الكلاب قادت ايزيس فى بحثها عن جثة أوزيريس [٤] ، ومن هنا جرت العادة أن يتقدم الكلاب الموكب فى عيد ايزيس ، تخليدا لذكرى مساعدتها لها .

وليس من شك أن هذه الأسطورة مستمدة من واقع كان معروفا لدى الناس وقتئذ ، وهو ان الكلاب لها المقدرة على البحث عن الشيء الضائع واقتفاء أثره .

وفى لوحة يرجع تاريخها الى باكورة الأسرة الثانية عشرة ، أقيمت تذكارا لموظف كبير وكل اليه القيام بأعمال الشرطة فى الصحراء الغربية ، وكانت الصحراء فى ذلك الوقت مأوى المجرمين الهاربين من وجه العدالة ، وكان من واجب الشرطة البحث عن المجرمين فى هذا المكان وضبطهم ، ونشاهد المهدى اليه وقد تسلح بالقوس والسهام ويصحبه كلبه .

ولعل فى اصطحاب هذا الرجل لكلبه وقد خرج الى الصحراء يبحث عن المجرمين ، لدليل على أن الكلب كان يؤدى دورا ما فى اقتفاء آثارهم ومهاجمتهم ، وان كان لا يستبعد على أى حال أن يكون اصطحابه للكلب لحراسة شخصه .

ويمكننا أن نجمل من أمر القول بأن الكلاب كانت تستخدم فى اقتفاء آثار الاعداء ، والتدليل عليهم بل ومهاجمتهم ايضا .

وقد كان للاشراف على الكلاب والعناية بهم شأن هام فى مصر القديمة ، ولدينا فى ورقة بولاق رقم ١٨ من عهد الأسرة الثالثة عشرة تحت عنوان «قائمة بالاشخاص الذين يأتون الى قاعة الاستقبال الملكية فى هذا اليوم ...» (عيد الاله منتو) لتناول الطعام «نجد بين هؤلاء الاشخاص من يحمل لقب» مدير حراس الكلاب ، وهو ان لم يكن من ذوى الالقاب العظيمة الا انه من الموظفين ذوى الشأن على كل حال .

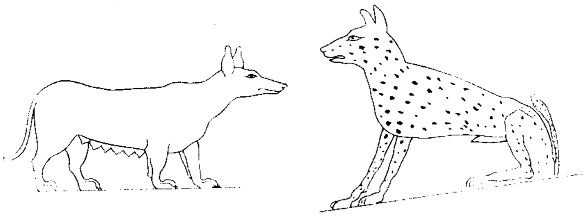

المبحث الثالث

قص الأثر

من وسائل البحث الجنائى التى استخدمها المصريون القدماء بنجاح ، اقتفاء الآثار وقد استخدموا فى ذلك النوبيين وكان ذلك بدء اعتماد المصريين على الجنود الأجانب ، واستمر الحال بعد ذلك فكان الجنود المصريون يحرسون الحدود ، ويعاونهم قصاصوا الأثر النوبيين ويسمون «مجاى» . ولدينا تقارير عن الحدود من الحصن المسمى «صد بلاد مجاى» عند الشلال الثانى يوضح لنا مدى الدقة والبراعة فى اقتفاء الأثر . ان الدورية التى خرجت تمر على حافة الصحراء على مقربة حصن «صد المجاى» فى السنة الثالثة ، الشهر الثالث من الفصل الثانى آخر يوم (فى الشهر) ، جاءوا ليبلغونى قائلين : «وجدنا أثر اقدام اثنين وثلاثين رجلا وثلاثة حمير» .

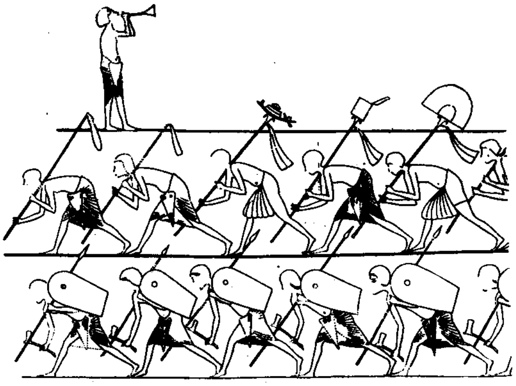

المبحث الرابع

استخدام المرشدين

استخدم رجال الشرطة فى مصر القديمة المرشدين بنجاح لمنع الجريمة قبل وقوعها وضبط المجرمين ، ومن أمثلة ذلك ما جاء فى بردية «ماير (أ)» الخاصة بسرقة صناديق صغيرة فيها كنوز كانت موضوعة فى بيت مال معبد مدينة هابو ، وقد استطاع رئيس الشرطة ان يقبض على اللصوص متلبسين . وهم الذين اعلن عنهم رئيس الشرطة «نسأمون» على حسب دورهم وقد كان واقفا هناك مع اللصوص عندما وضعوا أيديهم على صناديق النفائس .

ويسأل رئيس الشرطة فى التحقيق عن ظروف ضبطهم «واحضر رئيس الشرطة «نسأمون» وقالوا له كيف وجدت الرجال .... ؟ (اى اللصوص) .. فقال : لقد سمعت ان رجالا قد ذهبوا ليرتكبوا عسفا فى صندوق النفائس هذا ، وقد ذهبت ووجدت فعلا هؤلاء الرجال الستة الذين ذكرهم اللص «بيكامن» وانى أشهد عليهم اليوم» .

ومن الواضح أن رئيس الشرطة استطاع أن يقبض على المجرمين متلبسين عن طريق استخدامه للمرشدين الذين أسروا اليه بوقت ارتكاب الجريمة ومكانها .

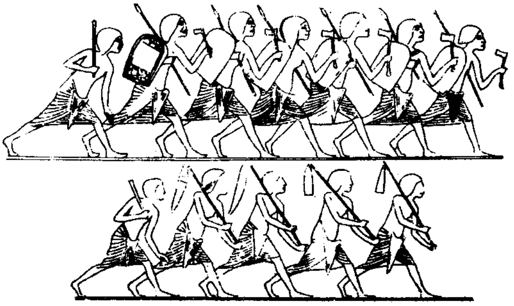

الفصل التاسع

وسائل التحقيق الجنائى

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : حلف اليمين .
المبحث الثانى : الاستعانة بأهل الخبرة .
المبحث الثالث : المواجهة .

مقدمة

استخدم المصريون أثناء التحقيق الجنائى احدث وسائل التحقيق المعروفة مثل :

المبحث الأول

حلف اليمين

كان على الشاهد أو المتهم ضمانا لذكر الحقيقة أن يحلف اليمين ، وكانت هناك صور متعددة لصيغة القسم الذى كان على السجين أن يعطيه فى كلماته الخاصة ، فهو يقول «بحق حياة آمون» ، وفى صورة اخرى يقول «بحق حياة الفرعون اذا عدت مستقبلا لجريمتى فلأرسلن الى كوش» .

المبحث الثانى

الاستعانة بأهل الخبرة

استعان المصريون القدماء بالخبراء أثناء التحقيق وذلك فى المسائل التى تحتاج لخبرة خاصة ، من ذلك ما جاء فى ورقة هاريس رقم ١٠٠٥٤ بالمتحف البريطانى وتحتوى عدة نصوص خاصة بالسرقات التى كانت تحدث فى المقابر فى الأسرة العشرين . وفى احدى هذه السرقات اعترف الكاهن «بنون حاب» أنه ذهب مع كهنة اخرين الى مكان لم يعين ، وسرق أوراقا من الذهب من تمثال الاله «نفر توم» الخاص بالملك رمسيس الثانى . هذا فضلا عن أنه قد أتهم بانه ذهب الى مكان ما خاص بهذا الاله ، وسرق منه اربع قطع من الفضه [١] ، ووضع مكانها أخرى مصنوعة من مادة غيرها .

ولما كان موضوع نزع الذهب والفضه ووضع مواد اخرى بدلها ، هى من المسائل الفنية التى لا يستطيع المحقق العادى أن يجزم فيها برأى ، فقد دعى صائغ لتحقيق الموضوع

المبحث الثالث

المواجهة

استخدم المصريون المواجهة ، فواجهوا المتهمين بعضهم ببعض ، ومثال ذلك ما ورد فى الجزء الاول من الورقة رقم ١٠٠٥٢ بالمتحف البريطانى الخاصة باتهام الراعى «بوخعف» وآخرين بالهجوم على المقابر الملكية . وقد لجأ المحقق الى مواجهة المتهمين بعضهم ببعض على النحو التالى ثم احضر الراعى «بوخعف» ومطلق البخور «شد سو خنسو» ونافخ البوق «بربثو» والمواطنة «نسموت» زوجته والمواطنة «مو تمويا» زوجة كاتب السجلات المقدسة «نسأمون» ليجعل كل واحد منهم يتهم زميله فى اثناء وقوفهم جميعا هناك .

ولم تقتصر المواجهة على كونها بين المتهمين فقط ، انما كان من حق المتهم أن يطلب مواجهته بالشاهد . فقد جاء فى بردية «ماير (أ)» الخاصة بسرقة صناديق صغيرة فيها كنوز كانت موضوعة فى بيت مال معبد مدينة هابو كما ذكرنا من قبل جاء فيها ما يلى :-

«وقد حقق مع احد المتهمين «أمنمنتو» فقالوا له : «مالديك لتقوله عما قرره النوتى نسأمون الذى عبر بك الى هذا الجانب مع شركائك فى الجريمة الذين سيأتون ليتهموك ؟» .

لقد قلت «دع انسانا يحضر ليتهمنى» وقد أحضر البحار «نسأمون» واتهمه فقال : «لقد كنت أنا الذى عبرت به مع الراعى» «أهوحم» .

وكانت لهم بالاضافة الى ذلك وسائلهم الناضجة فى التحقيق فقد ذكرت لنا بردية المتحف البريطانى ١٠٤٠٣ ، أنه عندما سرق صندوق النفائس الذى كان فى معبد الملك «وسر ماعت مرى آمون» فى معبد آمون بدأوا التحقيق بداية ذكية إذا أحضروا العامل «إهاويتى نفر» التابع لمعبد الملك «وسر ماعت مرى آمون» فى معبد آمون . فقالوا له «انك بواب هذا المعبد تعالى واخبرنا عن كل رجل رأيته يدخل هذا المكان ويرتكب تلفا لقفل صندوق النفائس هذا» .

ولكن التحقيق الجنائى فى هذا العصر الى جانب وسائله الناضجة ، اعتمد الى حد كبير على ضرب المتهمين وتعذيبهم ، لانتزاع الاعترافات منهم حتى أصبح استخدام التعبير «حقق معه تحقيقا دقيقا» معناه انهم كتفوه ولووا رجليه ويديه وضربوه بالعصا على يديه ورجليه ، وهددوه بجدع أنفه وصلم أذنه ووضعه فوق وتد . وقد حدث هذا للمتهم «بيخال» الذى أتهم بسرقة المقابر فى عهد رمسيس السابع واضطر للاعتراف على نفسه كذبا ليتخلص من العذاب الشديد ، لأنه عندما أجريت المعاينة فى المقابر بمعرفته اتضح عدم صحة اعترافه .

والواقع أن جميع المتهمين سواء كانوا أبرياء أم مذنبين ، لاقوا معاملة قاسية وأكثر من مواطن شريف كان يعذب بالضرب مرة وربما اثنين قبل أن تظهر براءته ويطلق سراحه .

وفى اكثر من حالة نجد الرجل عندما يواجه بافراد كان قد أتهمهم ، يسحب اتهامه ويقول : لقد قلت ذلك من الخوف .

على أن أشد ما افسد وسائل التحقيق الجنائى فى عهد الدولة الحديثة ، وبخاصة النصف الاخير منها ، كان تدخل الكهنة وادعائهم امكان معرفة المجرمين بواسطة الوحى [٢] . ولدينا بردية تحمل رقم ١٠٣٣٥ بالمتحف المصرى تعطى مثالا من هذا النوع ، فقد لجأ الخادم «أمتمويا» الى آمون صاحب بختنى (حى من أحياء طيبة) قائلا : «ساعدنى يا آمون بختنى يا سيدى الطيب المحبوب . وقد حضر الى أناس وقت الظهيرة وسرقوا منى خمسة قمصان من النسيج الملون ، فياسيدى الطيب المحبوب هل لك أن تعيد الى «ما سرقوه» » فهز الاله رأسه بعنف وكرر له الخادم «أمنمويا» أسماء أشخاص البلدة فهز الاله رأسه عند ذكر مزارع «باثا ومديأمون» قائلا : «أنه هو الذى سرقها» وقال «باثا ومديأمون» فى حضرة

الاله . «أنه كذب فاني لست أنا الذى سرقها» . وعند ذلك غضب الاله ولكن «باثا ومديأمون» لجأ الى اله آخر محلى يدعى «آمون تاشنيت» الا ان هذا الاله أدانه أيضا ، ومع هذا فقد استمر فى انكاره .

ولسنا نستبعد بعد ذلك أن هذا المتهم كان بريئا ، ولكنه لم يقدم لكهنة آمون ما يدفع به الاتهام عن نفسه .

الفصل العاشر

القانون والعقوبات

صحيح أنه لم يصلنا من عصر الدولة الحديثة ولا من أى عصر آخر شىء يشبه القانون المنظم كما وصل الينا قانون حمورابى فى بابل [1] . أما مجموعة المراسيم والتعليمات التى وصلت الينا كقوانين حور محب ، ومرسوم سيتى الاول فهى تنظم حالات خاصة وليست قانونا عاما بالمعنى المفهوم .

ولكن عدم وصول قانون مكتوب لا يعنى بالضرورة عدم وجوده ، فاننا لا نشك فى وجود قانون عام فى مصر القديمة .

والقانون المصرى عتيق ، لذلك نسب قدماء المصريين قانونهم الى الآلهة . وفى العصر المنفى كان القانون يدون فى كتب تودع المحكمة العليا وبخاصة قاعة حور العظيمة (وسخت حر) اى الادارة القضائية ، وكانت قاعة حور العظيمة الملكية التابعة للمحكمة العليا هى الادارة المكلفة بتسجيل قوانين الدولة والمحافظة عليها .

وفى عهد الدولة الوسطى كان القانون غاية فى الاحكام والوضوح ، ومما يؤكد ذلك هذا العقد الذى وافق عليه حاكم أسيوط «زفاى جعبى» بينه وبين ذاته ، باعتباره حاكما للقسم والرئيس الدينى الاكبر لمعبد بلده ولا شك ان مثل هذه الدقة تثبت منتهى الاحتراس والحرص على تنفيذ القانون . كما نجد احد موظفى المالية فى ذلك العصر يكتب مفتخرا : «كنت أعرف القانون جيدا وأطبقه بكل حزم وحذر» .

وفى عهد الدولة الحديثة كان القانون فى غاية العدالة وجرت العادة على ان ينسخ فى اربعين درجا برديا ، ويوضع على منضدة القاضى وقت إنعقاد المحكمة للمراجعة وزيادة الايضاح . وكان يسمح لكل شخص ان يقرأ القانون ويستجلى الغامض منه ، وبلغ من علو منزلة القانون ونزاهته عند المصريين أن افتخر الملوك بأنهم رجال القانون . فقد لقب أمنحتب

الثالث نفسه «بموطد القانون» . ويعتقد عدد كبير من المؤرخين أن الرسم الموجود فى مقبرة رخميرع لعدد كبير من لفائف البردى ، موضوعة فى صناديق كبيرة ، كان يحتوى على تفاصيل القانون المصرى ، ومما يرجح هذا الرأى ما اورده ديودور الصقلى من أن القوانين المصرية فى منتصف القرن الاول قبل الميلاد ، كانت مدونة فى ثمانية كتب توضع بجانب القضاه .

وعلينا ان نلقى نظرة على القوانين المصرية التى اوردها ديودور الصقلى فى كتابه عن تاريخ مصر . ورغم ان هذه القوانين ترجع الى منتصف القرن الاول قبل الميلاد ، ولكنها تراث منقول من العهود السابقة ، وليس من شك ان نجد فى ثناياها بعض الصور التى تحمل الينا روح القانون المصرى القديم .

ولم يكن فى مقدور الملك أن يقضى فى المخاصمات أو يقضى بعقوبة على أحد من الناس مدفوعا بكيد له أو غيظ منه ، أو بأى دافع ظالم اخر ، بل عليه ان يتصرف وفق ما تنص عليه القوانين فى كل حالة .

كان الملك يصرف للقضاة مرتبات تسد حاجتهم وتكفى لاقامة معيشتهم اما رئيس القضاة فكان نصيبه أضعاف هذا القدر ، وقد سبق الى هذا حور محب فرفع مرتبات القضاة كوسيلة للقضاء على الرشوة والاختلاس .

كان الموت عقوبة اليمين الكاذبة ، لانها تنطوى على جريمتين كبيرتين : الكفر بالله ، وضياع أعظم ضمان للثقة بين الناس . واذا رأى أحد ، رجلا يقتل أو يعانى أذى ما دون ان ينقذه ، وكان قادرا على ذلك استحق عقوبة الموت . أما اذا لم يكن قادرا على المساعدة تحتم عليه دائما ان يبلغ عن اللصوص ويقتفى أثر الجريمة ، ومن تهاون فى ذلك يجلد عددا معينا من الجلدات ويحرم من الأكل بتاتا ثلاثة أيام متوالية .

ويلاقى أصحاب البلاغ الكاذب نفس العقوبة التى يستحقها المبلغ ضدهم لو أنه ثبتت ادانتهم .

ونصت القوانين على أن الموت عقوبة كل من يقتل عمدا رجلا حرا كان ام عبدا . والنساء المحكوم عليهن بالموت لا ينفذ فيهن الحكم اذا كن حبالى قبل أن يضعن . والذين يفشون الأسرار للاعداء قضى القانون بانتزاع السنتهم .

والذين يزيفون النقود ، أو يطففون الموازين والمكاييل أو يزورون الاختام ، والكتبة الذين يزورون فى متون السجلات او يمحون شيئا من نصوصها ، أو يبرزون عقودا مغشوشة قضى القانون بقطع أيديهم ، وكان الخصاء عقوبة كل من يغتصب المرأة الحرة .

تلك هى صورة من القوانين التى سادت فى مصر فى القرن الأول قبل الميلاد ، كما دونها ديودور الصقلى وليس من شك أن أصولها الأولى أو بعضا منها على الأقل ، يرجع الى العصر الذى نتحدث عنه .

ومن الطريف حقا ما أورده ديودور الصقلى عن القانون الخاص باللصوص . فقد فرض هذا القانون على كل من يريد احتراف مهنة اللصوصية ان يقيد اسمه لدى رئيس اللصوص وان يبلغه بأمر المسروقات فورا ، وعلى ضحايا السرقة أن يبلغوا الأمر كذلك اليه مبينين المسروقات بالتفصيل ذاكرين المكان واليوم والساعة التى ارتكبت فيها السرقة ، وكان على ضحية السرقة أن يدفع ربع قيمة المسروقات لمجرد استرداد ما كان ملكا له .

ولعل هذا القانون من آثار عهود الضعف التى عجزت فيها الحكومة عن ايقاف السرقات فلجأت الى تنظيمها على هذا النحو .

أما العقوبات التى كانت تستعمل ضد المذنبين ، ففى الدولة القديمة نجد «نزم ايب» رئيس الأسرار الذى عاش فى عهد الملك إسيسى يقول «لم أضرب قط منذ ولادتى أمام عضو محكمة السراة» . كما نجد أن الوزير «بيبى عنخ» من الأسرة السادسة يقول «لم يقبض على قط ، ولم احبس قط ولقد برئت من كل ما نسب الى أمام محكمة السراة» . وقد ظلت عقوبة الضرب هذه سارية حتى آخر العصور الفرعونية [صورة رقم ٥٦] .

ولدينا صورة من مقبرة الوزير «مرا» يظن بأنها تدل على وجود المعاقبة بقطع الرقبة ولقد عارض بعض علماء الآثار فى صحتها ، ولكن الظاهر ان هذا العقاب كان مقررا للجرائم السياسية اذ نشاهد فى لوحة الملك نعرمر وهو يقطع رؤوس عشرة من أعدائه الثائرين عليه ، ونشاهد أيضا على رأس دبوس الملك العقرب ، سكان مدن الدلتا (رخيت) وهو يخضعهم وقد ظهروا مشنوقين فى رموز مقاطعاتهم المختلفة . ونعلم من بردية وستكار التى تقص علينا اسطورة «خوفو والسحرة» أن مجرما قد حبس حتى ينفذ فيه حكم الاعدام بقطع الرقبة [٢] ،

ونعلم من نفس الورقة أن المرأة الزانية كان يحكم عليها بالحرق حية . ولو أن هذه القصة خرافية والنسخة التى وصلت الينا من عصر متأخر ، الا أنها تشير ان هذه الالوان من العقاب كانت معروفة ومنفذه فى عهد الدولة القديمة .

وفى العصر الاقطاعى نجد خيتى ينصح ولده مريكارع فيقول « ويمكنك أن تعاقب بالجلد والسجن ، فالبلاد يحسن نظامها بهذه الطريقة» وهو فى نفس الوقت ينصحه بعدم توقيع عقوبة القتل الا فى حالة الخيانة .

ويحدثنا الملك إنيوثف الثالث (٣) من الأسرة الحادية عشرة أنه فتح السجون وافرج عمن فيها . وجاء فى نقوش مقبرة رخميرع أنه «اذا رفعت دعوى على موظف من الحجّاب ، فلابد من معاقبة الموظف على قيمة ما تخاصما من أجله ... على أن يوقع عليه أى عقوبة عدا بتر عضو من اعضائه» وهذا يدل على ان بتر العضو كان من العقوبات التى توقع على المذنبين ، وأشهر أنواع بتر الاعضاء صلم الاذنين وجدع الانف .

ونلاحظ أن الميثاق بين خيتا (٤) ومصر يشترط ألا يضار الهارب فى عينيه أو أذنيه أو فمه أو ساقيه ، فمن العقاب ما كان يفقأ العين ويقطع الاذن ويشوه الساق والفم .

ونفهم من مراسيم حور محب وسيتى الاول وجود عقوبات جدع الأنف والنفى الى ثارو والجلد الذى يصل الى مائة جلدة والجرح فى خمسة مواضع من الجسم ، ومن الغريب أن نلاحظ فى هذين القانونين اقتران عقوبة الجلد بالجرح فى مواضع الجسم . ويبدو أن جرح الجزء المضروب كان ضروريا عقب الجلد ، حتى لا ينحبس الدم على النحو الذى يجرى عليه العمل حاليا .

ومن أشهر العقوبات وأخطرها فى عهد الدولة الحديثة عقوبة النفى الى «ثارو» . ونفى المجرمين كان احدى الوسائل الناجحة التى أستخدمت للمحافظة على سلامة البلاد وامنها ، وهى بجانب كونها عقوبة ، فهى اجراء حاسم لمنع الجريمة قبل وقوعها .

والنفى بطبيعة الحال لم يكن لبلاد اخرى غير مصر أو ممتلكاتها التى تشرف عليها ؛ وعلى ذلك فالتعبير بالنفى تعبير غير دقيق وان استخدمته النصوص المصرية لان معناه أبعا المجرمين خارج البلاد بينما كان يتم هذا الابعاد داخل البلاد أو كوش وكانت معتبرة جزءا مر مصر ومن الاصوب استعمال التعبير الحديث «اعتقال المجرمين» .

لسنا نعرف متى بدأ اعتقال المجرمين على وجه التحديد ، ولكن تطالعنا قوانين حور محب بمعاقبة من يخالف بعض نصوصها بالنفى الى مدينة «ثارو» على الحدود الشمالية الشرقية لمصر . كما نرى أثناء تحقيقات سرقات المقابر فى الأسرة العشرين أن الشخص فى قاعة المحكمة رغبة منه فى الاقناع بصحة ما يذكره كان يقول «لتجدع أنفى وتصلم أذناى وأرسل الى كوش لو أن ما قلته كذبا» ، ويظهر أن بعض المجرمين كانوا يرسلون الى بلاد كوش للعمل فى مناجم الذهب أو لمجرد العقوبة فقط .

وفى عهد الأسرة الواحدة والعشرين قامت ثورة فى طيبة واستطاع «الملك بينزم» [٥] أن يسحق الفتنه ، وان ينفى بعض الثوار الى الواحات وان يولى ابنا من أبنائه وهو «منخبر رع» كرئيس لكهنة آمون الذى استقبل عهده سائلا الاله آمون : «ألا فلتعطف على من أمرت بنفيهم ، ألا فلتأمر بألا يقاس واحد مرارة النفى بعد اليوم» . وقد استمع آمون الى رجاءه وأعيد أولئك الذين كانوا قد عوقبوا بالنفى الى طيبة .

وقلعة «ثارو» هذه التى كان ينفى اليها المجرمون ، اسمها باللغة اللاتينية «سيلة» وهى قريبة من القنطرة الحالية ، وقد صورت لنا هذه القلعة فى نقوش معبد الكرنك من عهد سيتى الاول عند تصوير حملته فى السنة الاولى على الساشو . صورت بمثابة حصن واقع على ضفتى قناة تسمى الفاصلة ، لانها تفصل مصر عن الصحراء الحقيقية ، وقد رسمت القناة بشاطئيها الذين نبتت عليهما الأعشاب تمرح فى مائها التماسيح .

وتتألف القلعة من جهة مصر من سياج مستطيل الشكل تكتنفه مبان من الجنوب والشمال وله بابان أحدهما فى الشرق والآخر فى الغرب ، ويؤدى الباب الشرقى الى قنطرة فوق القناة .

ويبدو أن عقوبة السجن كانت من العقوبات القاسية ، فقد جاء فى نقش على جدران مقبرة «بايرى» فى جبانة شيخ عبد القرنه رقم ١٣٩ خاص بـ «باواح» من عظماء عهد الملك توت عنخ آمون جاء فيه «ان قلبى لفرح يا آمون يا ناصر الفقير .. انك مثل نَفَسْ الحرية الى رجل كان فى السجن» . وجاء فى احدى الأناشيد للاله آمون رع : «السجين يتطلع اليك والذى اصابه المرض يناديك» .

وكان المجرمون يحتجزون فى سجون خاصة ما داموا رهن التحقيق فاذا صدر الحكم عليهم أرسلوا الى سجون أخرى لينفذ فيها العقاب .

أما الطريقة التى كان ينفذ بها حكم الاعدام فى مصر القديمة ، فقد ورد فى ورقة «ماير (أ)» الخاصة بسرقات المقابر فى الأسرة العشرين ان سبعة من اللصوص اعدموا على الخازوق . وكان هذا العقاب يشار اليه كثيرا عند حلف اليمين اثناء تأدية الشهادة اذ يقول الشاهد : «اذا تكلمت كذبا فلأوضع على خازوق» .

وهكذا فان طريقة تنفيذ حكم الاعدام فى مصر القديمة ، كما تبدو لنا من النقوش هى قطع الرقبة كما تظهر من لوحة الملك نعرمر ومن بردية وستكار اللذان اشرنا اليهما من قبل ، كذلك كانت هناك طريقة الوضع على خازوق وان المرأة الزانية كان يحكم عليها بالحرق حية .

ويبدو أن كبار القوم الذين يحكم عليهم بالاعدام كانت تعطى لهم أولا فرصة الانتحار حفظا لمكانتهم ، فكان المحكوم باعدامه يترك وحيدا فى غرفة المحاكمة لينهى أيامه بيده ، على النحو الذى حدث مع المحكوم عليهم فى المؤامرة التى كانت ضد رمسيس الثالث .

وكان من سلطة المحكمة فقط أن تحكم بالبراءة أو الادانة ، وفى الحالة الأخيرة كان على المحكمة أن ترفع تقريرا الى الفرعون وهو الذى يعين نوع العقاب . ويبدو أن الفراعنة احتفظوا بحق توقيع العقاب ، ولم يتخلوا عنه إلا فى حالات خاصة كما حدث فى قضية المؤامرة فى عهد رمسيس الثالث .

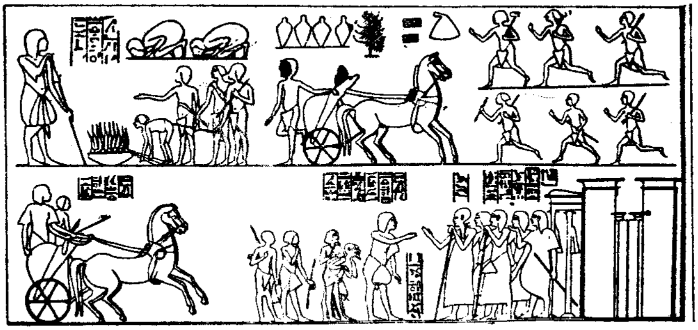

الفصل الحادى عشر

الشرطة فى خدمة الشعب

من الغريب أن نرى فى هذا الوقت المبكر نفس المبادىء والافكار التى نرددها اليوم والتى نسعى لتحقيقها جاهدين ، نراها تتألق هناك ، توضح لنا أعظم ما تكون عليه العلاقات بين الحاكم والمحكوم . ولدينا بعض أقوال الحكماء والقائمين على الحكم وتوضح لنا أيضا المبادىء التى ينبغى أن تحكم هذه العلاقات .

لقد أطلق الحكيم بتاح حتب [1] ، من الدولة القديمة ، صيحة رائعة ، ربما كانت الأولى من نوعها فى تاريخ الانسان إذ قال :-

«اذا كنت فى منصب بحيث يتقرب الناس اليك ، فكن مؤدبا وأصغ الى شكوى الشاكى ، ولا تعترض كلماته حتى يخرج كل ما فى قلبه ، وكل ما جاء ليقوله الرجل المهموم يحب الموظف الذى يتقبل شكواه ويتحدث عن متاعبه فإن الكلمة اللطيفة تضىء قلبه .... ولكن اذا أوقف الموظف الكلمات فان الناس سيقولون : «ما سلطة هذا الرجل حتى يتصرف كذلك» .

وقد وجدت هذه الصيحة صداها فى العصر الذى نتحدث عنه ، فهذا «أنيوتف» عمدة طيبة ورئيس كل الواحات يتحدث لنا فى نصوص لوحته المحفوظة بمتحف اللوفر عن نفسه فيقول :

«من يسير وراء الحق ومن يلتفت لسماع الشكايات ومن يحكم بين الرجلين فيصلح بينهما دون أن يكون محابيا للكاذب . وأنه خال من المحاباه ، ومعط صاحب الحق حقه ومعاقب المجرم على جرمه خادم الفقير ووالد الأيتام ، ومرشد من لا أب له وأم الخائف ، وسجن المتغطرس وحامى الضعيف والمنتقم لمن حرم أملاكه ممن هو أقوى منه وزوج الأرملة وحامى اليتيم وموضع راحة الباكى» .

ويتحدث الينا رخميرع عن نفسه فيقول :

«قضيت بين الفقير والغنى بالقسطاس المستقيم ، وخلصت الضعيف من القوى ، ووقفت فى وجه غضب الأحمق وسحقت الجشع فى ساعته وقمعت حنق المهتاج فى وقته ، وكففت البكاء وحميت الارامل التى لا زوج لها ، ونصبت الابن الوارث مكان والده ، وأعنت الرجل المسن مانحا اياه عصاى . وجعلت المرأة العجوز تقول : «ما أطيبه من عمل» . وكرهت الظلم ولم ارتكبه ، وجعلت الحزبين يخرجان من عندى متصالحين ، ولم أشوه العدالة من أجل رشوة» .

وكان القائمون بالحكم يأخذون هذه المبادىء من القانون المعمول به ، ومن العرف الجارى بل ومن توجيهات الملوك أنفسهم ، ففى خطاب تحتمس الثالث لوزيره رخميرع عندما قلده المنصب ، نجد أعظم المبادىء الانسانية :

«يجب أن تراعى من تعرفه كما تراعى من لا تعرفه ، وكذلك الفرد الذى يلجأ اليك كالفرد البعيد عنك ... ان شهرة الموظف تنحصر فى أن يفعل ما هو حق ... تأمل ان الرجل اذا بعث الخوف منه عدة مرات أكثر ما يجب فقد يدعوا ذلك إلى اتهام الناس له بعدم الاستقامة !!!» .

ولسنا ندعى ان هذه المبادىء كانت مطبقة فعلا ومنفذه خلال هذه العصور جميعها ، ولكن التغنى بها وتسجيلها على الاثار لدليل واضح على أن هذه المبادىء كانت مثلا أعلى يعمل لها القائمون على تلقى شكايات الناس ويحاولون جهدهم تطبيقها .

ان وجود هذه المبادىء ومحاولة تطبيقها فى هذا الوقت المبكر يعد نصرا انسانيا انفردت به الحضارة المصرية ، لأننا اذا نظرنا الى دولة أخرى معاصرة مثل بابل ، لاحظنا بسهولة اختفاء هذه المبادىء الانسانية فى العدالة الحقة والمساواة الكاملة بين الناس . وهذه الحقيقة تتضح لنا صحتها من قانون حمورابى ، الذى وردت فيه الجرائم والاحكام مرتبة حسب الدرجات الاجتماعية التى يشغلها المتقاضون أو المذنبون .

الجزء الثالث

نماذج من الجرائم ودور الشرطة فى مكافحتها

ويتضمن الفصول التالية :

الفصل الأول : سرقات المقابر .

الفصل الأول

سرقات المقابر

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : اسباب انتشار سرقة المقابر .
المبحث الثاني : سرقات المقابر والجهود التى بذلت لايقافها .
المبحث الثالث : صورة من تحقيقات سرقات المقابر فى الأسرة العشرين .

مقدمة

كانت سرقات المقابر اخطرها واشهرها خلال عصور التاريخ الفرعونى حتى ان معظم المقابر التى تم الكشف عنها فى العصور الحديثة سبق فتحها ونهبها خلال العصور القديمة نفسها – وسنتحدث عن سرقات المقابر من زوايا ثلاث :

اولا – اسباب انتشار سرقات المقابر .
ثانيا – تتبع سرقات المقابر خلال التاريخ الفرعونى والجهود التى بذلت لايقافها .
ثالثا – صورة من بعض التحقيقات التى اجريت حول سرقات المقابر .

المبحث الأول ٢٦٤

اسباب انتشار سرقات المقابر

كان المصريون يعتقدون منذ أقدم العصور أن الانسان يعود الى الحياة الأبدية بعد الموت ، وقد بلغ مدى اهتمامهم بالحياة الاخرى أن شيدوا مقابرهم بالحجر بينما بنوا مساكنهم باللبن ولهذا بقيت مقابرهم بينما بادت مساكنهم .

وتتلخص العقيدة الدينية التى دفعت المصريين لبناء مقابرهم الفخمة وتزويدها بالاثاث والتحف أنهم لم يعتبروا الانسان كائنا فرديا ، انما يتكون من عدة عناصر [1] مثل الجسم والروح التى تحلق كطير برأس بشرى و «الآخ» و «الكا» وهو القرين أو البديل . وكان العنصر الأخير هو أهمها جميعا . فهو كائن مستقل يعيش داخل الانسان – ويكفل وجوده للشخص لحماية والحياة والبقاء والحظ والصحة والفرح ...» ولم يكونوا يتصورون وجود شخص أو اله

من غير «كا» له يكبر معه ولا يفارقه ابداً . وكان «الكا» بعد موت الانسان كما كان فى حياته ، يعد ممثلا لشخصيته البشرية ، ولما كان بقاء الكا متمتعا بالحياة بعد الموت يتطلب شروطا معينة تختلف عن تلك التى يحتاج اليها أثناء حياة صاحبه ، فقد أتخذ المصريون وسائل عدة لتسهيل هذه المهمة ، فاقتضى الامر حفظ الجسم حتى يحل فيه «الكا» عندما يريد . كما اقتضى حفظ تمثال له فى مكان أمين حتى يجد «الكا» فيه الملامح الشخصية التى فقدتها الجثة . وتزويد المقبرة بالاثاث المنزلى حتى يعيش فيها كما كان يعيش على وجه الارض ، فعليهم أن يعنوا اخر الامر بشىء هام هو اطعام «الكا» بواسطة المأكل والمشرب يصنعونها على مائدة القرابين فى المقبرة . وهذه النظريات ولو أنها مبهمة غامضة الى حد كبير الا انها كانت تؤثر تأثيرا عظيما فى حياة المصريين ، وكان من نتيجة هذه العقيدة أن حفظوا أجسام موتاهم وأقاموا مقابرهم الخالدة واحتفظوا فيها بالتماثيل والاثاث المنزلى واخيرا حبسوا اوقافا لتقديم القرابين للموتى . وطبقا لهذه العقيدة كان من أعظم عطايا الفرعون لرجاله هى مساعدتهم على بناء مقابرهم وتجهيزها بما يناسب مقامهم . فقد جعل الملك منكاورع خمسين من العمال الملكيين يشيدون مقبرة لموظف قصره المدعو «دبحن» كما أهدى الملك سحورع كبير أطبائه بابا وهميا نفيسا .

وتعطينا عظمة مقابر الدولة القديمة — وهى الاهرامات الضخمة وحتى اهرامات الدولة الوسطى واخيرا مقابر الدولة الحديثة المنحوتة فى الصخر [٢] فكرة عن أثاث ثمين يتناسب معها لابد وأنه كان يوضع فيها . ولحسن الحظ وصلت الينا مقبرة لم يسبق فتحها ونهب كنوزها وهى مقبرة توت عنخ آمون فوزن تابوته ما يقرب من ١٢٥ كيلو جرام من الذهب الخالص .

ولدينا من عهد الأسرة العشرين اعترافا «لأمننفر» بسرقة مقبرة الفرعون «سخمرع شد تاوى» يذكر لنا ما وجده مع هذا الفرعون وزوجته قائلا : «لقد قسمنا الذهب الذى وجدناه مع مومياتهما والغنائم والحلى والتوابيت الى ثمانية اقسام وخص كل واحد منا عشرون دبنا من الذهب ، فكان المجموع ١٦٠ دبنا من الذهب ولم نقسم باقى الاثاث» فكأن مجموع الذهب فى هذه المقبرة ٤٠ رطلا تقريبا . هذا بطبيعة الحال غير المجوهرات والفضة والاثاث الثمين ولم يكن الملك توت عنخ آمون الا من الفراعنة الخاملين ولنا أن نتصور ما كان يدفن مع أعاظم الفراعنة كتحتمس الثالث ورمسيس الثانى وغيرهما . وهكذا فان مقبرة الفرعون اصبحت طبقا للعقيدة الدينية كنزا ، وكان من الصعب بل من المستحيل مقاومة اغرائها .

وبالطبع ما تحتويه مقابر الافراد كان أقل من ذلك بكثير ، لكن من ناحية اخرى كان الاعتداء عليها أكثر سهولة وأقل خطرا .

وطبقا للعقيدة الدينية كان تحطيم مقبرة الشخص ومحو اسمه داخلها أعنف ما يصيب الشخص من الوان الانتقام . وعلى ذلك فالحقد السياسى لم يتورع عن انتهاك حرمات المقابر والمعابد . وقد أشار بترى إلى أن جميع معابد الملوك الجنائزية من الدولة القديمة لابد وأنها خربت وذهبت ضحية فى ثورة غضب سياسى ، اذ بلغ تخريبها حدا لايمكن تفسيره الا بهذه النظرية وفى العصور الحديثة وجريا وراء الشهرة وحب الكسب والسلب اقتحم الباحثون عن الكنوز الاهرامات ، وحطموا التوابيت الجرانيتية ولكن هؤلاء الذين ألقوا بتماثيل الملوك فى الآبار أو حطموها الى قطع صغيرة وشظايا لا يمكن أن يكونوا الا مغتصبين . ففى عهد الفوضى الذى أعقب سقوط الدولة القديمة يصور لنا «ايبوور» الاعتداء على المقابر فيقول ... «أنظر الآن فقد حدث شيء لم يحدث من زمن بعيد فان العامة سرقوا الملك – أنظر ان الذى دفن كصقر الهى اصبح اليوم فوق خشبة نعش واصبح كل مافى الهرم شيئا خاويا» وها هو الضارب على القيثار [٣] يغنى بصوت حزين : «ان الآلهة الذين ظلوا هادئين فى سالف الايام فى مقابرهم ، وكذلك الموتى السعداء المدفونين فى اهراماتهم والذين اقاموا البيوت لم يعد لما شيدوا من أثر ، أنظر ماذا جرى لهم انى سمعت كلمات إيمحوتب وحور ووف الذين يتحدث الناس كثيرا بأقوالهما فأين مساكنهما الان لقد تشققت جدرانها ولم يعد لمساكنهما وجود كأنهما لم يولدا» . وفى الدولة الحديثة نجد أمثلة هذا الانتقام مافعله تحتمس الثالث بحتشبسوت [٤] ، ومافعله رجال آمون بعد نجاحهم بأتباع الحكومة التى اسقطوها لاخناتون . ويمكن ان نرجح اسباب انتشار سرقات المقابر فى الأسرة العشرين الى عاملين :

أولهما : ضعف سلطة الحكومة وفساد الجهاز الحكومى وانهيار القيم الدينية او الوازع الدينى ، فليس من شك أن انتقال مقر الحكم من طيبة الى بر رعمسيس فى الشمال فى الأسرة التاسعة عشرة ، كان من شأنه اضعاف سلطة الرقابة الحكومية على منطقة طيبة بانتقال جهاز الحكم الذى يرأسه الفرعون الى العاصمة الجديدة ، وزاد الأمر سوءا أنه بعد رمسيس الثالث تعاقب على العرش فراعنة ضعاف ، حتى تكاد تنعدم آثارهم وكان هذا التعاقب يتم أحيانا فى سرعة غريبة لا توحى باستقرار الامور [٥] ، ومن ناحية اخرى نعلم ان الفساد كان قد تفشى فى الجهاز الحكومى الى ابعد حد ، وانتشرت الرشوة والاختلاس وانهارت العدالة «ماعت» التى

حفظت للبلاد كيانها فى العصور السالفة ، فضعف أثر الدين بما رآه الشعب من فساد الكهنة وتهالكهم على جمع الثروات ، بل أن بعضهم اشترك فى سرقات المقابر اشتراكا فعليا كما يتضح لنا من ورقة هاريس رقم ١٠٠٥٤ بالمتحف البريطانى .

أما ثانيهما فهو الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى عاشها الشعب فى هذه الفترة (النصف الاخير من الأسرة العشرين) وانقطعت موارد البلاد من امبراطوريتها فى آسيا وأصبح نفوذها هناك أضعف من أن يضمن لها وصول الجزية من تلك الجهات [٦] ، على أن سبب هذه الأزمة كان اعمق من ذلك . فقد انتهى عصر البرونز فى نهاية الالف الثانى قبل الميلاد وبدأ عصر الحديد . وكانت المناجم المصرية تمد البلاد بالنحاس الذى كان الأساس فى صنع البرونز ، ولكنها لم تمدها بالحديد . ومما يلفت النظر أن استغلال مناجم النحاس فى سيناء توقف فى ذلك الوقت وأصبح موقف مصر الحالى عسيرا بعد أن فقد المعدن الذى تملكه والذى كان عنصرا هاما من عناصر السلطان والقوة له أهميته وأخلى مكانه لمعدن آخر كان على مصر ان تشتريه من الخارج . ومنذ عام ١١٦٠ ق.م نرى تضخما كبيرا فى أسعار الغلال فى منطقة طيبة استمر نحو أربعين أو خمسين عاما ثم استقر أخيرا على اسعار أعلى بكثير مما كانت عليه فى العصر السابق . وكانت الاسعار ثابته مايقرب من ثلاثين عاما إذ كان سعر غرارة القمح يساوى تماما دبنا واحدا من النحاس ، وقبل وفاة رمسيس الثالث بدأ يرتفع قليلا سعر غرارة القمح ، ولكنه استقر وثبت نحو عشر سنوات . وفى منتصف القرن الثانى عشر قبل الميلاد ارتفعت الاسعار فجأة ارتفاعا يذهل العقل ، فزاد سعر القمح من دبن واحد للغرارة الواحدة الى ٢ دبن ثم الى ٤ ثم الى ٥ دبن فى عهد رمسيس التاسع وكذلك زاد سعر الشعير فاصبح سعر الغرارة منه ٨ دبن فى عهد الملك رمسيس السابع .

ولعل من نتائج هذه الأزمة الاقتصادية أن امتنعت الحكومة عن دفع أجور عمال الجبانه ، فأضربوا وساءت حالة منطقة طيبة وأصبح من المستحيل على هذا الشعب الجائع أن ينام على تلك الكنوز وهو لايجد ما يسد رمقه ، فانهارت مقدساته الدينية واندفع الى المقابر ليسرق مافيها ، ولعله كان يتمثل بقول الفيلسوف الحديث «إعطنى الخبز اولا ثم حدثنى عن الله» . لقد كانت سرقات المقابر شيئا عاديا منذ الأزمنة القديمة ظهرت فى ذلك العصر وانتشرت كوسيلة ناجحة ضد الفقر .

المبحث الثانى

سرقات المقابر والجهود التى بذلت لايقافها

بدأت سرقات المقابر فى وقت مبكر اذ نعلم ان سنفرو اقام مقبرة لزوجته الملكة «حتب حرس» الى جوار هرمه فى دهشور [1] . ولكن ذلك القبر فيما يظهر قد اعتدى عليه ايام ابنها خوفو فنقل اثاثه سرا الى الجيزة ، واودع بئرا فى جنوب الهرم الاكبر ولم تنقطع اللعنات ضد مخربى المقبرة وناهبيها طوال الدولة القديمة .

فهذا كبير كهنة منكاورع ترك لنا عتبة باب علوية نقش عليها «ان الذى يحب الملك والاله أنوبيس الذى على قمة جبله ، لا يأتى بأذى لمحتويات هذا القبر من القوم الذين سيصعدون الى الغرب» . كما نشاهد بين نقوش مقابر أمراء الأسرتين الخامسة والسادسة تحذير لكل من يستولى عليها بأنه «سيحاكم على أفعاله أمام المعبود الكبير» . ومن عهد الأسرة الخامسة نرى «حتب مرى آخت» وكان قاضيا ونائب الملك فى نخن [2] فى عهد «نى وسر رع» ، يسجل فى نقوش قبره أنه بنى قبره من املاكه دون ان يغتصب شيئا من الآخرين وفى مكان ظاهر حيث لم تكن هناك مقابر اخرى ، وأن اولئك الذين يدخلون اليه أو يأتون به سوءا سيحاكمهم أمام الاله الأعظم .

وهذا «نى عنخ بيبى» أحد عظماء البلاد فى عهد بيبى الاول يسجل على جدران مقبرته بسقاره : «أما من جهة أى فرد يريد أن يلحق أى أذى بهذا القبر ، فانى ساتقاضى معه فى المجلس المبجل الفاخر للاله العظيم رب الغرب ، وسأقبض على رقبته كما يقبض الانسان على عصفور ، وسيسرى خوفى فيه امام كل من على الارض» وفى مقبرة «ابى» من عهد بيبى الثانى يذكر فى نقوشها «إذا دخل أى انسان هذا القبر مدعيا ملكيته فانى سأقبض عليه كطائر مفترس وانى روح فائقة وانى أعرف كل التعاويذ وأسرار البلاط فى الجبانة» . وفى نهاية الدولة القديمة أثناء الثورة الاجتماعية اقتحم الثوار قبور الملوك والامراء وكبار رجال الدولة ، فنهبوها وعبثوا

بكل مافيها على النحو الذى سبق ان ذكرناه واستمر الاعتداء على المقابر خلال العصر الاقطاعى اذ نجد فى نصائح الملك خيتى الرابع الى ابنه الملك مريكارع مايحذره من الاعتداء على آثار الآخرين وأنه يجب عليه الحصول على مايلزمه من أحجار من محاجر طره لبناء قبره والا يأخذ احجار مما تخرب من قبور الناس (٣) .

وقد بذلت جهودا لايقاف هذه الاعتداءات ، ففى الدولة القديمة بالنسبة لبناء المصاطب كان يوجد خلف الباب الوهمى البئر الذى يؤدى الى حجرة الدفن ، وكان يصل عمقه احيانا الى نحو ٤٠ متر واحيانا كان يستعاض عن حفر بئر عمودى فى قلب المصطبة بحفر منزلق فى احد جوانب المصطبة يؤدى فى النهاية الى حجرة الدفن التى كان موضعها دائما خلف الباب الوهمى . وكان هذا المنزلق يصنع لسببين أولا لتسهيل ادخال التابوت فى حجرة الدفن وثانيا لتضليل اللصوص . وفى كلا الحالين سواء كان البئر أو المنزلق مؤديا الى حجرة الدفن ، فان اللصوص كانوا يعانون المشاق العظيمة فى الوصول الى حجرة المتوفى ، وذلك لان البئر كان يملأ بعد الدفن بالبقايا المتخلفة من نحته .

وعندما حل الهرم مكان المصطبة بعد ذلك وأصبح مقبرة للملك كانت حجرة الدفن تصان بكل الطرق الممكنة ، فقد كانت تحاط بجدران حجرية ذات صلابة هائلة ، وكان الممر الذى يمر فيه التابوت الى الداخل يسد بكتل الجرانيت بطريقة بالغة الاحكام والدقة .

ويمتاز هرم بيبى الاول فى سقارة (٤) بالتفنن فى اخفاء غرف الدفن والعناية بوضع العقبات فى طريق الوصول اليها ، ورغم كل هذه التحفظات فقد سرقت الاهرامات بلا استثناء ولهذا غالى ملوك الدولة الوسطى فى التفنن فى اخفاء غرفة الدفن ، اذ تمتاز اهرامات هذه الأسرة بكثرة تعاريج ممراتها وحجراتها واخفاء معالم مدافنها لتضليل اللصوص . وخير الأمثلة على ذلك هرم الملك أمنمحات الثالث الذى دفن فيه على حافة الصحراء عند مدخل الفيوم . ويلاحظ فى هذا الهرم التفنن فى اخفاء غرفة الدفن بوسائل متعددة ، اذ جعل مدخل الهرم فى الجهة الجنوبية بدلا من وضعه فى الجهة الشمالية كالمعتاد ، كما بنى ممرا طويلا ينحدر الى غرفة تظهر للصوص أنها مؤدية لحجرة الدفن ، ولكن سقف هذه الحجرة بنى بانحدار جانبى وبه فتحة لها ممران أحدهما يمتد مستقيما والثانى يتحول نحو اليمين . وهذا الممر الاخير كان يظهر للصوص أنه ممر مضلل بقى مفتوحا وينتهى بحجرة خالية .

اما الممر الاول المستقيم ، فقد سد باحكام بأحجار مرصوصة كأنه يؤدى الى حجرة الدفن ، ذلك أن الحجرة الخالية التى ينتهى اليها الممر المفتوح كان يوجد بها ايضا منحدر يؤدى الى ممر علوى يتجه نحو الشمال ، فينتهى ثانية بالحجر الاصم . وهناك شرك مخفى فى السقف يؤدى الى ممر ينتهى ببئر عميق ، يخيل للصوص أن الدفن فيها كذلك الجدار الذى على يمين هذه الحجرة مبنى بقطع من الاحجار ، مما يوحى أن الدفن قد تحصن وراءها ولكن كان الامر مجرد خدعة .

فالباب الحقيقى الى حجرة الدفن يؤدى اليه فتحة أرضية ، بينما الشراك التى نصبت للصوص كانت فى السقف ، وهذه الفتحة التى عثر عليها فى الأرض تؤدى الى غرفة الدفن بواسطة ممر قصير والمدخل كان مسدودا بحجر يبلغ وزنه ٤٥ طنا ، أعد لانزاله فى مكانه بعد الدفن مباشرة . ومع كل هذه الاحتياطات نهب اللصوص القبر بعد وفاة صاحبه وأصبح واضحا أن هذه الوسيلة لم تعد مجدية ، وكان لابد من اتخاذ طريقة أخرى للمحافظة على جثث الملوك خلاف هذه الأهرامات الظاهرة المعرضة للنهب .

وهكذا فان مقابر ملوك الأسرة الثامنة عشرة كانت تقع خارج الجبانة فى وادى الملوك الصخرى [٥] ، يفصله عن الشاطىء الغربى للنيل جبل (العساسيف) ، وجوانب هذا الوادى صخرية شديدة الانحدار لا مدخل لها الا من طريق واحد ملتوى له بوابه تفضى الى وادى الملوك [صورة رقم ٥٧] ، بلغت من الضيق حدا يمكن معه ان يقوم بحراستها عدد قليل من الرجال ، وكان يوجد ايضا مدخل آخر صعب من الوادى الذى يقع خلف مقابر الملوك . وهذه الطرق الضيقة كانت تحرسها مراكز للخفارة (نقطة بوليسية) لا تزال أطلال أكواخها الحجرية فيه يمكن رؤيتها حتى الآن . وكانت ترابط نقط اخرى عند مدخل الوادى ، وهكذا كان يبدو وادى مقابر الملوك طبقا لتقدير البشر فى أمان ، فلو أن اللصوص نجحوا فى اجتياز الجبل الصخرى فى مكان لا تشمله الحراسة ، فان اختفاؤهم عن أعين الحراس فى هذا الوادى الضيق يكاد يكون غير ممكن .

واتخذت خطوات أخرى للمحافظة على سلامة المقابر فقد قام الملك «أمنحتب الأول» بفصل القبور عن المزار الذى كان يلحق به . وأكبر الظن ان يكون مبعث ذلك ما كان يخشاه الملوك يومئذ من عدوان اللصوص من نباشى القبور ، ففكروا فى فصل المقبرة عن المزار حتى لا يجد اللصوص سبيلهم اليها .

ويحدثنا «إنينى» الذى أشرف على بناء مقبرة تحتمس الأول عن ذلك بقوله «أشرفت على حفر قبر الملك وكنت وحيدا لم يرنى أحد ولم يسمع بى أحد» . ولا نعرف فى أى تأريخ بالضبط أصبحت جبانة طيبة مؤسسة حكومية ، ولكننا نعلم أنه منذ الأسرة السابعة عشرة أخذت الجبانة الملكية تشغل مساحة عظيمة ولابد ان اختيار تحتمس الأول لوادى الملوك مقرا لجثمانه بالاضافة الى زيادة حجم المقابر وفخامتها وعظم النفائس التى كانت توضع داخلها أدى الى ايجاد وسيلة لتأمينها ضد السرقة .

وقد اضطر الملوك الى ايجاد نظام دقيق لتجهيز هذه المقابر والمحافظة عليها بدرجة كبيرة . نظام يحيط به الكتمان أحيانا حتى يخيل للانسان انه لا يقترب من المقابر الا نفر خاص ، ولم تكن جهود ايقاف السرقات سلبية على النحو الذى رأيناه ، بل اهتمت الحكومة منذ وقت مبكر بتشديد الحراسة على المقابر . فمنذ عهد الدولة القديمة نجد لكل من الأهرام الملكية والجبانات حرسا من الجند المرتزقة ، وكان هؤلاء الجنود النوبيون يؤلفون قوة من رجال الشرطة وحامية ثابتة ، وكل اليها المحافظة على الأمن فى مناطق الحدود وحراسة الجبانات والأهرام الملكية . ويرد ذكر جنود الجبانة فى نصوص الدولة الوسطى ، اذ جاء ذكرهم فى حملة «سنوسرت» التى قام بها الى وادى الحمامات فى أيام الملك «أمنمحات» الثالث . ومن لوحة أقامها الملك «خم سخم رع – نفر حتب» من ملوك الأسرة الثالثة عشرة عند طرفى الجبانة العظيمة القائمة خلف العرابة «قرر جلالته أن هذه الجبانة الواقعة جنوب العرابة يجب ان تصان فلا يسمح لأى شخص أن يطأها بقدمه ، وأى موظف يقيم لنفسه قبرا داخلها ، فلابد من التبليغ عنه ويجب أن ينفذ فيه القانون» .

وتعطى لنا قطعة من الأستراكا نقش عليها نصوص خاصة بقبر الملك مرنبتاح والاستعدادات التى اتخذت لاعداد المقبرة فكرة عن نظام حراسة القبور ، ويدل النص رغم تهشيمه على أن القائمين بانجاز ذلك العمل ، هما الوزير ورئيس المالية وهما أكبر موظفى الدولة . وكانت حراسة المقابر الملكية فى يد الشرطة يتسلمونها من حراس الجبانة ، وكان على الوزير كذلك أن يسلم المقبرة لرئيس الشرطة ، ليحافظ على ما فيها من أثاث ثمين خوفا من عبث اللصوص بها ، حتى يأتى يوم دفن الملك فتغلق نهائيا . كما نعلم أن «باسر» من عهد الملك رمسيس التاسع كان يحمل لقب أمير الغرب والرئيس الأعلى لفرق بوليس مدينة الأموات ، مما يدل على مدى الاهتمام بحراسة المقابر . ولسنا نعرف العقوبات التى كانت توقع على سارق

المقبرة وناهبها ، ولكننا نعلم أن ما جاء فى ورقة أبوت الخاصة بسرقات المقابر فى الصفحة السادسة أن «بورعا» أمير غرب المدينة ، كان لديه خمس تهم خاصة بسرقات المقابر ، قال عنها «لم يكن فى الامكان اخفاؤها لأنها تهم خطيرة ، تعاقب بالبتر والوضع على خازوق أو أقسى العقوبات» .

وكانت محاكمات سرقات المقابر من أهم القضايا وأخطرها ، وكان القضاه الذين يحاكمونهم يختارون خاصة من أعلى الوظائف . ففى أيام الملك رمسيس التاسع اشترك فى محاكمة لصوص المقابر الوزير «خغمواست» ، والكاهن الأكبر لآمون رع فى الكرنك ، وكاهن معبد الفرعون الجنائزى ، وشخصان مهمان من رجال الحاشية وأحد كبار رجال الفرسان وحامل علم فى البحرية وحاكم طيبة «باسر» .

والفرعون بالرغم من أنه كان غائبا عن طيبة لم يكن سلبيا بالنسبة للجرائم التى ترتكب ضد أجداده الموتى ، فالمحاكمات كانت تجرى بأمره ، وعلى الأقل فى حالة واحدة سجن المدانون حتى يقرر الملك عقابهم .

والواقع أنه رغم كل الوسائل التى اتخذت للمحافظة على المقابر ، ورغم جهود الشرطة وتشديد العقوبات ، فقد استمرت سرقات المقابر بل وانتشرت عن ذى قبل . فالملوك أنفسهم كانوا أحيانا لصوص مقابر ومعابد ، فمثلا ظهر لنا أن هرم امنمحات فى اللشت شيد بأحجار اخذوا الكثير منها من المعابد او المقابر الاقدم عهدا . ومنها احجار منقوشة أتوا بها من معابد بعض ملوك الأسرة الرابعة من الجيزة والأسرة الخامسة من سقارة ، وكان الكهنة انفسهم — ومن السهل عليهم الوصول الى المقابر بحكم أداء الشعائر الدينية للمتوفى يقومون بسرقة المقابر — فمقبرة الملك «سقنن رع» فى الغالب ان يكون قد سرقها الكهان الذين كانوا يقومون على حراسته ، ورعايته وتدل على ذلك الطريقة التى اتبعت فى نهب القبر ، فاللصوص لم يكونوا من عامة الشعب إنما كانوا من رجال الدين الذين يؤمنون بالآلهة ، لأنهم انتزعوا صفائح النعش الذهبية وأبقوا على رسوم الارباب التى ازدان بها التابوت ، ثم عادوا فلونوا مكان الصفائح بلون الذهب ليخفوا معالم الجريمة .

وحتى اذا استطاعت جهود الشرطة ان توقف نهب المقابر من لصوص الجبانة الخارجيين فان لصوصا آخرين أشد خطرا كانوا منبثين داخلها ، فالعمال الذين كانوا يقومون ببناء وزخرفة المقابر الجديدة كانوا يسرقون المقابر القديمة .

وهكذا لم يكن أمام الحكومة فى النهاية الا أن تعترف بعجزها التام عن ايقاف هذه السرقات . فاضطروا الى هجر المقابر التى كانت معرضة للخطر واكتفوا بمحاولة انقاذ الجثث الملكية ، ونقلوا بقلوب واجفة الجثث من مقبرة الى أخرى . فمومياء رمسيس الثانى مثلا وضعت أولا فى مقبرة سيتى الأول ، وعندما اصبحت هذه المقبرة مهددة نقلت الى مقبرة أمنحتب الاول ، واخيرا لم يبق امامهم الا ان ينقلوا سرا ما بقى من الجثث ويخفوها فى بئر عميقة محفورة فى الصخر ، يصعب الاهتداء اليها فى جبل الدير البحرى . وقد بلغ خوفهم من اللصوص حدا خطيرا ، بحيث لم يجرؤا على دفن جثث البيت المالك فى احتفال وانما أخفوها أيضا فى هذا المخبأ .

وكان الكاهن الأكبر الذى نفذ هذا المشروع العظيم هو «بينزم» [٦] الذى جعل من هذا المكان مستقرا لموميات أسلافه وما بقى من رفاتهم الاصلية وكذلك موميات أجداده كهنة وكاهنات آمون واحتفظ الزمن بهذه الوديعة حتى سنة ١٨٨١ [٧] .

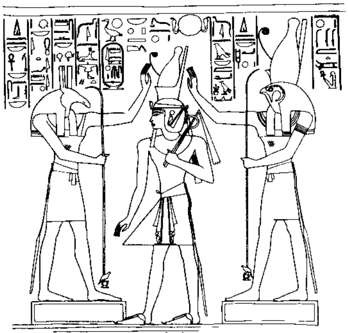

المبحث الثالث

صورة من تحقيقات سرقات المقابر فى الأسرة العشرين

ويتضمن الاتى :

أ - البلاغ الأول ودوافعه .
ب - تشكيل لجنة التحقيق والمعاينة .
ح - قرار اللجنة .
د - ضبط المتهمين والتحقيق معهم .
هـ - المعاينة بارشاد المتهمين .
و - مظاهرة ابتهاج واتهامات جديدة .
ز - تحقيق مغرض .
حـ - نهاية الموضوع .

مقدمة

سنتناول هنا أشهر قضايا سرقات المقابر وأوضحها بالنسبة لنا ، وهى التى حدثت فى عهد رمسيس التاسع ، ووصلت الينا انباؤها مفصلة فى ورقة أبوت وورقة أمهرست وليوبولد الثانى وورقة هاريس ١٠٠٥٤ بالمتحف البريطانى ، وهذه الأوراق البردية الثلاث قد تناولت نفس الموضوع واثناء عرضنا لهذه القضية سننظر اليها ، كما ننظر الى إحدى القضايا الحديثة ونطبق عليها مفهومنا الحديث عن التحقيق الجنائى .

يرجع تاريخ هذه القضية الى السنة السادسة من حكم الملك رمسيس التاسع حوالى ١١٠٠ ق.م وكان الوزير «خعمواست» يقوم على رأس الحكومة فى العاصمة الشمالية ، بينما كانت طيبة مسرح حوادث القضية ، منقسمة الى قسمين النصف الشرقى : أى المدينة الحقيقية يرأسه أمير المدينة «باسر» . والنصف الغربى : أى مدينة المقابر يرأسه أمير الغرب والرئيس الاعلى لفرق بوليس مدينة الاموات وهو «بورعا» وكان كل من رئيس المدينة تحت الاشراف المباشر للوزير .

أ - البلاغ الأول ودوافعه .

تلقى «باسر» وهو فى مكتبه بالبر الشرقى ، معلومات عن حدوث سرقة فى مقابر البر الغربى فى المنطقة التى يشرف عليها زميله «بورعا» ، ولم تكن المعلومات جديدة لان سرقات المقابر كانت منتشرة فى هذا الوقت بدرجة لابد انها كانت معروفة جيدا للقائمين على اجهزة الحكم وقتئذ ، حتى وجدنا البناء «أمنبنفر أنحور نختى» يذكر فى اعترافه التفصيلى الوارد فى بردية أمهرست وليوبولد الثانى [1] : «واستمريت مع زملائى اللصوص الاخرين نسرق مقابر الاشراف وأهالى البلاد فى غربى طيبة ، وكان عدد كبير من أهالى البلاد يسرقونهم ايضا» .

ولكن «باسر» لم يتريث حتى يتأكد من المعلومات التى وصلته ، بل أسرع وتقدم للوزير وغيره من موظفى بلاط الملك : «ان عشرة مقابر من مقابر الملوك وأربعة من مقابر الملكات ، وكثيرا من مقابر النبلاء قد دخلها اللصوص وسرقوها» . وحدد أسماء الملوك والملكات الذين قال ان مقابرهم سرقت ولكن «بورعا» لم يترك لزميله فرصة الابلاغ عن اهماله ، وفضل ربما بمساعدة الوزير الذى رأيناه يسانده من البداية الى النهاية ، أن يقدم هو تقريرا يطلب التحقيق ، ونجح فى أن يذكر فى الوثيقة الرسمية فى ورقة أبوت الصفحة الاولى ، باعتباره هو الذى أبلغ عن هذه السرقات وهو الذى طلب التحقيق فيها .

ولسنا ندرى ماهو الدافع وراء قيام «باسر» بتحريك موضوع سرقات المقابر على هذا النحو ، وهو أمر معروف وواضح للجميع وقتئذ . قد يكون غيرته على مقابر الأجداد ولكننا نميل الى أن الحقد الشخصى على زميله الذى كان يتمتع بمكانة خاصة لدى الوزير ، هو الذى دفعه لهذا الابلاغ ، لاننا لا نلبث أن نرى العداوة اصبحت سافرة بين الطرفين بعد ذلك ، رغم أن «باسر» كان شعوره دائما ان الوزير غير منصف بالنسبة له ، وأنه على استعداد ليقضى على أى اتهام أو على الاقل لا يساعد على إيضاح أية اتهامات تأتى من ناحيته .

أما الجهة التى قدم لها البلاغ فى صورته الرسمية والتى امرت بالتحقيق ، فهى كما وردت فى ورقة أبوت الوزير «خعمواست» و «نسآمون» كاتب الفرعون و «نفر كارع مبر آمون» حاجب الفرعون .

ب - تشكيل لجنة التحقيق والمعاينة .

وعلى الفور أمر هؤلاء الأمراء العظام الثلاثة عندما سمعوا بالاعتداء على مدينة الاموات الجليلة ، بتشكيل لجنة لتحقيق الامر ، وشكلت اللجنة برئاسة أمير الجبانة «بورعا» بنفسه وضابطين من ضباط شرطته ، وكاتب الوزير وكاتب آخر من ادارة الخزانة ، وكاهنين كبيرين يعاونهم رجال الشرطة . وكانت وسيلة التحقيق هى المعاينة للتأكد من وقوع الجرائم المشار اليها ، ولذلك كلفت اللجنة بالانتقال الى البر الغربى ، وقد جاس هؤلاء الموظفون كمفتشين خلال الوديان الصخرية فى مدينة الاموات ، يفحصون أمر كل مقبرة يشكون فى أمرها . وانتقلت اللجنة بعد فحص مقابر الملوك إلى تحقيق الاتهامات الخاصة بسرقة المقابر فى وادى الملكات ، وفى مقابر النبلاء ، وقامت بوضع تقرير مفصل عن نتيجة عملها .

جـ - قرار اللجنة .

سجلت اللجنة فى قرارها المقابر التى تم فحصها فى هذا اليوم ، ويلاحظ أنها ذكرت بالتفصيل الواضح مقابر الملوك ، وحالتها بالضبط وعلى سبيل المثال ورد فى تقرير اللجنة :

«الافق الأبدى للملك أمنحتب الاول [٢] البالغ عمقه ١٢٠ ذراعا من اول لوحته المسماه ... «باعاتا» الى شمال معبد أمنحتب ذى الحديقة .... وقد فحص فى هذا اليوم فوجده المفتشون سليما . أما مقبرة الملك ابن الشمس «انتف الاكبر» الواقع الى شمال فناء معبد أمنحتب فهى مخربة ، والتى أقيم أمامها لوح مثل عليه الملك مع كلبه «يحكا» بين قدميه ، فهذا القبر قد فحص أيضا فى ذات اليوم ووجد سليما» .

ويلفت النظر فى التقرير دقة المعاينة فى تحقيق موضع المقابر ، وليس مجرد ذكر سلامتها ، حتى اننا اعتمدنا بعد ذلك على هذه الورقة فى تحديد بعض اماكن القبور فى وادى الملوك .

اما فيما يختص بقبر الملك «سبك ام ساف» الذى وجد مسروقا فقد وجد عنه فى قرار اللجنة (بردية أبوت) ان اللصوص اقتحموا مقبرة الملك «سخمرع شدتاوى» [٢] عند قاعدة الهرم مبتدئين من الردهة الخارجية لمقبرة «نب آمون» المشرف على مخازن الغلال فى عهد «تحتمس الثالث» . وقد وجد مكان مدفن الملك مسروقا وكذلك وجدت حجرة دفن الزوجة الملكية العظيمة «خاستوب» خاوية اذ قد استولى عليهما اللصوص .

ويلفت نظرنا مرة اخرى فى هذه المعاينة تحديد المكان الذى اتخذه اللصوص للوصول الى الهرم وسجلت اللجنة فى النهاية المجموع :-

مقابر الملوك الاجداد التى فحصها المفتشون هذا اليوم ووجدت سليمة تسعة مقابر ، وقد وجدت واحدة منهوبة فيكون المجموع عشرة مقابر .

ويلاحظ أن هذه الدقة فى المعاينة اقتصرت على مقابر الملوك أما مقابر مغنيات آمون ومقابر عامة الناس فقد ذكرت ضمنا دون تفاصيل ، وقد كان ذلك أمرا طبيعيا فالمهم بالنسبة لجنة مقابر الملوك .

وعلى أى حال فقد ذكرت اللجنة أنه من بين أربع مقابر للمغنيات الممتازات لكبيرة كاهنات آمون رع ملك الالهة وجدت منهما اثنتان فقط سليمتان ، أما مقابر عامة الناس فقد وجد أن اللصوص نهبوها كلها وجردوا أصحابها من توابيتهم الداخلية والخارجية ، وألقوهم الى الأرض وسرقوا متاعهم الجنائزى .

د - ضبط المتهمين والتحقيق معهم .

كان على «بورعا» بعد ذلك ان يقدم للوزير والامراء العظام أسماء اللصوص ، فقدمهم على الفور ، ولا نتصور بطبيعة الحال أن هؤلاء الذين قدمهم بهذه السرعة كانوا لصوصا بالمعنى المفهوم ، انما كانوا على الأغلب مجموعة من المشتبه فيهم ، وهم الذين عرف عنهم ذلك دون أن يثبت عليهم ارتكاب سرقات المقابر ، لاننا نجُد احدهم وهو بيخال «تذكر عنه بردية ابوت» ، وكان هذا الرجل قد وجد هناك (بالقرب من المقابر الملكية) ، وضبط مع اثنين آخرين تابعين للمعبد القريب من المقابر ، وعمدة المدينة قد حقق معه هو والوزير «نب ماعت رع نخت» فى السنة السابعة عشرة أى منذ حوالى عامين ، وكان الذى قدم هؤلاء اللصوص للتحقيق أو بمعنى آخر الجهة التى أجرت البحث والتحرى وجمع الادلة هم - كما ورد فى ورقة «أمهرست وليوبولد» - «بورعا» عمدة طيبة الغربية ورئيس الشرطة وكاتب الحى وملاحظ المركز غربى طيبة ، أما الجهة التى تولت التحقيق كما ورد فى نفس البردية فهم الوزير «خعمواس» و «نسآمون» كاتب الفرعون و «نفر كارع مير آمون» «حاجب الفرعون» وهى نفس الجهة التى تلقت البلاغ الأول وشكلت لجنة التحقيق مضافا لها «باسر» عمدة غربى طيبة .

وكان التحقيق فى ذلك الوقت يعتمد على اعتراف المتهم تحت تأثير العذاب الشديد والذى تعبر عنه النصوص بأن «حققوا معه تحقيقا دقيقاً» ومعنى هذا التعبير بالنسبة لهم انهم كتفوه وقيدوا رجليه ويديه وضربوه بالعصى على يديه ورجليه وهددوه بجدع أنفه وصلم أذنه ووضعه فوق وتد» .

فالبناء «أمننفر بن انحور» كما جاء فى ورقة «هاريس» حقق معه بالضرب بالعصا وثنيت يداه ورجلاه ، فاعترف بأنه ذهب الى وراء الحصن الواقع غربى طيبة ، ويبدو أن نفس الوسيلة قد استخدمت لانتزاع اعتراف النحاس «بنجال» ، إذ أنه كما جاء فى ورقة أبوت اعترف

قائلا «لقد كنت فى قبر الزوجة الملكية ايزيس [٣] زوجة الفرعون (أوسر ماعت رع مرى آمون) رمسيس الثانى ولقد احضرت معى بعض اشياء من هناك واستوليت عليها» .

أما الحجار «أمنيفر» فقد اعترف اعترافا تفصيليا جاء فيه عن نفسه وعن زملائه الثمانية بورقة «امهرست وليوبولد الثانى» :

«وقد وجدنا مقبرة الملك «سخم رع شد تاوى» وهذا لم يكن قط كالأهرام ومقابر الأشراف التى كنا نذهب لسرقتها عادة واخذنا آلاتنا المصنوعة من النحاس وحفرنا بها طريقنا الى داخل هرم هذا الملك حتى وصلنا الى نهايته ، فوجدنا حجراته السفلية واخذنا شموعا متقدة فى ايدينا ونزلنا فيها ... ، ووجدنا المومياء الكريمة لهذا الملك ، مسلحة بسيف وعدد كبير من التعاويذ والمجوهرات الذهبية حول رقبته وغطاء رأسه المصنوع من الذهب كان عليه . وكانت مومياء هذا الملك مزينة تماما بالذهب ، وكانت صناديقه الخشبية مزينة بالذهب والفضة من الداخل والخارج ومرصعة بكل أنواع الاحجار الكريمة ، فجمعنا الذهب الذى وجدناه على المومياء الكريمة لهذا الاله والذى وجدناه على التعاويذ والمجوهرات على رقبته وعلى الصناديق الخشبية التى كان يرقد فيها ، وقد وجدنا الملكة فى نفس الحالة . فجمعنا ما وجدناه عليها أيضا واشعلنا النيران فى صناديقهما الخشبية ، وأخذنا اثاثهما الذى وجدناه معهما ويحتوى على أشياء من الذهب والفضة والبرونز وقسمناه فيما بيننا فكان نصيب الواحد منا نحن الثمانية عشرين دبنا من الذهب» (أى ان ما سرق من الذهب يساوى ١٤٫٥ كيلو جراما تقريبا) .

ثم تابع «أمنيفر» اعترافه فأوضح دور الجهاز الحكومى فى التستر على الجريمة : «ثم عبرنا النهر الى طيبة وبعد مرور بضعة أيام سمعت شرطة طيبة بأننا كنا نسرق فى الغرب ، فاعتقلونى وسجنونى فى مقر عمدة طيبة ، فاخذت العشرين دبنا التى خصتنى كنصيبى وأعطيتها الى «خع ام أوبت» كاتب ميناء طيبة فافرج عنى وانضممت الى زملائى وعوضونى عن نصيبى بنصيب آخر واستمريت أنا واللصوص الآخرين الذين كانوا معى نزاول حتى اليوم سرقة مقابر الأشراف وأهالى البلاد المدفونين فى غرب طيبة» .

هـ - المعاينة بارشاد المتهمين .

وفى اليوم التالى اتجهت لجنة مشكلة برئاسة الوزير «خعمواست» و عضوية «نسآمون» كاتب الفرعون الى غرب طيبة استكمالا للتحقيق لاجراء المعاينة بارشاد المتهمين ، وقد اخذوا معهم «بيخال» معصوب العينين كما ورد فى بردية أبوت ، وقالوا له «اذهب أمامنا الى المقبرة التى سرقت منها شيئا ...» فذهب النحاس أمام الأمراء الى احدى مقابر رمسيس الثانى وكانت مفتوحة لم يدفن فيها أحد البته وإلى منزل عامل الجبانة امنوبى وقال : «انظروا هذان المكانان الذين دخلتهما» ، وعندئذ أمر الامراء أن يحقق معه تحقيقاً دقيقاً للسرقة (ومعناه الضرب) بيد أنهم وجدوا أنه لا يعرف مكانا غير هذين المكانين .

ولا نستطيع أن نفسر اعترافه السابق بسرقة مقبرة الزوجة الملكية ايزيس الا أنه قد اضطر اليه تحت التعذيب الشديد ، ويبدو أن هذه اللجنة صحبت أيضا «أمنبنفر بن أنحور نختى» وشركاؤه الثمانية للارشاد عن موقع الهرم الذى سرقوه ، وان لم يرد ذلك فى ورقة أبوت الا أنه ورد فى ورقة أمهرست وليوبولد الثانى على أن ذلك حدث فى نفس التاريخ الذى حدثت فيه المعاينة الأولى بارشاد بيخال ، وهى السنة السادسة عشرة الشهر الثالث من فصل الفيضان ، اليوم التاسع عشر .

هذا وقد كان من مهام هذه اللجنة العليا التثبت من صحة تقرير اللجنة الأولى ، ومراجعة اعمالها فقد جاء فى ورقة أبوت ، : «قام الأشراف بفحص أختام المقابر العظيمة تلك التى فى مكان الجمال الذى ثوى فيه الابناء الملكيين والزوجات الملكيات ووالدات الملك واباء امهات (٤) الفرعون فوجدت سليمة» وبذلك أشرفت القضية على نهايتها وبقى فقط ارسال الاوراق للملك لتوقيع العقوبة .

و - مظاهرة ابتهاج واتهامات جديدة .

كان تقرير اللجنة الأخير بسلامة المقابر الملكية مدعاة ابتهاج فى الغرب . وجاء فى ورقة أبوت : «وقد أمر الأشراف العظام المراقبين وقواد العشرة وعمال الجبانة ورؤساء الشرطة والشرطة وكل عمال الجبانة أن يطوفوا حول غرب طيبة فى مظاهرة كبيرة حتى المدينة» . وطبيعى ان

هذه المظاهرة كانت موجهة ضد «باسر» الذى ابى عليه تزمته الا أن يفسد عليهم ما يجنونه من ثروات تزخر بها مقابر الغرب ، واتجهت المظاهرة الى «باسر» فى معبد بتاح حيث كان جالسا مع كاتب فرعون «نسآمون» ، ولابد أن المظاهرة استفزت «باسر» فاعلن أن لديه خمس اتهامات ابلغها له الكاتبان «حورى شرى» و «ببس» ، وأنه سيكتب عنها للفرعون مباشرة ولسنا ندرى ما لدى «باسر» هل هى اتهامات جديدة أم ادلة جديدة على نفس الاتهامات السابقة . الأغلب أن تكون الاخيرة لأننا نجد الوزير بعد ذلك يقول فى المحكمة – ردا على اتهامات «باسر» – أنه فحص المقابر بنفسه مع الكاتب الملكى «نسآمون» ، مما يدل على أن الاتهامات الخمس الجديدة كانت تتعلق بنفس المقابر السابق فحصها .

كما نجد بين المتهمين الذين قدموا للجنة بيخال ، وهو الذى سبق اتهامه فى نفس الموضوع ، والافراج عنه . ولدينا صورة من الكلمات التى فاه بها أمير المدينة «باسر» للعمال المتظاهرين ومن بردية «أبوت» عرفنا تفصيلا أكثر عما حدث قائلا لهم :

«لقد هللتم أمام منزلى ، لقد كنت أنا حقا الأمير الذى أعطى المعلومات للحاكم فاذا كنتم مبتهجين بهذا القبر الذى فحصتموه ووجدتموه سليما» ربما يقصد قبر الملك أمنحتب الاول لمكانته بين عمال الجبانة ، فقد وجد قبر الملك «سخم شد تاوى» منهوبا وكذلك قبر الزوجة الملكية «نباستوب» منهوبا . وقد أجابه احد العمال : «ان كل الملوك وازواجهم الملكية محفوظون وآمنون أبديا وأن الخطط الدقيقة لفرعون ابنهم هى التى تسهر على العناية بهم» ، وعندئذ وقع «باسر» فى الفخ الذى نصب له لأنه أجاب العامل :

«إن أعمالك تكذب كلماتك ومعنى هذا التعريض بشخص الفرعون وقدرته على حماية اسلافه واستمر «باسر» يقول ان لديه خمس اتهامات جديدة سيكتب عنها للفرعون مباشرة ... وكان واضحا ان حاكم المدينة تحدى رئيسه المباشر الوزير ، بتهديده بابلاغ الامر للفرعون مباشرة .

واثار سخط «بورعا» أيضاً – كما نفهم من وثيقته التى قدمها للوزير – هذان الكاتبان من كتبة الجبانة «حورى شرى» و «ببس» ، اللذان أبلغا «باسر» بالاتهامات الخمسة «بيد أنها جريمة هذين الكاتبين انهما ذهبا الى أمير المدينة هذا ببلاغهما مع أن اسلافهما قط لم يتقدموا ببلاغاتهم اليه بل الى الوزير» .

ز – تحقيق مغرض .

حقق الوزير فورا فى بلاغ «بورعا» إذ ألف محكمة جديدة للتحقيق عقدت اجتماعها فى معبد «آمون» ، وكان يرأسها الوزير نفسه وشرفها كبير كهنة «آمون» بحضوره ، وكان «باسر» بحكم منصبه من اعضائها ، وأحضروا ثلاثة من المتهمين وهم صانع المعادن «بيخال بن خارى» و «ثارى بن خعمواس» و «بيكا من بن ثارى» وافتتح الوزير الجلسة قائلا ... «لقد فاه أمير المدينة بكلمات لمفتش وعمال الجبانة تعتبر اهانات فى حق الأماكن العظمى الموجودة فى مكان الجمال أمام الكاتب الملكى «نسآمون» ومع ذلك فإنى كنت بوصفى وزيرا للبلاد برفقة الكاتب الملكى «نسآمون» ، وقد فحصنا الأمكنة التى قال عنها أمير المدينة : «ان عمال المعادن فى معبد الملك رمسيس الثالث الواقع فى معبد آمون ينخلوها ، فوجدناها سليمة وكل ما قاله ثبت أنه كذب ، والآن عمال المعادن يقفون أمامكم فدعوهم يقصون ما حدث» .

وبعد مثل هذا الافتتاح المغرض ، كان من الطبيعى أن يشعر النحاسون أنهم غير ملزمين بتأييد اتهامات «باسر» بل أن اتجاه الوزير ورغبته – كما تبدو من أقواله – ان ينفوا هذه الاتهامات ، ولذا حين استجوبوا أجابوا أنهم لا يعرفون أى قبر فى مكان الفرعون مما تحدث عنه العمدة ، فأطلق الاشراف العظام سراحهم .

حـ – نهاية الموضوع .

لسنا ندرى كيف انتهى هذا النزاع وربما وجد الطرفان أن مصلحتهما تقتضى العدول عن المضى فى هذا الموضوع والعمل على عدم وصوله الى الفرعون ، فأمير المدينة «باسر» قد فاه بأشياء حمقاء أثناء التحقيق ، وكان من السهل إعتبارها اهانة للملك . على حين ان أمير مدينة الاموات ايضا وحامية الوزير لم يكونا يستطيعا أن يفخرا بطهارة الذمة ، فرغم أن مقبرة واحدة من مقابر الملوك هى التى سرقت ، فإن الأحوال كانت سيئة جدا فى الجبانة لأن المقابر الخاصة قد فتحت ونهبت جميعها .

وكان من الواضح أن حزب «بورعا» هو الذى انتصر ، وهذا ما دعى «بيت» أن يرى فى بردية «أبوت» انها غير محايدة ، لان «بورعا» كتبها معبرا عن وجهة نظره هو .

وعلى أى حال فاننا لم نعد نسمع كلمة واحدة عن «باسر» عمدة طيبة بعد انتهاء المحاكمة ، وسقط اسمه من الوثائق بينما ظل منافسه الخبيث «بورعا» فى وظيفته كعمدة لغرب طيبة سبعة عشر عاما بعد ذلك ، وكانت سرقات المقابر تزداد يوما بعد يوم . ففى السنة الاولى من حكم الملك رمسيس العاشر وجب القبض على ستين متهما من اللصوص العتاة ، وكان الذين حامت حولهم شبهة السرقة هذه المرة من صغار الموظفين ، وبعض الكهنة وغيرهم من العاطلين ، وكان معظمهم من أهالى طيبة ، على أن بعضا منهم أتى من الاماكن المجاورة للاشتراك فى هذا العمل المربح ، وفى هذه المرة لم يسرقوا المقابر فحسب ، بل اعتدوا ايضا على خزينة معبد رمسيس الثالث ، وباعوا المسروقات . ان القصة الطويلة المحزنة لسرقات المقابر فى الأسرة العشرين ليست الا قصة كبار الموظفين الذين يراوغون فى تأدية واجبهم ، لأنهم كانوا يجنون نفعا خاصا من تلك المراوغة .

لقد كان هذا ابتعادا عن «الماعت» ، وإن احتفظوا بقدر قليل من ملامحها ، مما يوهم الناس ويخدعهم أنها لاتزال قائمة تتمثل فى تلك المحاكات ، وبينما الواقع أن هؤلاء الاشخاص الذين عذبوا وضربوا وانتزعت اعترافاتهم صدقا أو كذبا ليسوا سوى ضحايا الموظفين المسئولين الذين كانوا يحققون معهم .

لقد هبطت الروح المصرية واختفت المثل العليا ، وفقد الناس ايمانهم بالدين .

الفصل الثانى

اضرابات العمال فى النصف الثانى من الدولة الحديثة

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : عمال الجبانة وتنظيمهم ومكانتهم داخل الدولة .
المبحث الثاني : مرتبات عمال الجبانة .
المبحث الثالث : الحالة الاقتصادية والسياسية فى البلاد اثناء اضرابات العمال .
المبحث الرابع : توقف الحكومة عن دفع مقررات العمال .
المبحث الخامس : الاضراب الأول .
المبحث السادس : تتابع الاضرابات .
المبحث السابع : استمرار الاضرابات بعد رمسيس الثالث .

المبحث الأول

عمال الجبانة وتنظيمهم ومكانتهم داخل الدولة

كان لكل ادارة من ادارات مصر القديمة ، صناع وعمال خاصون بها ، وكانوا ينقسمون الى فرق ، ومنذ اخذ ملوك الدولة الحديثة يقيمون مقابرهم فى غرب طيبة ، ازداد الاهتمام بطائفة عمال الجبانة ، الذين كانوا يقومون بنحت المقابر الملكية وزخرفتها ، وليس ببعيد أن يكون المؤسس الاول لطائفة عمال الجبانة هوالملك «أمنحتب الاول» فقد راى الأثرى «تشرنى» أن تمثال «أمنحتب الاول» كان يقوم بالفصل فى المخاصمات بين العمال بواسطة الوحى الذى ينطق به التمثال فى المحراب أو فى أثناء الموكب [1] ، مما يدل على مكانته الخاصة بين طوائف عمال الجبانة .

وكان هؤلاء العمال ينقسمون الى فريقين يشرف عليهما ثلاثة من الرؤساء ، هما زعيما الفريقين ، وكاتب الجبانة ، ويرأس هؤلاء جميعا عمدة غرب طيبة الذى كان مسئولا أمام وزير الوجه القبلى ، وكان أفراد هؤلاء الفريقين يسكنون مع عائلاتهم فى منازل فى الجبانة ، وغالبا ما كانوا يقيمون داخل مناطق مسورة يحرسها البوابون ورجال الشرطة .

وربما يؤيد ذلك النص الأخير من البردية رقم ١٠٠٦٨ بالمتحف البريطانى وهو عبارة عن سجل لبلدة طيبة الغربية ، وتشمل القائمة ١٨٢ بيتا ، ولا نجد بين ملاك هذه البيوت موظفا أو عاملا فى الجبانة ، وهذا يتفق مع البراهين التى تميل الى ان عمال الجبانة كانوا يسكنون مكانا مسورا نظم لهم بوجه خاص ولم يكونوا مبعثرين بين سكان طيبة الغربية .

وكان العمال منظمون تنظيما دقيقا ، تحت سلطة رؤسائهم وكان يلقب كل منهم بلقب «كبير الفرقة» . وقد وصل الينا لوح خشن الصنع من الحجر الجيرى ، محفوظ الآن بالمتحف البريطانى ، كتب مقدم العمال اسماء عماله الثلاثة والاربعين ، وأمام كل اسم عدد أيام الشهر التى غابها عن العمل ، بينما كتبت اعذار التخلف بالمداد الاحمر أمام كل تأخير .

وكانت طائفة العمال على ما يظهر تتألف من مائة وعشرين عامل فى العادة ، يقسمون الى قسمين ، قسم اليمين وقسم الشمال ، وكل قسم تحت سلطة رئيس عمال ، وكان لكل قسم كاتب وظيفته هى حفظ سجل للحسابات ، ولكل قسم وكيل ربما يحل محل الرئيس اذا غاب وكذلك كان للعمال مفتشون . وكان بعض العمال يوصفون بالألقاب التى تدل على واجباتهم الخاصة ، فمثلا نجد من بينهم نحاتون أو حفارون أو صناع أو قطاع أحجار أو صانعوا فخار ....

أما أعمال الشرطة فى الجبانة ، فكان يقوم بها جنود المازوى [٢] ، وكانوا فى قديم الزمان من النوبيين . غير أنهم فى نهاية الأمر أصبحوا من المصريين وكان على رأسهم ضابطان .

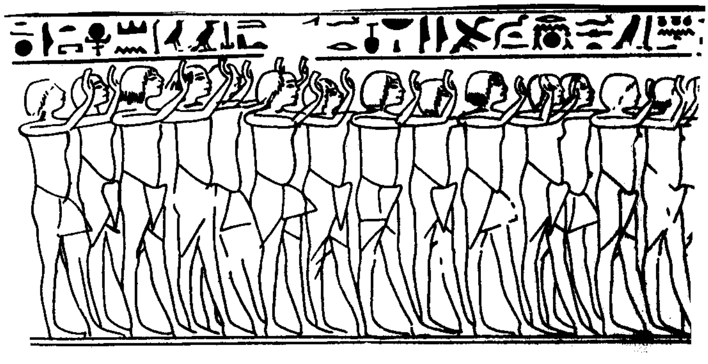

المبحث الثانى

مرتبات عمال الجبانة

كان العمال الذين يشتغلون لحساب الدولة بصفة عامة يتلقون مرتباتهم عينا ويدل ما لدينا من معلومات انهم كانوا لا يتسلمون أجورا ، بل كانت الحكومة تمدهم بالجرايات ، وقد لاحظنا ذلك فى حالة العمال الذين كان يستخدمهم الملك «رمسيس الثانى» فى قطع الأحجار من محاجر الجبل الاحمر ، فكان يمدهم بما يلزمهم من طعام وملبس حتى العطور .

ويبدو أن عمال الجبانة كانوا يتسلمون مقرراتهم أربع مرات فى الشهر ، من موظفين مختلفين وهى كميات كبيرة من السمك الذى كان فيما يبدو طعامهم الرئيسى ، وفى كل شهر كانوا يتسلمون ايضا قدرا من البقول ، وعددا من القدور قد تحتوى على دهن أو جعة وخشب الوقود الضرورى وأخيرا الحبوب .

ويبدو أن توزيع هذه المقررات كان يتفاوت بحسب مكانة الأفراد الذين توزع عليهم . ونقرأ فى «بردية» تورين شذرات متفرقة عن كميات هذه المقررات ونسبة توزيعها ، فقد جاء فى احدى فقرات بردية «تورين» حساب صغير يبدو أنه كتب فى تاريخ يمكن تحديده بين بداية الشهر الثالث ومنتصف الشهر السادس من السنة ٢٩ من حكم الملك «مسيس الثالث» (١) .

كميات الخضروات الخاصة بالقبر التى تحت سلطة البستانى

رئيس العمال	حزم خضار	١٧٠
الكاتـــــب	حزم خضار	٨٥
العمـــــال	حزم خضار	١٥
ثمانية رجال	حزم خضار	٣٥٠
المجمـــوع	حزم خضار	٦٢٠

ونقرأ فى نفس البردية حساب آخر لمقررات من الحبوب صرفت فى السنة ٢٩ الشهر السادس اليوم السابع عشر .

رئيس العمال	٧ ٢/٤	غرارة
الكاتب	٣ ٣/٤	غرارة

ثمانية رجال كل واحد منهم ٥ ٢/٤ غرارة مجموعها ٤٤ غرارة .

وعلى أى حال لا نستطيع وضع قاعدة عامة لكمية هذه الجرايات ولابد أن كمياتها ونسب توزيعها كانت تختلف حسب الظروف .

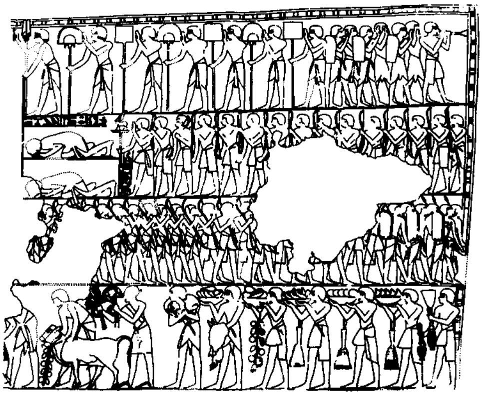

المبحث الثالث

الحالة الاقتصادية والسياسية فى البلاد اثناء اضرابات العمال

شهدت الاعوام الاخيرة من حكم الملك رمسيس الثالث تدهورا سريعا فى حالة البلاد الاقتصادية ويرجع ذلك الى الحروب العنيفة التى خاضتها مصر فى عهده والتى استنفذت كثيرا من امكانياتها رغم مغانم الحرب وجزية البلاد الآسيوية ، الا أنها لم تستطع أن تنقذ البلاد من الانهيار الاقتصادى ، ذلك ان المعابد كما يتضح لنا من بردية «هاريس» امتصت ثروات البلاد . فقد كان للاله «آمون رع» وحده ١٠ ٪ من الاراضى المزروعة و ٨٦٫٥٠٠ من الأرقاء يعملون فى اراضيه ، كما كان له مالا يقل عن ٤٢١٫٠٠٠ رأسا من الماشية بالاضافة الى الحدائق ومناجم الذهب فى النوبة وتسع مدن فى سوريا هذا خلاف ما أغدق على الآلهة الآخرين [١] .

وهكذا ارتفعت أسعار الحبوب ارتفاعا فاحشا على النحو الذى بيناه ، عند الحديث على سرقات المقابر ، وبصفة عامة كانت حالة البلاد الاقتصادية سيئة بحيث لم يعد بوسع الحكومة أن تفى بالتزاماتها نحو العمال .

أما حالة البلاد السياسية عندما حدثت هذه الاضطرابات للمرة الاولى فى السنة ٢٩ من حكم «رمسيس الثالث» ، فقد كان الفرعون كهلا ، ومن المحتمل انه ترك متاعب الحياة العامة وأسلم اعماله كفرعون حاكم الى أيدى احد الذين اكتسبوا ثقته نتيجة لاكثر من عشر سنوات من التفانى فى الخدمة كوزير للوجة القبلى ، وهو الوزير «تا» ويذكر لنا استراكون برلين المؤرخ فى السنة ٢٩ الشهر الثانى اليوم ٢١ من حكم رمسيس الثالث بأنه رقى الى وزير الشمال والجنوب فى مصر ، وهذه الترقية جعلته من الناحية الوظيفية أقوى رجل فى مصر باستثناء الفرعون .

والوزير «تا» نفسه ينتمى الى أصل من هيئة الجبانة فهو ابن كاتب من الجبانة يسمى أمنمحات ، بل ان ألقابه الاولى كانت تشمل «كاتب القبر» الكاتب الملكى فى مكان الصدق فى غربى طيبة .

وهكذا فإن الشخصية الأولى فى الدولة من الناحية العملية على الاقل ، وهو الوزير «تا» كانت ترتبط بعمال طيبة برباط الاصل . ولذلك يميل «ادجرتون» الى القول أن عمال طيبة فى مطالباتهم العنيفة لمقرراتهم كانوا يعتمدون على قريبهم المشهور الوزير «تا» ويستفيدون منه [٢]

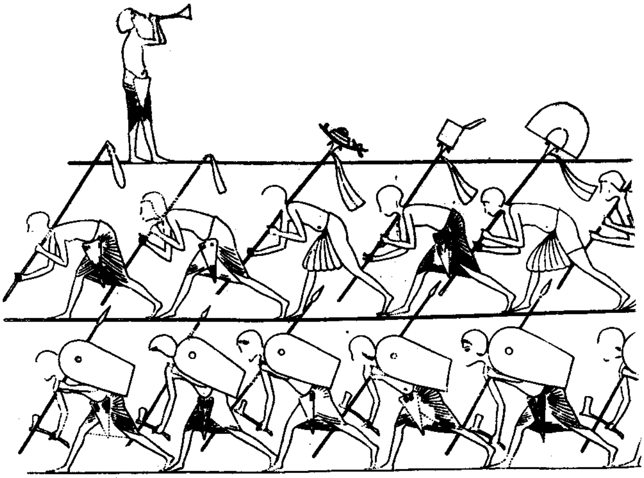

المبحث الرابع

توقف الحكومة عن دفع مقررات العمال

بدأت المتاعب عندما زاد عدد العمال المكلفين بخدمة عمال الجبانة ، وتذكر لنا ورقة تورين البردية فى السنة ٢٩ الشهر الخامس وجود ٢٤ حامل ماء و ٢٠ صيادا للسمك ، ١٤٠ قاطعى أخشاب ، ١٢ جناينى ، ٢ موردى حلوى (بلح غالبا) ، ٨ بنائين ، ٨ غسالين ، وذلك ليسدوا خدمات العمال وهذه القائمة تختلف عن الـ ٢٣ الذين استخدموا نفس الغرض منذ شهرين مضيا ، وعن الـ ١٥ فى تاريخ مبكر عن ذلك .

ولعل الحكومة ادركت أنها بزيادة الطائفة التى كانت تخدم العمال ، فان جهود هؤلاء الجدد تستطيع ان تعوض البطء فى وصول مخصصات العمال اليهم .

وقد لوحظ بوضوح خلال السنة ٢٩ من حكم رمسيس الثالث تأخر صرف مقررات العمال أكثر من مرة ، فمقرر الحبوب كان واجب الصرف فى اليوم ٢٨ من كل شهر . ولكنه فى شهر برمهات صرف متأخرا يوما ، وفى شهر برمودة صرف متأخرا بعد أن قام العمال بثورة ، وفى ٢٨ بشنس صرف فى وقته المحدد ، ولكن فى ٢٨ بؤونه لم تصل حبوب وكل ماوصل لم يتعد مائة وخمسين قطعة من الخشب .

والواقع أن الحكومة لم يكن لديها من الحبوب ماتستطيع أن تقدمه لهؤلاء العمال بصفة منتظمة لان دخل آمون وحده وقتئذ كان لايقل عن مائتين وخمسة الآف مكيال من القمح فى أعياده السنوية فقط .

المبحث الخامس

الاضراب الأول

يرجع تاريخ هذه الاضرابات الى السنة ٢٩ من حكم رمسيس الثالث (حوالى ١١٧٠ ق.م) . وأخبار هذه الاضرابات وصلت الينا مفصلة على بردية «تورين» وسنتتبع هنا تلك الاضرابات كما وردت فى نصوص هذه البردية بعد ترتيبها تاريخيا . انقضى شهر طوبة من العام ٢٩ من حكم رمسيس الثالث دون أن يتسلم العمال مقراراتهم . ويبدو أنهم كانوا قد تعودوا تلك المعاملة لأنهم لبثوا ينتظرون تسعة أيام كاملة قبل أن يتعجلوا الأمور ، وفى اليوم العاشر من شهر امشير كان قد نفذ صبرهم فقاموا بتدبير احتجاج هو أول اضراب وصلتنا أنباؤه فى التاريخ .

«السنة ٢٩ شهر امشير اليوم العاشر ، فى هذا اليوم مرت جموع العمال من الجدران الخمسة الخاصة بمدينة الموتى صائحين : نحن جائعون ثمانية عشر يوما مرت من الشهر .... ثم جلسوا خلف معبد تحتمس الثالث الجنائزى ، وحضر كاتب القبر السرى ورؤساء العمال الاثنين واثنان من ممثلى العمال واثنان من الضباط ونادوهم قائلين عودوا واقسموا ايمانا مغلظة (قائلين) يمكنكم ان تعودوا فمعنا أمر الفرعون . أمضى العمال النهار فى نفس المكان ، وعندما حل الليل عادوا الى مدينة الاموات» .

ومن هذا النص يتبين لنا ان العمال قد أحسوا بضرورة اتخاذ موقف إيجابى قوى حيال الاهمال المتكرر فى صرف مقرراتهم ، ورغم الجهود التى بذلت لاعادتهم الى مدينة الموتى ، ورغم الايمان المغلظة والوعد باسم الفرعون ، فقد صمم العمال على موقفهم وبقوا فى مكانهم طيلة النهار ، ولم يعودوا لمساكنهم الا عندما حل الليل .

«السنة ٢٩ شهر امشير اليوم الحادى عشر . مر العمال مرة اخرى ووصلوا الى الباب الذى يقع فى الجهة الجنوبية من الرمسيوم» .

«السنة ٢٩ شهر امشير اليوم الثانى عشر ، وصل العمال الى الرمسيوم وامضوا الليل فى سوء نظام عند بوابته ووصلوا الى داخله فحضر اليهم الكاتب «بنتاور» واثنان من ضباط الشرطة واثنان من حراس الابواب ، وحارس باب حصن طيبة الغربية ورئيس الشرطة منتومس وقال لهم سأحضر عمدة طيبة ....» (الكلمات المفقودة من النص ربما تذكر تقرير منتومس عن مقابلته مع العمدة ومن التخمين المعقول انه فشل فى إحضار العمدة معه) .

حضر كهنة الرمسيوم ليسمعوا حالة العمال ، قال لهم العمال : «انه بسبب جوعنا وبسبب عطشنا حضرنا هنا . ليس هناك ملابس أو مواد دهنية أو سمك أو خضروات . فلترسلوا الى مولانا الطيب فرعون ، واكتبوا الى الوزير الذى يتولى أمرنا حتى يعطينا مانعيش به . ومقرراتهم من الطعام عن الشهر الخامس (طوبة) صرفت لهم فى هذا اليوم» .

من هذه النصوص يتضح لنا أن ماحدث من العمال فى اليوم العاشر والحادى عشر لم يكن اكثر من صيحة احتجاج سلمية او مايمكن ان نسميه بالعصيان المدنى ، وقد اكتشف العمال ان هذا اللون من الاحتجاج غير مجدى او غير كاف لتحقيق مطالبهم فلم يصرف لهم شيء ، لذلك نراهم يقومون فى اليوم التالى بالهجوم على معبد الرمسيوم واقتحامه وكان هذا عملا ايجابيا له خطورته اذ لم يلبث أن هرع اليهم عدد كبير من المسئولين وكانت نتيجة هذا العمل الايجابى أن صرفت لهم مقرراتهم عن الشهر السابق . ولكن هذا النجاح الذى حققوه اطمعهم فى المزيد اذ كان لابد أن تدفع لهم مخصصاتهم عن الشهر الحالى أيضا .

«السنة ٢٩ شهر امشير اليوم الثالث عشر عند حصن طيبة الغربية قال رئيس الشرطة «منتومس» : أنظروا انى أعطيكم جوابى . اذهبوا (لمنازلكم) اجمعوا امتعتكم واغلقوا أبوابكم وخذوا زوجاتكم وأطفالكم وسأتقدمكم الى معبد الملك تحتمس الثالث وسأجعلكم تجلسون هناك غدا» .

ولعل قيام رئيس الشرطة بإصطحاب المتظاهرين وتوجيه المظاهرة هو خير ضمان الا يقوم العمال الثائرين بأعمال تهدد النظام ونرى فى العصر الحديث أن رجال الشرطة يقومون بمصاحبة المظاهرات المسموح بها حتى لا تنحرف الى ما يهدد الأمن .

المبحث السادس

تتابع الاضرابات

عرف العمال الوسيلة الناجحة لاجبار الحكومة على صرف مستحقاتهم . فلم يكد يحل شهر برمهات حتى اضربوا مرة أخرى .

ففى «السنة ٢٩ الشهر السابع عبرت جموع العمال الجدران واقاموا فى طيبة ، وعندما ذهب لاحضارهم ثلاثة من الرؤساء قال العامل «موسى بن نخت» : أقسم بآمون ، وأقسم بالحاكم الشخص الذى قوته أعظم من الموت اذا اخذونى من هنا هذا اليوم فسوف يسقط بعد ما يُلعن (غالبا يقصد الفرعون) . وقد ضُرب بسبب قسمه باسم الفرعون هناك» .

«إجتازت جموع العمال الأسوار رغم ان الثلاثة رؤساء أطلقوا صيحة عظيمة فى وجههم عند البوابة – فحضر اليهم اثنان من ضباط الشرطة واثنان من ممثلى العمال وذلك بواسطة «آمون نخت» الكاتب السرى للقبر – وقد عاد الضابط رشبتى ليقول لنا : هكذا قال «كننابن روتا» و «حاى بن حاى» وهم واقفون بين زملائهم فى الحقيقة لم نتخط الاسوار بسبب جوعنا ولكن لدينا اتهام خطير فان جرائم ترتكب فى هذا المكان التابع للملك» .

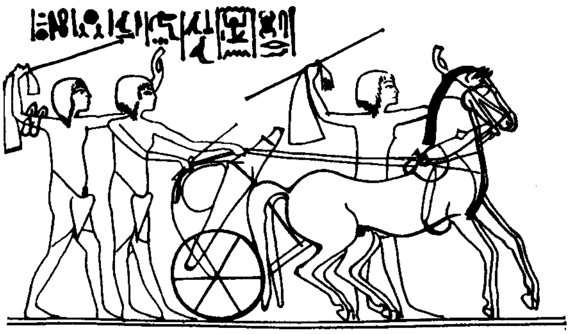

ولسنا ندرى كيف سوى الامر هذه المرة ولكننا نستطيع أن نلاحظ بوضوح ان العمال قد تجرأوا اكثر مما يجب فبينما يقولون عن فرعون فى اضرابهم الاول : فلترسلوا الى مولانا الطيب فرعون ..... نراهم يعرضون لشخص الفرعون ويتمردون على رؤسائهم فى تحد ظاهر معلنين أن جرائم خطيرة ترتكب فى مدينة الاموات ، وهكذا أوشك الامر ان يتحول من مجرد اضراب للمطالبة بصرف مقرراتهم الى ثورة شاملة على الاوضاع الفاسدة السائدة فى ذلك الوقت تفسرها لنا قولهم «اننا لم نتخط الاسوار بسبب جوعنا» .

وكان هذا أمراً خطيراً أقلق بال الحكومة القائمة لاننا نعرف أن الوزير بعد ذلك بشهر واحد فى الثامن والعشرين من شهر برمودة عندما مر بمدينة الاموات فى رحلة مصلحية تدخل فى الامر .

«السنة ٢٩ اليوم الثامن والعشرين من شهر برمودة أثناء سياحة الوزير «تا» الى الجنوب لاعمال مصلحية ، أرسل رئيس الشرطة «نب سمن بن يناحس» ليقول لثلاثة من رؤساء العمال كانوا واقفين أمام حصن طيبة الغربية : هكذا قال الوزير «تا» انه بسبب ما ليس هناك ما اعطيه لكم وتقولون لا «أخذ منا مقرراتنا» ، ألم اعطكم اكثر مما اعطاكم الوزراء الآخرون ؟ واذا كان قد حدث فى الأمر شيء فانه ليس هناك شيئا ما فى مخازن الغلال ، لقد اعطيتكم كل ما وجدته ، وأن الكاتب « حورى» سوف يعطى لكم نصف مقرراتكم ، وسأتولى أنا توزيعها عليكم بنفسى» .

ونفهم من هذا النص ان العمال كانوا يوجهون الى الوزير تهمة الاختلاس والنهب والاستيلاء على مخصصاتهم «وعندما تقولون لا تأخذ منا مقرراتنا» وهكذا تمادى العمال فى مهاجمة الوزير ، وهم الذين قالوا عنه فى اضرابهم الاول «اكتبوا الى الوزير الذى يتولى امرنا حتى يعطينا ما نعيش به» ونفهم ايضا أن الوزير تحاشى ان يواجه العمال بنفسه فكتب خطابا جعل احد ضباط شرطته يقرؤه على ثلاثة من رؤسائهم ، بل ان وعد الوزير بصرف نصف مقررات العمال هذا الوعد لم يتحقق ، فلم يصرف لهم اكثر من كيسين من الحبوب مقرر الشهر كله .... الامر الذى دفعهم الى متابعة الاضرابات .

«السنة ٢٩ اليوم الثانى من شهر بشنس ، تسلم العمال كيسين من الحبوب مقرر الشهر التاسع وعندئذ قال رئيس العمال لهم : انظروا سوف اخبركم ، خذوا مقرراتكم واذهبوا الى الميناء دعوا موظفوا الوزير «تا» يخبروه بذلك وعندما انتهى «آمون نخت» من اعطائهم

مقرراتهم اخذوا انفسهم الى الميناء تبعا لما قاله لهم . ولكن عندما مروا بأول سور ، ذهب اليهم الكاتب «آمون نخت» وقال لهم : «لا تذهبوا الى الميناء لقد أاعطيتكم كيسان من الحبوب فى هذه الساعة ، ولكن اذا ذهبتم سأقدم للمحكمة كل من يذهب الى هناك وقد اعدتهم مرة اخرى الى حيث جاءوا» .

«السنة ٢٩ اليوم ١٣ من شهر بشنس اخترق فريق من العمال الاسوار صائحين «نحن جياع» وجلسوا خلف معبد مرنبتاح الجنائزى . ونادوا عمدة المدينة عندما كان يمر فارسل لهم «مانفر» رئيس ملاحظى الماشية ليقول لهم : «أعطيكم هذه الخمسين كيسا من الحبوب لمئونتكم حتى يعطى لكم الفرعون مقرراتكم» .

وهكذا قدم عمدة المدينة النجدة اللازمة للعمال الجائعين . ولكن كبير كهنة آمون الذى تتكدس الغلال فى مخازنه قدم شكوى ضد عمدة طيبة لانه اخذ قرابين معبد رمسيس الثانى ليطعم بها العمال المضربين ووصف عمله بأنه «جريمة كبرى» .

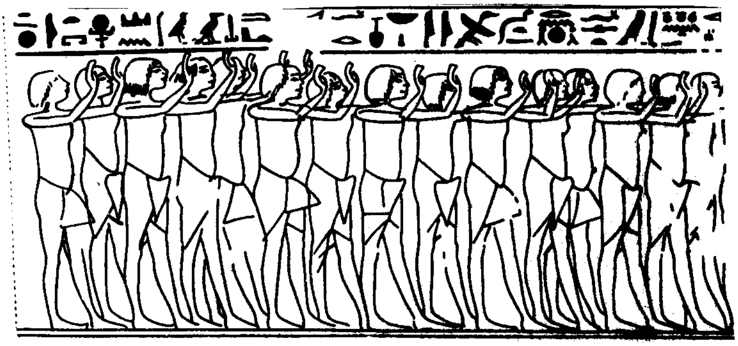

المبحث السابع

استمرار الاضرابات بعد رمسيس الثالث

لم تنقطع اضرابات عمال الجبانة بعد ذلك ، بل ظلت مستمرة اذ تحتوى يوميات السنة الثالثة عشر من حكم رمسيس التاسع عدة اشارات تدل على ضعف الهيئة الحاكمة ، وعدم قدرتها على اعطاء عمال الجبانة جراياتهم . وقد بلغت اضطرابات العمال واضراباتهم فى عهده حدا خطيرا ، فقد جاء فى بردية «شاباس – ليبلين» ويرجع تاريخها الى السنة الثالثة من عهد رمسيس العاشر (خبر ماعت رع) ماهو خاص باضرابات العمال فى عهد سلفه رمسيس التاسع (نفر كارع) ، ان الوزير على ما يظهر طلب الى اولى الشأن فى الجبانة ارسال رجال لنقل ملابس الملك نفر كارع ... ولكن هذا الطلب قد رفض لان العمال كانوا فى هذا الوقت فى حالة ثورة ، وقد اجاب عامل رسول الوزير قائلا «دع الوزير نفسه يحمل ملابس الملك نفر كارع وكذلك خشب الارز» .

وفى العام الثالث من حكم الملك رمسيس العاشر توقفت فرق العمال عن العمل ، وعبروا النهر الى المدينة ليقدموا شكواهم الى كبار الموظفين ، وقال كبير كهنة آمون انه ليس من اختصاصه أن يصرف مؤنا لهم ، ولكن العمال قضوا الليل فى مكتب رئيس الكهنة ليقدموا شكواهم فى الصباح ، ودعى كبار الموظفين سكرتير الوزير ونائب وزير الشونة الملكية وأمروهما : «اذهبا الى غلال الوزير وأعطيا رجال الجبانة مؤنتهم منها»وقد قام العمال باهداء صندوقين وادوات كتابة الى اثنين من كبار الموظفين .

وهكذا كان عمال الجبانة مصدرا من مصادر الاضطرابات فى تلك الفترة ، وقد كان من الضرورى اخذهم باللين والتفاهم معهم ليس فقط لاهمية العمل الذى يقومون به ، وخطورة امتناعهم عنه ، بل أيضا لان كبار الموظفين انفسم كانوا مقتنعين بحقهم الطبيعى فى صرف مخصصاتهم التى يئس العمال من الحصول عليها بالطرق السلمية .

الفصل الثالث

مؤامرة الحريم فى عهد رمسيس الثالث

ويتضمن المباحث التالية :

المبحث الأول : خطة المؤامرة والمتآمرين .
المبحث الثانى : خطورة المؤامرة .
المبحث الثالث : فشل المؤامرة .
المبحث الرابع : اجراءات المحاكمة .
المبحث الخامس : خيانة بعض ضباط الشرطة والقضاه .
المبحث السادس : مدى نجاح المؤامرة .
المبحث السابع : مغزى المؤامرة .

المبحث الأول

خطة المؤامرة والمتآمرين

تآمرت احدى زوجات رمسيس الثالث المدعوة «تى» للقضاء على حياة ذلك الملك المسن وتولية ابنها «بنتاور» على العرش . واشترك معها فى المؤامرة رئيس الحجرة المسمى «بيبككامن» وساقى الملك المسمى «مسدسو رع» وقد حصل الأول من المشرف على ماشية الفرعون المسمى «نبحوابن» على عدد من التماثيل السحرية ، كما قدم شخصان آخران تماثيل أخرى مثل السابقة ، هربت الى داخل الحدود الملكية . وعن طريق هذه القوى السحرية اعتقد المتآمرون أنه سيكون فى يدهم قوة يستطيعون بها أن يشلوا قوة الحرس الملكى .

واتسع نطاق المؤامرة اذ استطاع المتآمرون أن يحصلوا على معاونة عشرة من موظفى الحريم منهم أربعة سقاة ملكيين ومشرف على الخزانة يدعى «إيب رع» وضابط يدعى «بنموسى» وقائد جيش يدعى «بيبس» وثلاثة كتبة ملكيين ومساعد «بيبككامن» وغير هؤلاء من صغار الموظفين . كما انضم الى المؤامرة ست زوجات لضباط حرس باب الحريم فى القصر ، وهذا سهّل كثيرا مبادلة المراسلات بين الحريم المتآمر وبقية أفراد المؤامرة داخل القصر وخارجه .

المبحث الثانى

خطورة المؤامرة

تتضح لنا خطورة المؤامرة من أن معظم المتآمرين كانوا فى خدمة الفرعون الشخصية بالاضافة الى ان المؤامرة لم تقتصر على داخل القصر ، انما امتدت الى الخارج وكانت الرسائل الى المتآمرين خارج القصر على هذا النحو «اثيروا القوم ، حركوا الاعداء لكى يبدأوا الاعمال العدوانية ضد مولاهم» .

وكان على الفرق المعسكرة فى بلاد النوبة ان تشق عصا الطاعة على الفرعون وتقوم بالهجوم على مصر . وكان رئيس هذه الفرق «بانحسى» قد انضم الى المؤامرة بتحريض من اخته التى اشتركت فيها ضمن حريم القصر .

ويربط بعض المؤرخين بين هذه المؤامرة ، وبين عصيان أحد وزراء رمسيس الثالث بمدينة «أتريب» [1] ويرى فى ثورة هذا الوزير جزءا من خطة المؤامرة .

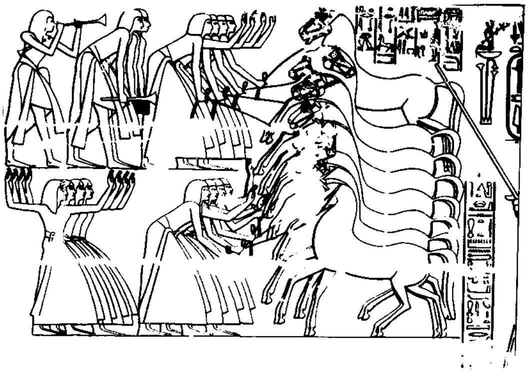

المبحث الثالث

فشل المؤامرة

قبل ان تنفذ المؤامرة كاملة ، كُشف أمر المتآمرين بطريقة ما ، وحصل على براهين قاطعة عن الجريمة التى أرادوا تنفيذها ، وكانت المؤامرة من الخطورة بحيث لا يحسن تطبيق اجراءات القانون الرسمى العادى ضد المتآمرين ، حتى لا تعلن أمور من الخير ان تبقى بعيدة عن أذهان الشعب ، والتقرير القصير بشأن اجراءات المحاكمة كان قد أعد لكى يحفظ فى قسم المحفوظات الملكية وتدل الصيغة التى استعمل فيها كل الحذر على أنها ترجع الى أصل رسمى لأن مؤلفها تجنب بحكمته الدخول فى التفصيلات . وقد ذكرت اسماء صورية للمتآمرين فاسم «مسنت سورع» معناه إله الشمس يكرهه واسم «بن م واست» معناه الشرير فى طيبة – ومن المحقق انهما كانا يسميان «مرسورع» ومعناها اله الشمس يحبه و «نفر ام واست» ومعناها الطيب فى طيبة – ولكن ولاء كاتب المحكمة للملك جعله يبدل هذه الاسماء .

أما الأمير المذنب فكانوا يشيرون اليه بقولهم «بنتاور» الذى كان يتسمى بذلك الاسم الآخر ، متفادين الاشارة الى اسم العرش الذى حاول المتآمرون أن يطلقوه عليه .

المبحث الرابع

اجراءات المحاكمة

ألفت المحكمة من أربعة عشر موظفا ، اثنان يحملان لقب المشرف على الخزانة واثنان من حاملى الاعلام للجيش ، وسبعة من سقاة فرعون وحاجب ملكى وكاتبان ، وكان بين هؤلاء أربعة من الأجانب .

أما إجراءات المحاكمة ، فهى ان يبين المتهمون حالتهم البدنية ، وتعلن االتهم المنسوبة اليهم ونلاحظ ان بعض التهم التى وجهت لبعض المتهمين كانت جرائم سلبية أى انهم علموا بالمؤامرة ولم يبلغوا عنها .

وأخيراً تقرر المحكمة مدى صحة الاتهامات وتنطق بالحكم .وانتهت المحاكمات الثلاثة التى اجريت بادانة اثنين وثلاثين موظفا من مختلف المراتب وجدوا مذنبين ، وكان المحكوم باعدامه يترك وحيدا فى غرفة المحاكمة لينهى ايامه بيده .

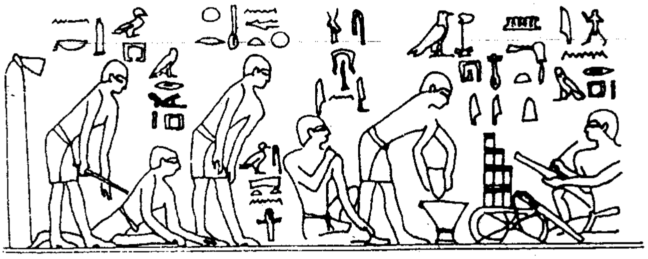

المبحث الخامس

خيانة بعض ضباط الشرطة والقضاه

حدث أثناء التحقيق أن القائد «بيبس» اتحد هو وبعض النسوة المتهمات ، واتفقوا مع ضابطين من ضباط الشرطة على اصطحابهم الى اثنين من القضاة وقاموا بعمل مؤامرة معهم ، فكان هذا خيانة للثقة لم يسمع بمثلها من قبل «ففقدوا آيات العطف الجميل التى كان يسبغها عليهم الملك» ولكن جريمتهم أطبقت عليهم وصدرت عليهم العقوبة بصلم آذانهم وجدع أنوفهم «وقد انتحر احدهم من اليأس بعد توقيع العقاب» .

وهكذا كانت المحاكمة الرابعة ، خاصة بأولئك الذين أساءوا استعمال سلطتهم من رجال القضاء والشرطة .

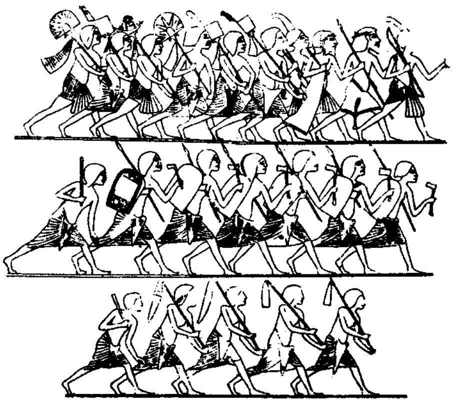

المبحث السادس

مدى نجاح المؤامرة

هل نجحت المؤامرة أم فشلت .... ؟ والى أى حد اصابها النجاح او الفشل ؟ يحسن بنا قبل ان نناقش هذه المسألة ان نعرض لبعض آراء المؤرخين فى هذا الموضوع .

يرى برستد انه بالرغم من أن رمسيس الثالث قد أمر بالمحاكمة ، فانه كان قد جرح جرحا خطيرا ومات قبل ان يقدم المجرمون للمحاكمة .

اما «دى بك» فقد لاحظ انه بالرغم من أن الملك أعطى الأمر فى صيغة الحاضر ، فان النص جميعه ليس الا قصة لأحداث ماضية نسبت زيفا الى الملك المتوفى ، ومعنى هذا فى رأى «دى بك» أن المؤامرة نجحت فى قتل الملك .

ويقول المؤرخ «ستروف» فى مقال ناقش هذا الموضوع «الواقع أن الملك رمسيس الرابع أمر بتأليف المحكمة وكان له فى ذلك فكرة ماهرة ليجعل كل الموضوع يصدر عن والده المتوفى . وعلى ذلك تكون سلطة الملك المتوفى هى التى أوحت بذلك مساعدة لابنه العائش ، وبهذه الطريقة أفلت رمسيس الرابع من المقت والكراهيةالتى قد تنجم عن بداية حكمه بمثل هذه القصة الدامية ، ونجد «ادوارماير» يوافق «ستروف» على رأيه ويقتبس من مقاله باستحسان لاحد له .

ويميل بعض الأثريين مثل أحمد بدوى الى ترجيح أن المؤامرة اصابت الملك بجرح خطير وأنه أحس بدنو أجله فترك وصيته مقدرا أن الفصل فى أمر المتآمرين لن يكون الا بعد وفاته اما نجيب ميخائيل فيرى ان المؤامرة لم تنجح وان الملك عاش حتى تمكن من محاكمة الخونة . ويرى جاردنر نفس الرأى اذ يقول :

«ليس هناك دليل قوى لافتراض ان المؤامرة نجحت نجاحا تاما ، أو حتى جزئيا ، فان مومياء رمسيس الثالث قد وجدت فى خبيئة الدير البحرى وفحصت بواسطة «ماسبيرو»

فوجدت لرجل فى الـ ٦٥ من عمره ليس به آثار جراح . وليس هناك من سبب لتأريخ المؤامرة فى نهاية حكم رمسيس الثالث ، فربما حدثت قبل ذلك ، فليس هناك ذكر لها فى ورقة هاريس الكبرى» .

أما سليم حسن فيرى فى محتويات ورقة تورين ما يوحى بأن الملك رمسيس الثالث مات نتيجة مؤامرة أو أنه كان ينتظر أن يموت فى القريب العاجل عندما وقعت الواقعة ، ويرى أنه من الأمور المعقولة أن يأمر رمسيس الثالث بنفسه بتأليف خطاب المقدمة الطويل لآلهة العالم السفلى فى الفترة القصيرة التى بقيت له من عمره ، وهى فترة استغلها بكل نشاط لينظم أموره الدنيوية والاخروية .

وبعد هذا العرض السريع لبعض آراء المؤرخين نتساءل هل نجحت المؤامرة أم لم تنجح ... ؟ .

ان خطة المؤامرة تنقسم الى شقين :-

اولا – قتل الملك . ثانيا – تولية المتآمر على العرش .

فأما تولية المتآمر على العرش ، فليس هناك خلاف على أن المؤامرة لم تنجح فى ذلك تماما ، وأوضح دليل على ذلك هو محاكمة المتآمرين ، ولو نجحت المؤامرة لما حوكموا ولا عوقبوا . بل أن «بنتاور» الذى وضع المتآمرون خطتهم ليضعوه على العرش ذكر عرضا ، كواحد من أولئك الذين تركوا ليقتلوا انفسهم ...

ويبقى مناقشة : هل نجحت المؤامرة فى قتل الملك .. ؟

نفتتح بردية تورين بأقوال الملك ، فهو الذى عين اعضاء اللجنة باسمائهم ، وألقى عليهم تعليماته وأعطاهم سلطة مطلقة . هذا بالاضافة الى ما جاء فى ورقة «رولن» من أن رع لم يسمح بنجاح المؤامرة . وهذه النصوص تشير بوضوح ان المؤامرة لم تنجح .

ومن ناحية أخرى نرى الملك رمسيس الثالث يقول فى الصفحة الثالثة من بردية تورين القضائية : «كل ما فعلوه يقع على رؤوسهم فى حين أننى مقدس ومعافى أبديا ، وفى حين أكون بين الملوك العادلين الذين امام آمون رع ملك الالهة وامام أزوريس حاكم الابدية» .

وتتأكد نظرية قتل الملك بوصفه «الاله الصالح» الذى نعت به فى مكان آخر ، والذى كان يستعمل فى ذلك الوقت للدلالة على الملوك المتوفين .

فالنصوص المصرية القديمة التى هى مصدرنا عن المؤامرة لم تقطع بشيء ، بل انه من السهل أن نرى فيها نجاح المؤامرة ، ومن السهل فى نفس الوقت أن نستنتج منها فشل المؤامرة .

ولعل هذا ما دعى مجموعة من المؤرخين أن تمسك العصا من المنتصف فترى أن الملك أصيب اصابة قاتلة ، وانه اوصى بالمحاكمة قبيل وفاته .

وأرى ، أنه مادامت النصوص ترجح كلا الرأيين ، قتل الملك فى المؤامرة ونجاته منها فانه ينبغى علينا قبل ان نرجح رأيا على آخر ، أن نضع فى حسابنا شيئا هاما هو مركز الملك فى مصر القديمة .

فالملك كإله له مكانته الخاصة ، فهو لا يهزم فى حرب حتى لو هزم فعلاً ، وهو لا يقتل فى مؤامرة حتى لو قتل فعلا . أو بمعنى آخر ان المواقف التى نرى فيها مساس بقوة الملك وشخصيته ، نرى النصوص المصرية تلف وتدور حول الحقيقة دون ان تواجهها .

وبهذا المفهوم فان نجاح مؤامرة لقتل الملك شيئا لا تهضمه النصوص المصرية بسهولة ، بل ان هذا لو تم فاننا لا ننتظر من النصوص المصرية أن تشير اليه فى صراحة واضحة ، بل عليها أن تلف وتدور وتقودنا الى الحيرة التى نراها ، وعلى العكس من ذلك فان المؤامرة لوفشلت لما سكتت النصوص المصرية عن اظهار تلك الحقيقة بصورة واضحة حاسمة تمجد من خلالها شخصية الملك الاله .

وبمعنى اكثر وضوحا اذا كانت النصوص التى ترجح قتل الملك ، والنصوص التى ترجح نجاته تتساوى فيما يمكن ان نستنتجه منها ، فانه من الافضل ان نرجح قتل الملك ، وبقى علينا ان نناقش بعض ما يستند اليه القائلون بفشل المؤامرة فى قتل الملك ، والقائلون أن الملك عاش حتى عين أعضاء المحكمة وأوصاهم بتعليماته ، ثم مات بعد ذلك .

والواقع ان النص الخاص بالمحاكمة صادر بأمر رمسيس الثالث ، وليس فى هذا فى رأينا ما يعارض نجاح المؤامرة لقتل الملك . فالمعروف أن سلطان الفراعنة ونشاطهم بعد موتهم من الأمور المعترف بها فى مصر القديمة ، فقد كان الملك الذى عاش إلها فى هذه الدنيا ، وأصبح الآن إلها فى العالم الآخر كان له من السلطة ما يجعله يبت فى أموره الشخصية ، وكان من المستطاع ان ينقل الوحى أوامره فيتقبلها الجميع على أنها آتية منه مباشرة ، ولم تصدر باسمه .

وليس من شك ان الملك رمسيس الرابع – كما يرى «ستروف» – كان يهمه ان ينسب المحاكمة جميعها الى الملك المتوفى ، دون ان يبدأ حكمه بهذه القصة الدامية .

وهكذا فاننا نرى أن المؤامرة نجحت فى قتل الملك ، وليس هناك ما يدعونا حتى للقول إن الملك عاش حتى عين اعضاء المحكمة بنفسه . فان النظرية المصرية عن سلطة الملك المتوفى لا تفرض علينا قبول هذا الرأى ، وليس معنى هذا أننا نجزم بذلك بصفة قاطعة ولكننا على أى حال نرى هذا الرأى ، أكثر قبولا وترجيحا من الرأى الذى يقول أن الملك أمر بالمحاكمة بعد أن أصيب إصابة قاتلة ، وأنه عين اعضاء المحكمة ، واشار عليهم بهذه التعليمات الحكيمة وهو على فراش الموت .

أما ملاحظة «جاردنر» من أن مومياء رمسيس الثالث التى وجدت فى الدير البحرى ليس بها آثار جراح ظاهرة ، فلا ينفى قتل الملك ولا ينهض دليلا على فشل المؤامرة ، فالمتآمرون كما رأينا من أقرب المقربين للملك ، ولن يعدموا الوسيلة لقتله بغير طريق العنف الظاهر ، على أننا رأينا وسائلهم فى المؤامرة واعتمادهم الرئيسى على السحر ، وليس ببعيد أنهم قد لجأوا الى السم مثلا ، وهو وسيلة القتل التى يلجأ اليها النساء غالبا ، كما تشهد بذلك حوادث التاريخ القريب والبعيد .

المبحث السابع

مغزى المؤامرة

ان قصة هذه المؤامرة تعطى لنا فكرة كاملة عن تدهور النفوذ الشخصى للملك ، سواء كان رمسيس الثالث أو الرابع ، فالملك كلف المحكمة أن تفحص القضية وتوقع العقاب على المجرمين ، وكان حريصا عندما ألقى بهذه المسئولية على عاتق أعضاء المحكمة ان يبرىء نفسه من كل حساب عند وقوفه امام الآلهة .

«فاذا حققتم وتبينتم المتهمين ، فأمروهم أن ينتحروا بأيديهم ، بدون اخطارى ووقعوا العقاب على كل من يستحقه بدون استشارتى أيضا» .

وهكذا فان تهربه من المسئولية واصراره على القاء مسئولية توقيع العقاب العادل على كاهل محكمة من الموظفين المدنيين ، بدلا من ترك الانتقام لابنه وخليفته على العرش ، يدل على تدهور النفوذ الشخصى للملك ، وما كان له من سلطة . فقد انتقلت سلطة القانون انتقالا كاملا من الملك الى القضاة الذين كانوا يعملون باسمه من ناحية المظهر فقط ، ولكنهم كانوا متمتعين بالسلطة الكاملة كحكام ينفذون العدل .

وتدلنا قصة المؤامرة على مدى انحلال المجتمع فى هذا العصر ، فاصطحاب رجال الشرطة للمتهمات واحضارهن الى رجال القضاء فى منازلهم ، وعمل مؤامرة معهم ، وكذلك جرأة المشرف على ماشية فرعون «بنجوا بن» أن يدعى لنفسه السحر الخاص بالملك ويمد به المتآمرين ، لدليل واضح على انحلال المجتمع ، وضياع القيم وانهيار النظام المقدس للدولة ، وضياع مكانة الملك .

الفصل الرابع

من قضايا الاختلاس

ويتضمن المباحث التالية :

لمبحث الأول : قضية خنوم تحوت .

المبحث الأول

قضية خنوم تحوت

وردت هذه القضية فى ورقة بردية محفوظة بمتحف تورين وذلك فى القسم الثالث منها . وتتلخص وقائعها أن معبد «خنوم بألفنتين» [1] كان يمتلك أرضا فى الشمال فى الدلتا ، وكان المحصول الذى يورد له منها ثابتا ومقداره ٧٠٠ غرارة من الغلال سنويا . وكان المفروض ان يختلف هذا المقدار من عام لآخر تبعا لحالة النيل ، ولكن يبدو بالنسبة لبعد المعبد عن الأرض المملوكة له فى الشمال ولم يكن باستطاعته احكام الاشراف على عماله المزارعين هناك ففرض عليهم توريد هذا المقدار الثابت ضمانا لحقه فى كل الأحوال .

تعاقد هذا المعبد مع ضابط السفينة على أن يقوم بنقل المحصول سنويا اليه ولكن هذا الضابط مات فى السنة التاسعة والعشرين من حكم رمسيس الثالث وحل محله أحد كهنة معبد آخر وهو «خنوم تحوت» الذى استمر يؤدى عمله على ما يظهر أربعة أعوام بالذمة والأمانة «ولكن فى السنة الأولى من عهد الملك رمسيس الرابع الاله العظيم حدث تزوير فى الغلال» .

ونستطيع أن نفهم أن السبب الذى دفع هذا الربان الى الاختلاس بعد أمانته السابقة مدة أربعة أعوام ، هو ما رآه من الفوضى والاختلاسات فى المعبد ، لأن نفس هذه الورقة تحدثنا فى جزئيها الأول والثانى عن تهم وجهت للكاهن «بنعقت» التابع لمعبد خنوم وآخرين معه ، باختلاسات وسرقات وهتك عرض ورشوة .

على أن الفوضى كانت منتشرة فى المعبد بشكل شجع هذا الربان على الاستفادة منها هو الآخر ، وقد حددت الوثيقة الاختلاسات التى قام بها هذا الربان الجرىء على النحو التالى : بعد ترتيبها ترتيبا تاريخيا – إذ أنها وردت فى الوثيقة غير مرتبة .

السنة الأولى من حكم الملك رمسيس الرابع ورد مائة غرارة والعجز ٦٠٠ ، وفى السنة الثانية ورد ١٣٠ والعجز ٥٧٠ ، اما فى السنة الثالثة فلم يحضر شيئا ، وفى السنة الرابعة ورد ٢٠ والعجز ٦٨٠ ، وفى السنة الخامسة ورد ٢٠ والعجز ٦٨٠ ، وفى السنة السادسة لم يحضر شيئا . وفى السنة الأولى من حكم رمسيس الخامس لم يورد شيئا ، وفى السنة الثانية ورد ٢٨٦ والعجز ٥١٤ ، وفى السنة الثالثة ورد ١٢٠ والعجز ٥٨٠ ، وسجلت الوثيقة فى النهاية مجموع لغرائر معبد خنوم رب الفنتين الذى تأمر عليه ربان السفينة مع الكتبة والمفتشين والعمال الزراعيين التابعين لمعبد خنوم ليسرقوا ويستولوا على ٥٠٠٤ حقيبة ويبدو أن كاتب الوثيقة اخطأ فى الجمع لان المقدار المستولى عليه هو ٥٧٢٤ حقيبة ، لأنه لم يورد الا ٥٧٦ فقط ، ومعنى هذا أنه ورد أقل من ١٠ ٪ مما تسلمه .

ويلاحظ أن الوثيقة ضمانا للدقة ولعدم اعطاء فرصة للتلاعب حددت من الذى تسلم الغرائر للمعبد . لاننا نجد أن ما ورد فى السنة الرابعة من عهد رمسيس الرابع كان على يد البحار «بنخنتا» فيبدو أن «خنوم نخت» لم يكتفى بهذا القدر من الاختلاسات لأننا نراه يلجأ الى طريقة اخرى لزيادة دخله من هذه السرقات وهو فرض خمسين حقيبة على يد «رومع بن بنعنقت» وكذلك فرض خمسين حقيبة على «باوخد بن باثاومابو» وذلك لمدة عشرة سنوات فيكون المجموع ١٠٠٠ حقيبة» .

وقد وردت فى البردية تهم اخرى ضد ضابط السفينة هذا ، ولكن يحيط بها الغموض بسبب تمزق الورقة ، كما وردت تهمتان خاصتنان بالبحار «بنخنتا» .

اما هذه الورقة كما يرى البعض فهى قائمة وثائق تحتوى على تهم ضد اشخاص مختلفين ، وتدل شواهد الأحوال على أن الوثائق التى وضعت فى هذه الورقة كانت جزءا من محفوظات معبد الاله خنوم ، لأنها كانت فى يد كاهن . ومهما يكن فان هذه البردية وضعت لتؤلف جزءا من اتهام أمام الوزير أو موظف آخر . ومعنى هذا أن الربان الجرىء وقع فى يد القانون هو والمتسترون عليه ، أو المشتركون معه وقد جاء ذكرهم فى الورقة وهم الكتبة والمفتشين والعمال الزراعيين التابعين لمعبد خنوم ، والمقصود بطبيعة الحال زراع أرض المعبد فى الشمال . وليس من شك أن حصول هذا الربان على تلك الاختلاسات الضخمة واستمراره فيها لمدة عشر سنوات ، يدل على الحالة المحزنة التى وصلت اليها ادارة المعابد فى ذلك العهد [٢] ، بل أكثر من ذلك يدل على انهيار النظام وضياع الماعت من الروح المصرية حين ذاك .

خاتمة

إذن كيف كانت الشرطة فى مصر القديمة ، وكيف هى الآن ؟

أى تطور أحرزه هذا الجهاز عبر المرحلة الطويلة التى قطعها الزمان ؟ ان علينا أن نلقى نظرة على الانظمة فى ذلك العهد السحيق ، الغائر فى جوف الزمن لنرى الى أى حد اشتملت هذه الجذور الأولى ، على كل تطور حققناه اليوم .

كانت أجهزة الشرطة وقتئذ تعدد المهام التى تضطلع بها . كانت هناك شرطة خاصة ، وهو جهاز يشبه المباحث العامة حاليا ، ويختص بأمن الدولة فى الداخل ، وكانت أولى وظائفه هى التثبت من ولاء رجال الدولة للفرعون الحاكم ، ولنظام الدولة القائم ، وكان عليه ان يقدم التقارير عن كبار الموظفين .

وتطالعنا النصوص بمن يتحدث عن نفسه قائلا : «لم يقدم عنى تقرير سيء ... لم يحدث أن أثير ضدى ما يريب ...» .

ولم يكن هذا الجهاز يخضع للشرطة المحلية ، بل على العكس كان من واجبه ان يتحرى ولاء حكام الاقاليم انفسهم ، ويقدم التقارير عنهم ، وكان اتصاله المباشر – كما قررنا – بالفرعون أو بالوزير على الأقل ، وهو أمر يشبه نفس التنظيم المتبع فى جهاز المباحث العامة حاليا الذى لا يخضع للشرطة المحلية ، انما يتصل مباشرة بالوزارة .

وكانت هناك شرطة نهرية من واجبها ان تستوقف السفن ، لتعرف حمولتها ووجهتها ضمانا للقضاء على أى قرصنة فى النيل . كما كان عليها ان تقوم بدوريات تفتيشية ذكرتها النصوص صراحة .

ومن الغريب حقا أن الشرطة حاليا لم تعرف هذا الجهاز ، الا منذ سنوات قلائل بعد التطوير الذى شمل جهاز الشرطة فى عهد الثورة .

وكان هناك الحرس الملكى ، ويختار من أفراده بعض المقربين ليكون بمثابة «حرس بدن» يلازم الفرعون . ويدخل فى اختصاصات الحرس الملكى وقتئذ حراسة القصر الملكى . والاشراف على طعام الفرعون ، كما كان عليه مرافقة الفرعون وحراسته عند خروجه لاداء مهامه الوظيفية والدينية .

أما الشرطة المحلية ، فكان لديها منذ الأسرة الخامسة فرق تؤلف حاميات ثابتة داخل المدن وكانت تحت تصرف السلطة المدنية لحفظ النظام ولاستخدامها فى الظروف الاستثنائية ، والغريب حقا ان هذا النظام من الأنظمة التى استحدثتها الثورة فى جهاز الشرطة فوضعت فى كل محافظة (فرق أمن) ، وهى قوة من الجنود تحت تصرف حكمدار الشرطة يلجأ اليها لحفظ النظام عندما لا تكفى القوات الموجودة بالمراكز والاقسام .

وقد كان الاعتناء بتدريب رجال الشرطة على الفروسية وركوب الخيل من الأمور الهامة فى الدولة الحديثة [صورة رقم ٥٨ – ٦٠] .

واذا ما تركنا أجهزة الشرطة وانتقلنا الى وسائل البحث الجنائى ، اتضح لنا أن المصريين استخدموا أحدث الوسائل المعروفة فى عصرنا .

فالطريقة المعروفة باسم M.O. والتى تعتمد على معرفة الجناة من نوع جرائمهم وأسلوبهم فى ارتكابها ، كانت معروفة ومستخدمة فى مصر القديمة ، وقد قدمنا فى هذا البحث مثالا حيا وصل فيه رئيس الشرطة الى المتهمين باستخدامه هذه الوسيلة .

كذلك استخدم المصريون الكلاب البوليسية فى مهامها الثلاث : الحراسة ومطاردة المجرمين والتدليل على الهاربين . كما عرف المصريون اقتفاء الاثر ، واستخدموا السودانيين «المجاى» لاقتفاء الآثار وحراسة المناطق الصحراوية ، ولا زلنا حتى اليوم نستخدم النوبيين (الهجانة) لنفس هذه الاغراض .

وعرف المصريون القدماء استخدام المرشدين ، ونجح رئيس الشرطة «نسآمون» فى أن يقبض على المتهمين متلبسين اثناء ارتكابهم احدى السرقات .

اما فى وسائل التحقيق الجنائى ، فقد عرف المصريون كل وسائله الحديثة فكان حلف اليمين أمرا ضروريا بالنسبة للمتهم والشاهد ، وكانت المواجهة تتم بين المتهمين وبين الشهود ، كما استعان المصريون باهل الخبرة فى الأمور التى تستلزم خبرة معينة .

وليس معنى هذا ان المصريين القدماء استخدموا كل وسائلنا الحديثة فى البحث والتحقيق الجنائى ، فليس من شك أن العلم أضاف الينا الكثير كما أن هذا ليس معناه أنهم استخدموا وسائلهم بنفس الطريقة التى نستعملها اليوم ، لان مئات القرون حققت لهذه الوسائل مزيدا من النضوج والتقدم . ولكننا نطمئن حين نقول أنهم وضعوا البذور الأولى التى نمت وأينعت اليوم وأعظم من هذا كله أننا نجد المبادىء التى ننادى بها اليوم ، والتى أصبحت شعار الشرطة فى عهد الثورة نجدها هناك ينبعث صداها من أعماق الزمن .

يقول تحتمس الثالث لوزيره رخميرع ، وهو الرئيس الأعلى للشرطة وقتئذ : يجب ان تراعى من تعرفه ، كما تراعى من لا تعرفه ... ان شهرة الموظف تنحصر فى أن يفعل ما هو حق ... انه اذا بعث الخوف منه عدة مرات أكثر مما يجب فقد يدعو ذلك الى اتهام الناس له بعدم الاستقامة . !!!

ما أشبه هذه الكلمات بالمبادىء التى نرددها اليوم والتى نسعى لتحقيقها .

وبعد ... فالشرطة فى مصر القديمة أحد الجوانب الحضارية الهامة التى حتى الآن مسها الباحثون مسا رقيقا .

وهى مع هذا لها شأنها ... ولها دورها فى حياة كل مجتمع ... وهى مع هذا جوانب لامعة فى التاريخ المصرى القديم حتى لنعدها تراثا انسانيا قبل ان تكون تاريخا مصريا ...

ويوما ما سوف نقترب من كل الحقيقة ، ونعرف المزيد من التفاصيل ، وحينئذ ستبدو لنا اهراما اخرى تبهر الدنيا .

أهرام ليست من الحجر هذه المرة ... انما من الوعى الناضج والفكر السليم ،،،

الهوامش

هوامش التمهيد

١ – ان تبلور الوادى الضئيل داخل شرنقة الصحراء الشاسعة ، وتجسمه حول النيل ، يجعله كيانا ونسيجا ضاما .. وصحيح ان فى الدلتا انفراجا ، وتشعبا ، والصعيد امتدادا خطيا لايستهان به . فالصعيد وحده يرتامى بتعرجاته نحو ألف كليو متر ، بينما تغطى مصر من الشمال الى الجنوب عشرة درجات عرضية . إن دراما التاريخ الحضارى المصرى برمتها وعلى طولها يمكن اختزالها أساسا فى صيغة صراع ملحمى بين المصرى والنيل . فالحقيقة الكبرى فى كيان مصر هى أنها بيئة نهرية فيضية لا تعتمد على المطر الطبيعى فى حياتها وإنما على ماء النهر ، وقوامها زراعة الرى – الرى الصناعى – لا الزراعة المطرية .

٢ – قام العالم الالمانى «زيته» بدراسات لمقاطعات الوجه البحرى وديانة مصر القديمة ، وانتهى الى الرأى القائل بأن الدلتا كانت تتكون من شرق الدلتا الصغير وغربها الكبير . وأن القسمين اتحدا تحت لواء الاله حورس ، ثم تم لهذه الجبهة الموحدة التوغل جنوبا والاستيلاء على مملكة الصعيد التى كانت تحت لواء الاله «ست» والتى كانت عاصمتها قفط ، وبذلك تأسست حكومة موحدة للقطرين قبل أن يحقق الملك نعرمر ذلك بعدة قرون ، وكانت عاصمة تلك المملكة المتحدة هى «ايون» (عين شمس) .

٣ – كان المصريون منذ أيام الدولة الحديثة يذكرون على آثارهم اسم ملك يسمى «مينا» كأول ملوكهم ، كما كانوا يكتبون اسمه على جعارينهم تيمنا به ، وغالبا أنه كان اسما آخر للملك «نعرمر» الذى عثر على بعض الآثار الهامة فى هيراقونبوليس (الكوم الأحمر شمال إدفو) وفى أبيدوس وأشهرها لوحته الشهيرية المحفوظة الآن بالمتحف المصرى . والتى تسجل مناظرها انتصار هذا الملك فى الحرب ضد أهل الدلتا . وكان أول من توج ملكا على مصر كلها . وقد نسب الى الملك «نعرمر» إنشاء مدينة القلعة البيضاء والتى سماها المصريون بعد ذلك بمدينة منف .

٤ – اختلفت البيئة وتباينت العوامل الجغرافية فى بلاد مابين النهرين (العراق القديم) اذ أن فى امتداد سهول هذه المنطقة امتدادا واسعا ، وفى وجود عدة سلاسل من الجبال الشاهقة تمتد من الشمال الى الجنوب حول وديان هذه البلاد ، ولأنها محاطة بشعوب مختلفة فى الشمال والجنوب قاموا بهجرات واسعة ، ولأن البلاد تعيش على ظاهرتين طبيعيتين أولأهما تتمثل فى

نهرين عظيمين وثانيتهما الأمطار التى تتساقط فى معظم أرجاء المنطقة فى أكثر من موسم واحد من مواسم السنة تلك العوامل جميعها جعلت بلاد ما بين النهرين لا تعرف الاتحاد والتماسك السياسى طوال فترات متعاقبة من تاريخها .

٥ - أول ما يلفت النظر فى نقوش لوحة نعرمر (صلاية) هو تقسيم كل من صفحتيها الى مناطق أو صفوف بخطوط عريضة تقف عليها الاشخاص والحيوانات ، ويبدو الشخص الرئيسى وهو الملك بحجم يفوق كثيرا حجم غيره من الأفراد .

٦ - حكم أنيوتف الثانى المسمى «واح عنخ» نحو خمسين عاما من حوالى (٢١٣٠ - ٢٠٨١ ق.م) على الاقاليم الجنوبية فى الصعيد وبدأ فى عهده التوسع نحو الشمال . وكان من الحكام الأقوياء وبدأ فى تشييد بعض المعابد وبخاصة للاله «مونتو» .

٧ - على مقربة من مقبرة ومعبد منتوحتب الثانى من الأسرة الحادية عشرة عثر على مقبرة «مكت رع» الذى كان من أهم رجال حكومته . وقد عثرنا فى حجرة الدفن إلى جانب التابوت على ما يقرب من ألف ومائتى قطعة مختلفة من نماذج الأسلحة . ولكن أهم ما عثر عليه مجموعة من النماذج الخشبية وعددها ثلاثة وعشرون تمثل جميع ممتلكات «مكت رع» ففيها السفن والحدائق وفيها المنازل والمصانع وفيها الخدم ، مما هو معروض فى متحف القاهرة والمتروبوليتان بنيويورك .

٨ من أهل منطقة الكاب على مقربة من إدفو ، وعلى جدران مقبرته يحدثنا هذا القائد عن تاريخ حياته وتنقله فى الخدمة العسكرية كقائد لاحدى السفن ، ويذكر لنا كيف تبع سيده الملك أحمس فى حربا مع الهكسوس وكيف سقطت أواريس عاصمتهم بعد حصارها .

٩ - تعتبر مقبرته بالبر الغربى بالأقصر من أهم المصادر لدراسة الحياة الاجتماعية وحضارة الشعوب الأخرى وخاصة فى آسيا .

١٠ - لم تتوان الحكومة فى مصر القديمة عن استثمار المناجم والمحاجر إستثمارا واسعا فعملت على استخراج النحاس من شبه جزيرة سيناء وافتتحت لذلك منجما جديدا فى سرابيت الخادم . وقد استغلت كذلك محاجر الجرانيت الأسود فى وادى الحمامات وكانت مناجم الذهب فى وادى العلاق - فى الجنوب الشرقى من بلاد النوبة السفلى - وقد حصّن المصريون الطرق المؤدية الى هذه المحاجر والمناجم لتأمين استغلالها على نطاق واسع .

١١ - والعوامل النفسية كانت نتيجة للترابط الاجتماعى الذى كونته البيئة المصرية منذ نشأتها حتى الآن .

١٢ - رفع المصرى من قدر ملكه الى حد التأليه ووضعه فى مصاف الآلهة لا فارق بينه وبينهم ، ومن أجل ذلك كانت عملية التتويج تقوم على اختيار الآلهة لممثلهم على العرش .

١٣ - المؤرخ المصرى الشهير الذى كتب تاريخ مصر فى عهد الملك بطليموس الثانى بناء على طلبه وما من شك فى أن كتابه عن التاريخ المصرى يعد ثروة كبيرة ولكن للأسف ضاع أكثرها .

١٤ - وصل الينا من تاريخ مابيتون جداول بأسماء الأسرات والملوك وعدد سنين حكمهم ، وتبدأ الأسرة الأولى من عام ٣٢٠٠ الى ٢٩٨٠ قبل الميلاد .

١٥ - أوزيريس : صوره المصريون على هيئة آدمية يلف جسمه بلباس ضيق ابيض تبرز منه يداه ، ويقبض بإحداها على عصا معقوفة والأخرى على رمز القوة «نخخ» ويعلو رأسه تاج أبيض ، ولعل اول المناطق التى ظهر فيها هذا المعبود كانت بوزيريس . وكان يرمز لكل ملك حى بأنه حورس وكل ميت بأنه أوزيريس ، ومن المعروف أن «ست» قتل أخاه أوزيريس ليغتصب منه العرش فقامت الحروب بين حورس الوريث الشرعى لأبيه وبين عمه «ست» انتهت بانتصار حورس . وتقول النصوص : «لقد توج حورس ملكا .. واصبحت السماء فى سرور ، وعم الفرح البلاد عندما عرفت أن حورس ابن ايزيس قد أعيد الى مكان أبيه أوزيريس» .

١٦ - وكان اسمه يعتبر مقدسا لا يجوز ابتذاله بذكره ، وانما كان يكنى عنه ببعض الالفاظ والعبارات تقديسا له واحتراما . فكان يقال عنه «جلالته» أو «حورس الذى فى القصر» . أو «البيت العظيم» والتعبير المصرى القديم «برعا» هو أصل كلمة فرعون .

١٧ - لا تتمثل روعة الأهرامات فى ضخامتها فحسب ، انما فى دقة بنائها . أما عن الوقت الذى استغرقه بناء الهرم الأكبر فنحن لا نعرف الا ما ذكره هيرودوت من أن بنائه استغرق عشرين عاما .

١٨ - اذا ادعى كما سبقته الى ذلك حتشبسوت ، بأنه ليس من صلب أبيه وانما من الاله آمون رع .

١٩ – نجح كهنة الشمس فى الاستيلاء على الملك وانتهى الصراع بزوال الأسرة الرابعة وانتقال العرش الى بيت حاكم آخر كون الأسرة الخامسة . وقد اقنعوا الناس بقصة ملفقة بأن هؤلاء الملوك كانوا خيرا ممن سبقهم من الملوك لأنهم كانوا أبناء الاله رع من صلبه .

٢٠ – لم يكن امنمحات الأول رجلا من الشعب ، استولى على الملك بعد أن كان وزيرا . ولكنه لقى كثيرا من المصاعب وقامت كثير من القوى الرجعية ضده ، فكان من أساليبه رده عليهم بكتابة البردية المعروفة باسم «تنبؤات نفروهو» .

٢١ – وقد سجلت هذه البنوة على جدران معبدها الجنائزى بالدير البحرى .

٢٢ – من أهم المصادر القديمة لدراسة حالة مصر فى أواخر أيام الأسرة العاشرة تلك البردية التى تحتوى على النصائح والتوجيهات التى وجهها الملك اختوى الرابع (خيتى) الى ابنه الملك مريكارع .

٢٣ – وهو قروى كتبت على لسانه بردية تتكون من مقدمه على صورة قصه لا تخلو من الطرا وتسع شكاوى فى الحث على العدل . وهى من الأسرة العاشرة .

٢٤ – معبود كان المصريون فى الدولة القديمة يبتهلون اليه ليسمع للقرابين ان تصل اليهم فى قبورهم . وكان مشرفا مع تحوت على تقديم الموتى لمحكمة العدل التى يرأسها أوزيريس .

٢٥ – اعتقد المصريون منذ الدولة الوسطى أن كل ميت سيتحول الى أوزيريس .

٢٦ – من ملوك الأسرة الحادية عشرة من ٢٠١٠ – ١٩٩٨ ق.م وهو ابن الملك منتوحتب الثانى .

٢٧ – كان قلب المتوفى يوزن نظير ريشة العدالة (ماعت) وفكرة وزن أعمال الانسان فى الآخرة موجودة فى الاديان السماوية .

٢٨ – تحوت «إله الحكمة» كان يقف خلف الميزان ليمسك القلم والقرطاس ليسجل نتيجة الوزن .

٢٩ – من ملوك الأسرة الرابعة وصاحب الهرم الثالث فى الجيزة حكم أكثر من واحد وعشرين عاما ، وقد ذكر الكهنة لهيرودوت ، بأنه كان عادلا وأبطل الظلم وفتح المعابد وأحبه الناس .

٣٠ - اعتقد المصرى القديم انه بعد وفاته ينتقل الى الغرب ، وذلك لانه لاحظ آن الشمس تختفى هناك كل مساء .

٣١ - نص هذه المسرحية من عصر الملك شباكا (٧١٦ - ٧٠١ ق.م) وهى معروفة باسم «الدراما المنفية» أو «تمثيلية بداية الخلق» ، ويزعم أنها نقلت عن نص يرجع الى عصر بداية الأسرات أى من تأليف الأجداد .

٣٢ - عمد الملوك منذ نهاية الأسرة الخامسة الى نقش نصوص دينية طويلة على جدران غرف الدفن وبعض الغرف المتصلة بها داخل اهراماتهم . وهى تكشف عن الكثير من عقائد المصريين وأفكارهم .

٣٣ - حرص المصريون وخصوصا فى أواخر الدولة القديمة على تقديم ما يظهر فضائل اخلاقياتهم على جدران المقابر .

٣٤ - حكيم شهير عاش فى عصر الملك اسيس ٢٤٧٦ - ٢٤٤٨ ق.م من الأسرة الخامسة . وترك بتاح حتب مجموعة من النصائح وارشادات هى ذخيرة من الحكمة والارشاد الى حسن السلوك .

٣٥ - راجع رقم ٦ .

٣٦ - من ملوك الأسرة الثامنة عشر ، حكم من عام ١٥٢٥ - ١٤٩٥ ق.م ترك مصر فى خير حالة فقد بسط نفوذه القوى فى الجنوب والشمال وبدأ فى تعمير البلاد .

٣٧ - كان أمنتحب بن حابو من حكماء عصر الملك أمنتحب الثالث (الأسرة ١٨) وكان متبحرا أيضا فى الطب . رفع من قدره ووصل الى مصاف الآلهة فى الأسرة الحادية والعشرين .

٣٨ - هى نصوص كانت تكتب على جدران التوابيت بدلا من نصوص الأهرام التى كانت وقفا على الملوك . وقدظهرت نصوص التوابيت ابتداء من نهاية الدولة القديمة وزادت فى عصر الفترة الأولى والدولة الوسطى . وهى تتألف من فقرات تتفق مع آمال المصريين ورغباتهم وضمان سعادتهم فى العالم الآخر .

٣٩ – فقدت مصر فى تلك الفترةوحدتها وانتشرت الفوضى .

هوامش الجزء الأول
الامن الداخلى فى مصر القديمة

هوامش الفصل الأول
*الأمن الداخلى من بداية الأسرات حتى غزو الهكسوس

المبحث الأول
الأمن الداخلى فى العصر العتيق

١ – لم تمدنا الوثائق بما يكفينا من أدلة لمعرفة انباء الحروب التى كانت بين الشمال والجنوب وادت الى توحيد البلاد . وكان المصريون يعتبرون الملك مينا أو نعرمر كأول ملوكهم على الأطلاق .

٢ – نجهل الاسباب التى أدت الى تغيير الأسرة الأولى والحوادث التى جرت فى أيام آخر ملوكها «قا – ع» وانتهت باعتلاء الملك حتب سخمورى العرش وبداية الأسرة الثانية (٢٩٨٠ – ٢٧٨٠ ق.م) .

٣ – كانت عاصمة الشمال تسمى «بى» أو «بوتو» ومكانها الآن تل الفراعين فى شمال شرقى مدينة دسوق .

٤ – كان للمعبود «ست» مركز رئيس فى الصعيد ولكن انتشار عباده حورس كادت تطيح به وبنفوذ كهنته ، وبخاصة عندما أصبح الملوك قبل بداية الأسرة الأولى يمثلون حورس ويعيشون فى ظله ، واصبح كل منهم ينسب نفسه اليه .

٥ – يرجح أن «الأيونتيو» هم سكان مصر الأوائل الذين طردوا منذ حكم اتباع حورس فانقسموا الى ثلاثة شعوب :

– الأول : ارتحل الى سيناء والثانى: الى الواحات الليبية والثالث: الى النوبة وظلوا يهددون مصر باستمرار .

٦ – قام الملك دن بعدة حملات على سيناء لمحاربة البدو فى شرق مصر .

٧ – فقد هذا النقش اثناء العدوان الاسرائيلى على سيناء عام ١٩٥٦ ، وهو يثبت أن الملك سمرخت (سابع ملوك الأسرة الأولى) قد قام بحملة على سيناء لتقوية الأمن الداخلى لمصر جهة الشرق .

٨ – عرفنا عن هذا الملك من حجر «بالرمو» ومن مقابر معاصريه .

المبحث الثانى
الأمن الداخلى فى الدولة القديمة

١ – حكمت الأسرة السادسة من عام ٢٧٨٠ – ٢٦٨٠ ق.م .

٢ – اعتبر القدماء زوسر مؤسسا لأسرة مالكة جديدة على الرغم من أنه كان غالبا ابنا لآخر ملوك الأسرة الثانية . وقد حكم تسعة وعشرين عاما ، وعاش فى أيامه «ايمحتب» نابغة العمارة والطب وشيد له مجموعته الهرمية فى سقارة . ورأت البلاد أثناء حكم زوسر نهضة عامة .

٣ – ويعنى هذا اللقب «دليل الأرض» .

٤ – كانت عملية بناء الهرم الأكبر لدليل قوى على قوة الأمن الداخلى فى مصر .

٥ – انصرف ملوك هذه الأسرة عن الاهتمام بالأهرام ولكن تقدم فن عمارة المعابد تقدما كبيرا .

٦ – ارسل الملك زوسر بعض الحملات التأديبية ضد بدو سيناء الذين كانوا يتعرضون للحملات التى كان يرسلها لاحضار النحاس من المناجم التى على مقربة من جبل المغاره .

٧ – «منكاو حور» من ملوك الأسرة الخامسة حكم ثمانية سنوات .

٨ – قام زوسر ببناء هذه البوابة لتأمين حملاته لمناجم سيناء .

٩ – «سوبد» هو إله من أصل آسيوى وفد الى مصر من الشرق واستقر فى شرق الدلتا ، وارتبط اسمه باسم الاله حورس .

١٠ – أرسل الملك بيبى نخت على رأس حملة للثأر للضابط القتول واحضار جثته .

١١ – يذكر مانيتون ان الملك تيتى الأول لم يمت ميته طبيعية بل قتله حراسة .

١٢ – يذكر «ونى» ان الملك «بيبى» الأول عينه ليكون المحققين مع زوجته لثقته فيه ، ولكننا لا نعرف ما هى المؤامرة التى حوكمت هذه الملكة من أجلها .

المبحث الثالث
الثورة الاجتماعية وسوء الحالة الأمنية

١ – نصائح «ايبوور» من القطع الادبية الممتازة يصف فيها احوال البلاد لملك عجوز يعيش فى قصره مطمئنا الى ما يسمعه من رجال حاشيته من أكاذيب ، ويغلب على الظن انه الملك بيبى الثانى ، وقد صور ايبوور البلاد وقد سادها الاضطراب ونهبت المخازن وقتل حراسها ودمرت المدن وانتشر المجرمون فى انحاء البلاد .

٢ – كتبت بردية نفرتى بعد الثورة الاجتماعية كدعاية سياسية للملك امنمحات الأول . بأنه سينقذ عصر الانهيار الأول .

٣ – يصور هذا الحديث مفاسد المجتمع ويحاول اغراء زوجه بالبقاء الى جانبه اذا انتحر باحراق نفسه تخلصا مما وجد فى حياته من نكبات . ويدور الحديث بين الرجل وروحه فى حوار فلسفى لا يخلو من تفكير ومعرفة بأحوال النفس الانسانية .

٤ – كانت تماثيل خفرع منتشرة فى أرجاء هذا المعبد وبعضها من حجر الديوريت ، وقد نجا بعضها لأن كهنة المعبد حفروا فى وقت من الأوقات حفرة عميقة فى البهو الشرقى أودعوها تلك التماثيل .

المبحث الرابع
عصر الاقطاع الأول

١ – ويشمل عصر الاقطاع الأول (الأسرات ٧ – ١٠) : ٢٢٨٠ – ٢٠٥٢ ق.م .

٢ – استمر تقليد اصدار المراسيم فى عصر الفترة الأولى (عصر الاقطاع الأول) .

٣ – مدينة هيراقوتيوبوليس مكانها الآن الكوم الأحمر وكانت تسمى «نخن» شمال إدفو . وهى مركز لعبادة حورس .

٤ – اقليم الأرنب هو الخامس عشر من أقاليم الوجه القلبى واسمه باللغة المصرية القديمة «اونو» وحاليا الاشمونين .

٥ – فى هذه النصائح كثير من المعلومات الهامة عن عصر الاقطاع الأول .

المبحث الخامس
الدولة الوسطى وعودة الأمن

١ – أسس هذه الأسرة الملك انيوتف الأول . وقد حكمت من عام ٢١٣٤ – ١٩٩١ ق.م .

٢ – حكم هذا الملك من ٢٠٨٢ – ٢٠٧٩ ق.م .

٣ – كان منتوحتب الثانى (٢٠٦١ – ٢٠١٠ ق.م) أقوى وأهم ملوك الأسرة الحادية عشرة . ويعتبر أول ملك من ملوك طيبة يصبح ملكا على كل من الوجه البحرى والقبلى .

٤ – كان «حقا نخت» كاهنا لروح الوزير «ايبى» وتصور لنا رسائله صوره حيه للحياة المصرية فى ذلك العهد .

٥ – ظاهرة وجود دمى وأوانى كتبت عليها تعاويذ سحرية لسحق أصحابها من الأمراء الأجانب الذين وقفوا موقفا عدائيا ضد مصر فأراد بعض من احاطوا بالملك إقناعه بأنه من الحكمة سحقهم بواسطة السحر .

٦ – قام امنمحات الأول بتأسيس الأسرة الثانية عشرة . (١٩٩١ – ١٧٧٨ ق.م) . وقد كان وزيرا لمنتوحتب الرابع وملوك الأسرة الحادية عشرة .

٧ – كان تنظيم الأمور الداخلية أهم الواجبات التى واجهته عند توليه الحكم .

٨ – أهتم كذلك بحدود مصر وبنى تحصينات على حدودها لعل أشهرها حائط الأمير فى الشرق .

٩ – مات امنمحات الأول غالبا وهو فى شيخوخته منقولا فى قصره . وربما كان ذلك بسبب التنافس على العرش .

١٠ – طال حكم سنوسرت الثالث حتى زاد على ٣٨ عاما وترك وراءه فى أكثر بلاد مصر آثارا تدل على نشاطه .

١١ – «وحم ميسو» تعنى اعادة الولادة دليل على النهضة أو الصحوه .

١٢ – حكم امنمحات الثالث من عام ١٨٤١ حتى عام ١٧٩٢ ق.م وطالت أيام جلوسه على العرش أكثر ممن سبقه أو جاء بعده من ملوك هذه الأسرة ، ونعمت مصر أيامه بعهد من الرخاء والطمأنينه .

١٣ – ورد اسمه على بعض لوحات موظفيه ومنهم من ذهب الى المحاجر فى النوبة أو الى محاجر وادى الهودى لاستحضار الحجشت .

١٤ – هناك اشارة أخرى للقائد «منتوحتب» فى لوحة بوادى حلفا يشير الى حملة ضد الجنوب وقد صور الملك سنوسرت الأول يقف أمام الاله «مونتو» إله الحرب قائلا له بأنه جاء بكل البلاد فى النوبة تحت قدميه . ويقود الاله للملك صفا من تسعة من النوبيين الأسرى المقيدين .

١٥ – القائد «أمنى» (أمنمحات) أحد أمراء بنى حسن الأقوياء . وقد أرسله الملك سنوسرت الأول مع غيره من القواد على رأس حملات لاستغلال مناجم الصحراء ، فنجد اسمهم على لوحات أقاموها فى الصحراء يمجدون فيها أعمالهم حيث كانوا يستخدمون الذهب أو النحاس وغيرهما من تلك المناجم ، كما كانوا حريصين أيضا على استغلال بعض الأحجار نصف الكريمة مثل الفيروز من سيناء والجمشت (الأماتيست) من وادى الهودى .

هوامش الجزء الثانى
جهاز الشرطة ووسائله

مقدمة
وظيفة جهاز الشرطة

١ – يظهر هذا واضحا من ملابسهم واسلحتهم والمركبة الحربية التى كانوا يستعملونها .

الفصل الأول
الشرطة فى عصر الأسرات المبكر (العصر العتيق)

١ – كانت «بى» عاصمة الشمال ونخن عاصمة الجنوب قبل اتحاد الوادى .

٢ – هذا يوضح نظرة المصريين الى الملك كإله من ذلك العصر العتيق .

٣ – ويمكننا أن نقدر اهمية هذا اللقب من تصوير الملك نعرمر وهو يقوم بحفر القنوات بنفسه .

الفصل الثانى
الشرطة فى الدولة القديمة

١ – ولعل خير مثال لذلك أهرامات الجيزة وخاصة الهرم الاكبر .

٢ – تعرضت حدود مصر منذ أقدم العصور لهجمات وذلك لفقر الشعوب المجاورة لها مع ثراء الحياة فى مصر .

٣ – وما زلنا حتى الآن نستخدم الهجانة من هذه المناطق حيث انهم انسب من يقوم بهذا العمل .

٤ – الحكيم «ايبو – ور» عاش أيام الملك ببيى الثانى .

الفصل الثالث
الشرطة فى العصر الاقطاعى الأول

١ – أصبح تقليدا فى هذا العصر أن يكون لكل حاكم اقليم فيالق خاصة به .

٢ – فلاح من وادى النطرون كتب تسع شكاوى ضد من سرق حميره . تعتبر من الأدب المصرى الرفيع .

٣ – نسبة الى اهناسيا فى محافظة بنى سويف وكانت لمصر اثناء الأسرتين التاسعة والعاشرة ٢٢٤٢ – ٢٠٥٢ ق.م وكان يعيش فيها ملوك هاتين الأسرتين وشيدوا فيها المعابد والقصور ودور الحكومة .

الفصل الرابع
الشرطة فى الدولة الوسطى

١ – تقع جنوب اسوان . وقد حفر حكامها مقابرهم فى الجبل الغربى للمدينة .

٢ – وتسمى العرابة المدفونة على حافة الصحراء غربى البلينا محافظة سوهاج .

٣ – من أهم مناطق الآثار فى مصر ، تقع على الضفة الشرقية للنيل على بعد ٢٧٧ كم جنوب القاهرة بمحافظة المنيا . بها مقابر حكام الاقليم ١٦ (اقليم الغزال) من اقاليم الوجه القبلى .

٤ – من ملوك الأسرة الثالثة عشرة .

٥ – حكم من عام ٢١٣١ – ٢٠٨٢ ق.م .

٦ – آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة حكم من عام ١٩٩٣ – ١٩٩١ ق.م .

الفصل الخامس
الشرطة فى الدولة الحديثة

المبحث الأول
النظام الادارى فى الدولة الحديثة

١ – اختاره حكام طيبة الذين انتصروا على ملوك الأسرة العاشرة وجعلوا منه المعبود الرئيسى للدولة المتحدة وبدأوا بتشييد معابد الكرنك . وأصبح آمون معبود مصر والامبراطورية المصرية ابتداء من الدولة الحديثة .

٢ – كان من وظائفها تسجيل سن الملك وأعماله على الشجرة المقدسة فى هليوبوليس .

٣ – خرج تحتمس على رأس ١٧ حملة ليوطد أركان الامبراطورية المصرية .

الفصل السادس ص ٥٦

المبحث السادس
غزو الهكسوس والفترة التى سبقته

١ – لا ندرى تماما ماذا حدث فى أعقاب الأسرة الثانية عشرة . هل خلعت الملكة «سبك نفرو رع» آخر من حكم فى هذه الأسرة ؟ أم ان مؤسس الأسرة الثالثة عشرة الجديدة أحد أصهار الأسرة ، استطاع أن يصل الى العرش عن طريق المصاهرة . على كل حال فان الظلمة التى تجتازها هذه المرحلة من تاريخ مصر أحلك من سابقتها ، وعادت البلاد الى الانقسام والتفتت الى دويلات صغيرة . وبذلك يمكننا القول بأن الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة عهد ضعف واضمحلال فى جميع مظاهر الحياة ، مما أتاح الفرصة للهكسوس لدخول مصر .

٢ – استخدم اسلوب سحق الأعداء عن طريق التعاويذ السحرية فى عصور الضعف . فقد كان يعتمد على هذه التعاويذ التى يظن ان فيها القوة على تحقيق المأمول . وتذخر المتاحف بعدد لا بأس به من هذه الأوانى المكتوب عليها التعاويذ بالخط الهيراطيقى .

٣ – الدن يساوى فى الوزن ٩١ جرام .

الفصل الثانى
الأمن الداخلى خلال الدولة الحديثة

١ - تشمل فترة الدولة الحديثة من الأسرات ١٨ - ٢٠ (١٥٧٠ - ١٠٨٠ ق.م) .

٢ - كانت البلد يتقاسمها الحكام ويتحكم الآسيويين والبدو فى الدلتا ، كعادتهم فى كل عصور الانهيار التى كانت تمر بمصر .

٣ - اذا تتبعنا تاريخ الملك أحمس الأول لوجدنا أنه بعد أن تم طرد الهكسوس وهزيمتهم فى فلسطين التفت نحو الحالة الداخلية . وقد أمتد حكم هذا الملك الى أربعة وعشرين عاما قضاها فى اصلاح البلاد وتوطيد النظام وتعمير المعابد وبخاصة فى طيبة وترحاله .

المبحث الأول
الخيانة اثناء حرب التحرير

١ - «نفروس» بلدة كانت تقع فى شمال اسيوط ، ومن الصعب تحديد مكانها تماما . وقد حاصر «كامس» أميرها (تتى بن بيبى) وحطم مدينة وذلك اثناء زحفه شمالا ضد الهكسوس .

٢ - ورد ذلك فى لوحة «كارنارفون» .

٣ - حمل أحمس بن ابانا من ألقاب الشرف والبطولة ما يشير الى شجاعته وحسن بلائه ، وقد سجل للاجيال كل ذلك على جدران قبره فى الكاب . وتعد سيرته من أصدق الوثائق التاريخية التى سجلت أخبار الجهاد فى سبيل تحرير الوطن .

٤ - يحدثنا «أحمس بن ابانا» ان احد النوبيين ويدعى «آث» انتهز فرصة انشغال الفرعون بأمر الهكسوس فثار ضده وفعل فعلته أحد المصريين ويدعى (تتى عن) فنالا جزاءهما على يد أحمس الأول .

٥ - هى لوحة لصبى فى أحد المكاتب أملاها عليه مدرسه كقطعة إملاء . والنص معاصر لأيام الملك كامس .

المبحث الثانى

مظاهر استتباب الأمن فى هذه الفترة

١ - قضى تحتمس الأول ثلاثين عاما فى حكم البلاد . وبسط نفوذه القوى فى الجنوب والشمال وبدأ فى تعميرها بعد ان بدأت تتدفق على طيبة خيرات الأمم المختلفة . وترك مصر فى خير حال .

٢ - قصى امنحتب الثانى فى هذه اللوحة الكثير من بطولته الشخصية وجرأته وقوته البدنية . وآثار هذا الملك غير قليلة فى معبد الكرنك ومنف وكذلك فى بلاد النوبة .

٣ - دخلت مصر منذ تولى امنحتب الثالث فى فترة جديدة من حياتها فقد كان حاكمها الجديد غير ميال للحرب بطبيعته وكانت الأمور قد استتبت فى آسيا ، ولم يعد هناك من تحدثه نفسه بالخروج على حكم مصر أو منازعتها .

٤ - معبد منحوت فى الصخر جنوبى مقابر بنى حسن على الضفة الشرقية للنيل بمحافظة المنيا . ويسمى باسطبل عنتر .

٥ - تقصد حتشبسوت بأنه بالرغم من حالة السلم التى تنعم فيها البلاد فان المدخل الشرقى المصرى والذى كان مصدرا دائما للخطر ، لم يكن مهملا أو بعيدا عن عين حتشبسوت .

٦ - وادى المغارة فى شبة جزيرة سيناء .

٧ - احدى واحات الصحراء الغربية الخمس وكان يطلق عليها أيام الفراعنة واحة «زسرزس» وأحيانا الواحات الشمالية .

٨ - وهذا النظام يشبه الى حد كبير حرس الحدود الموجود حاليا .

٩ - بالرغم ان حملات تحتمس الثالث بلغت عشرين حملة فى فلسطين وسوريا مما أقام لمصر سلطانا فى آسيا على أساس ثابت مكين . الا انه لم يهمل الحالة الداخلية . فما ان يفرغ من حملاته الخارجية حتى يقوم بنفسه بحملات داخلية لتفقد شئون البلاد .

١٠ - فى وصايا هذا الملك لوزيره رخميرع نتبين نظرة هذا الفرعون الى الحكم وكيف يجب أن يعامل الناس .

١١ – كان انتف يشغل وظيفة رئيس التشريفات وكان حاكما لاقليم أبيدوس والواحات .

١٢ – «أمنمحات بن تحوتمس» مدير بيت الوزير ، «أوسر» وكان المدير لجميع أعماله وبخاصة المالية منها ومقبرته رقمها ٨٩ بطيبة الغربية .

١٣ – انقسم - البلاد الى حزبين : حزب يؤيد الملكة حتشبسوت والحزب الآخر يؤيد تحتمس الثا'

١٤ – عاصر المهندس المعمارى «انينى» أكثر من ملك من ملوك هذه الأسرة ، وكان من مؤيدى حتشبسوت .

١٥ – كوش اسم اطلقه المصريون على بلاد النوبة العليا .

١٦ – أقام تحتمس الرابع هذه اللوحة فى العام الأول من حكمه وفيها محاولة لتبرير اعتلائه العرش .

الفصل السادس
أجهزة الشرطة واختصاصاتها

المبحث الرابع
شرطة المعابد

١ – وكان يطلق على المعبد فى مصر القديمة «بيت الاله» ، وكان لكل معبد خدم يقوم على رعاية شئونه ينتخبون من رجال الدين .

٢ – معبد العرابة المدفونة بأبيدوس .

المبحث الخامس
الحرس الملكى

١ – وكانت هذه الفرق الحربية تقوم بأعمال الشرطة .

٢ – وصلت الينا فى بردية محفوظة فى متحف ليننجراد . والملك خيتى (أختوى) من ملوك العصر الأهناسى .

٣ – حكم من عام ١٩٩١ – ١٩٦١ ق.م .

٤ – ظهر ذلك لأول مرة فى عصر اخناتون .

٥ – مرنبتاح حكم من عام ١٢٢٣ – ١٢١١ ق.م ، ويعتقد البعض أنه فرعون الخروج .

المرحلة الثانية
من عهد اخناتون إلى عهد رمسيس الرابع

١ – لما آل الملك الى سيتى الأول وجد أن خير ما يفعله هو ان يسير على نمط حور محب ، وكان له من نشاطه وخبرته ما جعله يبدأ عصرا جديدا فى تاريخ البلاد فسمى أولى سنوات جلوسه على العرش أنها بدء عصر البعث .

المبحث الأول
الديانة الآتونية ودورها فى تهديد الأمن

١ – حكم اخناتون من عام ١٣٧٠ – ١٣٤٩ ق.م .

٢ – أصبح الاله آتون هو الاله الرئيسى ولم يعترف بما عداه من آلهة .

٣ – أحدثت ديانة آتون انقساما كبيرا فى البلاد ، ووقف الكهنة واكثر العائلات القديمة المحافظة من اخناتون موقف العداء . حتى ان توت عنخ آمون أمضى ثلاث سنوات فى العمارنة ولكنه غادرها الى طيبة راضخا لمشيئة كهنة آمون وغير اسمه بعد أن كان يسمى «توت عنخ آمون» .

٤ – بلاد «واوات» فى بلاد النوبة السفلية .

٥ – فى السنة الرابعة من حكمه ترك طيبة وذهب الى «آخت آتون» .

٦ – فى مثل هذه الظروف كان من الضرورى أن يحدث اخناتون تغيير فى ادارة البلاد . فأقصى من لم يتبع دينه الجديد وقرب الذين استطاعوا الحصول على ثقته .

٧ – وبدأت المؤامرة على حياة الملك نفسه .

٨ – خلف اخناتون على العرش وحكم من عام ١٣٥١ – ١٣٤٨ ق.م .

٩ – تولى الملك بعد سمنخ كارع وحكم من عام ١٣٤٨ – ١٣٣٧ ق.م .

١٠ – الارض السوداء هى الأرض الزراعية والأرض الحمراء المقصود بها الصحراء ، وكلا الأرضين تعنى مصر .

١١ – حكم بعد سمنخ كارع من عام ١٣٣٧ – ١٣٣٤ ق.م .

المبحث الثانى
مظاهر الفوضى الداخلية واسبابها قبل حور محب

١ – مات اخناتون فى العام الحادى والعشرين من حكمه غالبا .

٢ – مات توت عنخ آمون فى ريعان الشباب اذ لم يكن قد تجاوز العشرين من عمره ودفن فى قبر صغير كانوا قد أعدوه لغيره وملأوا حجراته الاربع وكدسوها بالاثاث .

٣ – حكم آى حوالى ثلاث سنوات بعدها تولى العرش منافسه القوى حور محب الذى كان قائدا للجيش .

٤ – بموته انتهت الأسرة الثامنة عشرة وبدأت الأسرة التاسعة عشرة بالملك رمسيس الأول .

٥ – كانت عاصمة دولة خيتا فى «بوغاز كوى» وكان يدير شئونها طائفة اسمها «النيزيون» ولم تصل الى درجة هامة بين دول الشرق القديم الا فى عهد الملك «شوبيليوليوما» وقد كانت عملية توحيد البلاد حتى عهد هذا الملك ومنذ وصول أهل «خيتا» – الآريى الجنسى – الى آسيا الصغرى حوالى ١٢٥٠ ق.م سائرة على قدم وساق .

المبحث الثالث
محاولة الاصلاح

١ – كان من أثر الهجرات الهندو – أوربية قيام مملكة فى الاناضول وهى مملكة خيتا ، التى لم يأتى عليها القرن السادس عشر ق.م حتى كانت مملكة لها اتحادها وقوتها ولم تكتف بالسيطرة على آسيا الصغرى فقط بل تطلعت نحو الجنوب .

٢ – كتب هذا القانون على لوحة كشف عنها ماسبيرو سنة ١٨٨٢ ارتفاعها ١٦ قدما ، وقد عثر عليها عند الصرح العاشر فى الكرنك وهى مشوهة فى أجزاء منها .

٣ – نبات مقدس .

٤ – ويسمى ايضا «ثبت سقارة» وقد عثر عليه فى مقبرة أحد كهنة سقارة عاش فى أيام رمسيس الثانى وهو الآن بالمتحف المصرى فهو فى معبد ابيدوس على جدران معبد الملك سيتى الأول (حوالى ١٣٠٠ ق.م) .

٥ – «وحم ميسو» تعنى عودة الميلاد أو الصحوة .

٦ – بيت «من ماعت رع» هو معبد أبيدوس .

٧ – أوزيريس سيد الغرب .

المبحث الرابع
بين النجاح والاخفاق

١ – بتاح المعبود الرئيسى للعاصمة القديمة منف حيث شيد معبده ، يتكون ثالوثه منه ومن «سخمت» كزوجة ، ومن «نفرتم» كإبن .

٢ – سجل الملك مرنبتاح (١٢٢٣ – ١٢١١ ق.م) انتصاراته على لوحة تذكارية أقامها بالكرنك ورد فيها «واسرائيل ابيدت ولن يكون لها بذرة» وهذه هى المرة الوحيدة التى يرد عليها هذا الاسم على أثر مصرى .

٣ – تبع عصر مرنبتاح – الذى لم يطل أكثر من عشر سنوات على الاغلب – عهد اضطربت فيه الامور وأشير اليه أحيانا بأنه عصر حروبا .

٤ – على الرغم من انهيار الاحوال فقد حكم سيتى الثانى وسمى ايضا سيتى مرنبتاح ستة سنوات ومات موتة طبيعية (وحكم من عام ١٢٠٧ – ١٢٠٢ ق.م) .

٥ – كان «ارسو» سورى ، انضم اليه الكثيرون من إخوانه وحاول حكم البلاد وعاث فسادا .

٦ – «ست نخت» اعاد تنظيم الجيش وحكم من عام ١١٩٥ – ١١٩٢ ق.م .

٧ – حفظت لنا جدران معبد مدينة «هابو» صورا مفصلة لمعاركه وهى تمثل أول صدام بين مصر والشعوب الاوربية .

٨ – الشردانا قوم أقوام البحر المتوسط ، واسم جزيرة سردينا مشتق من اسم هذا الشعب .

المرحلة الثالثة

من عهد رمسيس الرابع إلى نهاية عهد رمسيس الحادى عشر

المبحث الأول

أسباب الفوضى الداخلية

١ – المشواش سلالة من أصل ليبى ولكن لها ملابس خاصة بهم تميزهم عن الليبيين .

٢ – الدبن وحدة وزن فى مصر القديمة تساوى ٩١ جرام .

المبحث الثانى

مظاهر اختلاف الأمن

١ – من ملوك الأسرة العشرون حكم من عام ١١١٨ – ١١١٠ ق.م. وبردية «شاباس – ليبلين» (وهما العالمان اللذان نشراها) يرجع تاريخها الى العام الثالث من حكم هذا الملك .

٢ – بنى هذا المعبد رمسيس الثالث .

٣ – خلف أبوه حريحور فى طيبه ولم يدع الملك كأبيه ، وانما احتفظ لنفسه فقط بمنصب كبير كهنة آمون رع .

٤ – كان «بانحس» القائد الأعلى وابن الملك حاكم كوش . وقاد القتال حتى الجزء الشمالى من مصر .

٥ – ابن الملك صاحب كوش ، كان لقبا وليس إبناً للملك فى الحقيقة .

٦ – هى مدينة اهناسيا (نن – نى سوت قديما) .

٧ – ست شقيق أوزيريس وقاتله ومغتصب العرش منه . أصبح رمزا للشر فى كثير من العصور .

الجزء الثالث
نماذج من جرائم ودور الشرطة فى مكافحتها

المبحث الأول
أسباب انتشار سرقات المقابر

١ – يتكون الانسان من عدة عناصر منها ما هو يمكن لمسه كالجسم ومنها ما هو غير ملموس كالبا والكا والآخ .

٢ – مقابر الدولة الحديثة نحتت فى جبل بالغرب الغربى فى لطيبة ودفن الملوك فى واد خاص بهم فى حين أن زوجاتهم دفنوا فى وادى الملكات .

٣ – غالبا ما كان عازف القيثار فى حفلات المصريين القدماء كفيفا وكان يصاحب العزف أغانى فيها مواعظ وحكم .

٤ – صب تحتمس الثالث جام غضبه على كل ما أقامته حتشبسوت بعد موتها فحطم تماثيلها وحاول محو اسمها من على الآثار .

٥ – كانت وفاة رمسيس الثالث فى عام ١١٦٤ ق.م وكانت نهاية الأسرة العشرين فى عام ١٠٩٠ وفى هذه الفترة تولى الحكم فى مصر ملوك يعيشون فى شرق الدلتا تاركين ادارة البلاد لوزير فى منف وآخر فى طيبة . ولم يكون هؤلاء الملوك رجال حرب أو رجال اصلاح .

٦ – أخذ يقل نفوذ مصر خارج حدودها فى تلك الفترة وخاصة فى آسيا ، حتى زالت .

المبحث الثانى
سرقات المقابر والجهود التى بذلت لايقافها

١ – كانت حتب حرس مدفونة فى مقبرة بدهشور على مقبرة من هرم زوجها سنفرو وبعد دفنها بقليل تمكن بعض اللصوص من الوصول الى المقبرة وسرقوا اجزاء منها . فلما اكتشف الحراس حين ذاك حقيقة ما حدث نقلوا ما تبقى الى بئر بجوار المعبد الجنائزى بالجيزة .

٢ – نخن هى الكوم الأحمر . وحيث أنها كانت عاصمة للوجه القبلى قبل الأسرات ، فكان لها مكانة عند المصريين وكان حاكمها نائبا للملك بعد ذلك .

٣ – كانت طره هى المحجر الرئيسى لمقابر الدولة القديمة وعندما قامت الثورة الاجتماعية اعتدى الناس على مقدسات المقابر وسرقوا أحجارها لبناء مقابر لهم .

٤ – أحد ملوك الأسرة السادسة (٢٤٢٠ – ٢٢٨٠ ق.م) وفى عهده حدث ازدهار فى الفنون وعادت مصر مرة ثانية إلى عظمتها طوال فترة حكمه التى بلغت خمسة وعشرين عاما .

٥ – مثل مقبرة امنحتب الثالث وآى فى الوادى الغربى .

٦ – بذل كهنة الأسرة الحادية والعشرين كل ما فى وسعهم لاعادة دفن موميات الملوك التى سرقت حتى جمعوها فى مكان واحد فى احدى المقابر القديمة على مقربة من الدير البحرى .

المبحث الثالث
صورة من تحقيقات سرقات المقابر فى الأسرة العشرين

١ – يذكرنا اعترافه بمحاضر الشرطة الحالية .

٢ – الأفق الابدى للملك أمنحتب الأول تعنى مقبرته .

٣ – مقبرة فى وادى الملكات بالبر الغربى بالأقصر .

الفصل الثانى
اضرابات العمال فى النصف الثانى من الدولة الحديثة

المبحث الأول
عمال الجبانة وتنظيمهم ومكانتهم داخل الدولة

١ – اعتبر الملك امنحتب الأول إلها فى جبانة طيبة الغربية حتى آخر العصور الفرعونية .

٢ – المازوى أو الميجاى هم جنود من النوبة .

المبحث الثانى
مرتبات عمال الجبانة

١ – حكم واحد وثلاثين عاما كانت فترة صحوة بين عهدين فاسدين .

المبحث الثالث
الحالة الاقتصادية والسياسية فى البلاد اثناء اضرابات العمال

١ – نلاحظ أن كل هذه الهبات المقدمة للمعابد تذهب للكهنة .

٢ – ولعل هذا سببا مباشرا للاضرابات بعد ذلك .

الفصل الرابع
من قضايا الاختلاس

المبحث الأول
قضية خنوم تحوت

١ – كان الاله خنوم إله الفيضان بأسوان وقد بنى له معبدا فى جزيرة الفنتين هناك مع الالهتين ساتت وعنقت .

٢ – كان هذا وضعا طبيعيا لسوء تصرفات الكهنة .

الفصل السابع
واجبات أخرى للشرطة

١ – مقبرة نب آمون بالبر الغربى بالأقصر .

٢ – وادى الحمامات جزء من الدرب الذى يخترق الصحراء الشرقية بين النيل والقصير .

المبحث الثانى
الكلاب البوليسية

١ – الكلب من الحيوانات المقدسة فى مصر مثل المصريون الاله انوبيس بكلب رابض عادة على قاعدة مرتفعة مائلة الجوانب أو يصورونه على هيئة آدمية لها رأس كلب .

٢ – الحصن أو كوم الحصن فى المقاطعة الثالثة من أقاليم الوجه البحرى وحتحور الهتها . مكان أثرى قديم فى البحيرة.

٣ – حكم انيوتف الثانى من عام ٢١٣ – ٢٠٨٢ ق.م وهو ثانى ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وبنى لنفسه قبرا كبيرا كان يعلوه هرم من الطوب وأمام هذا الهرم أقام لوح له .

٤ – بعد أن قتل ست أخوه أوزيريس ووضعه فى التابوت والقاه فى النيل وظلت تبحث عنه ايزيس حتى وجدته على شاطىء جبيل شمال بيروت .

الفصل التاسع
وسائل التحقيق الجنائى

١ – كانت فى مصر القديمة أثمن من الذهب لقلة استخراجها .

٢ – تمادى الكهنة فى ذلك العصر واستغلوا اعتقاد المصريين فى الوحى لتنفيذ مآربهم .

الفصل العاشر
القانون والعقوبات

١ – عاش حمورابي ملك بابل حوالى (٢١٠٠ ق.م) واستشهر بقوانينه ، وهى منقوشة على قطعة كبيرة من حجر الديوريت الأسود المصقول ، وتوجد الآن فى متحف اللوفر بباريس ويتكون من ٣٦٠٠ سطر بالخط المسمارى . وهو يحتوى على ٢٨٢ مادة ويتبع مبدأ العين بالعين .

٢ – وتتلخص بردية وستكار (أو خوفووالسحره) فى أن الملك خوفو طلب من أولاده أن يقص عليه كل منهم قصة عن السحر وما يستطيع أن يفعله السحرة فأخذ كل منهم يتحدث عن أحد السحرة فى عهد كل ملك من الملوك ابتداء من الملك زوسر فذكروا بعده نبكا ثم سنفرو واخيرا جاءوا الى خوفو بساحر كان يعيش فى أيامه فأتى ببعض المعجزات مثل قطع رقبة الأوز ثم اعادتها الى مكانها .

٣ – الملك انيوتف الثالث من الأسرة الحادية عشرة حكم من عام ٢٠٨٢ – ٢٠٧٩ ق.م .

٤ – بلاد خيتا وهى بلاد الاناضول وعاصمتها كانت «خاتو ساس» (بوغاز كوى الحالية) . وسكانها هم الحيثيون . ودخلت معارك حربية مع مصر لعل أشهرها معركة قادش .

٥ – حفيد حريحور الكاهن الذى نصب نفسه ملكا فى طيبة وكون الأسرة الحادية والعشرين .

الفصل الحادى عشر
الشرطة فى خدمة الشعب

١ – بتاح حتب حكيم الأسرة الخامسة ترك مجموعة من النصائح والارشادات اعتز بها المصريون فى كل عصورهم .

المراجع

ALBRIGHT, W.F. "An Indirect Synchronism between Egypt and Mesopotamia, Circa 1730 B.C." Journal of the American Schools of Oriental Research, No.99 (October,1945)PP.9.18.

ALDRED,C. "The Horizon of the Aten". JEA 62 (1976) 184.

ALT,A. "Die Herkunft der Hyksos in neuem Licht",Sachs. AK. wiss 101, 6, 1954.

ANTHES, R., Die Maat des Echnaton von Amarna, Supplement to to the American Oriental Society 14 Baltimsre,1952.

BALL, J., Contribution to the Geography of Egypt,(Survey and Mines Department),Cairo.

- Egypt in the Classical Geographers(Survey of Egypt),Cairo 1924.

BARGUET,P."Le pharaon Aménophis IV Akhénaton et l'exaltation du pouvoir royal" In Mélanges d'Histoire André Fugier (1968). PP 31-34.

BAUMGAERTEL, E.J. The Cultures of Prehistoric Egypt Cxford, 1947.

BECKERATH,J.V. Tanis und Theben.

BISSON de la ROQUE,F.,Tod(Fouilles de l'Institut Francais, Vol.17).Cairo 1937.

BLANKENBERG-VAN DELDEN,C."More large commemorative acarabs of Amenophis III." JEA 62(1976)74-80. 2 plates.

BOVIER. LAPIERRE, P., "L'Egypte Préhistorique",Précis de l'histpore d'Egypte,T.I,Cairo 1932.

BRANTON,G.,BUttons and Design Scarabs, London 1925.

BREASTED J.H.,A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest, 2nd edition, 1927.

BREASTED J.H., Ancient Records.(=BAR), 1906.

BRUNNER, Die Texte aus den Grabern der Herakleopolitenzeit von Siut (Aegyytolog. Forsch.),1937.

BRUNNER, H. Die Anlagen der Aegyptischen Felsgraber bis zum mittleren Reich, 1936.

BRUNTON,G. and CATON.THOMPSON G, The Badarian Civilization and Predynastic Remains near Badari, London, 1928.

BRUNTON,G.,Lahun I: The Treasure, London 1920.

BRUNTON,G., Qau and Badari, 2 Vols.London 1927,1928.

BUCK,A. De,"The Instruction of Amenemmes",Mélanges Maspero 1,pp.847-852,Cairo,1935.

BUNNER,H.Die Texte aus den Gräbern der Herakleopolitenzeit von Siut,1927.

CHÉLU, A. Le Nil, le Soudan,l'Égypte. Paris,Chaix 1891. 507 pp. Illus. Maps.

CLERE,J.J. "Un monument de la religion populaire de l'Époque Ramesside." RdE 27 (1975) 70-77.1 plate.

DECKER,W."Ein Amarnablock mit sportlichem Motiv." Göttinger Miszellen 20 (1976) 9-16. 1 fig.

DEWACHTER,M. "Contribution a l'histoire de la cachette royale de Deir el-Bahari." BSFE 74 (Oct 1976) 19-32. 2 figs. 2 illus.

DRIATAN (E.) & Vandier (J.): Les peuples de L'Orient . Mediterranéen, Tome II,L'Egypte 1938.

EDGERTAN (W.F.) "The Strikes in Ramsses III's period" in J.N.E.S., Vol.x,1951.

EDWARDS, I.E.S. "Something which Herodotus may have seen." RdE 27 (1975) 117-124. 1 plate.

ENGBERG, R.M.,"The Hyksos Reconsidered" Sudies in Ancient Oriental Civilization,18,Chicago 1939.

ERMAN,A.Die Literatur der Aegypter, Leipzig 1923 (=The Literature of the Ancient Egyptians - translated by A Blackman).

ERMAN (A.) Ranke (H.) Aegypten und egyptisches Leben im altertum, Tubingen 1923.

EVERS,H.G, Staat aus dem Stein, 2 Vols,1929.

EYRE, C."An Egyptianism in the Amarna letters." JEA 62 (1976) 183-184.

GARDINER (Sir Alan) Egypt of the pharoahs, Oxford 1961.

GUILLEMETTE Audrèu,Sobek camparé à un policier, Livre du Centenaire 1880-1986,IFAO,Le Caire 1980.
Enquête sur la police dans L'Égypte pharaonique (1978). (Thèse de doctorat).

HARI,R."La Grande-en-Magie et la stèle du temple de ptah à Karnak." JEA 62 (1976) 100-107. 2 plates.

HELCK,W.and WESTENDORF,W.,ed Lexikon der Ägyptologie, Band II,Lieferung 4 (Lieferung 12).

Wiesbaden, Harrassowitz 1976. 80 pp. Figs. "Gefährdungsbewusstsein"(conclusion)-(Götter, Begriffs-" (part).

HOLSCHER, W., Libyer und Aegypter, 1937.

HUME, W.F., Geology of Egypt (Survey of Egypt) 2 vols Cairo, 1925. 1935.

HUZAYYIN, S.A.,The place of Egypt in Prehistory (Mémotres présentés a l'institut d'Egypte, XLIII), Cairo 1941.

JANSSEN, J.J."The economic system of a single village".
Royal Anthropological Institute News (RAIN) 15 (August 1976) 17-19. Cf no 436.

KADRY, AHMED.
Officers and officials in the New Kingdom.
Budapest 1982.

KEES, H. Das Alte Aegypten,Eine Kleine Landeskunde, Berlin 1955.

KEES, H,"Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates" Nachrichten d. Gesell. d.Wissen. Zu Göttingen, 1936.

KEMP, B.J."The city of el-Amarna as a source for the history of urban society". See no 435,pp 60-62.

KEMP,B.J."The Window of Appearance at el-Amarna, and the basic structure of this city". JEA 62 (1976) 81-99. 4 figs.

KRZYŹANIAK,L.(The general development tendencies of societies living on the Nile in the period preceeding plant and animal rearingl. Fontes Archaeologici Posnanienses (Poznań) 25 (1974) 196-204.In polish,English and German summaries.

MARTON,G.T."Captors and prisoners in Horemheb's tomb". Illustrated London News 264, no 6936 (July 1976) 61-62. 6 illus.

MARTIN,G.T."Excavations at he Memphite tomb of Horemheb, 1975: preliminary report". JEA 62 (1976)5-13. 2 figs. 4 plates.

MARTIN,G.T."The New Kingdom necropolis at Saqqara". See no 435,pp 79-81.

MENU,B.(Chronique. Droits de l'Antiquite)."I.Égypte pharaonique". R Historique Droit Francais Étranger 54,no3 (Juillet-Sept 1976) 409-420.

NAVILLE, E., The XIth Dynasty Temple at Deir el-Bahari 3 Vols, London 1907-1913.

NEWBERRY, P.E. Beni Hasan, 4 Vols London, 1893.

NIBBI, A. "Death in the Sinai". Göttinger Miszellen 20 (1976) 31-36.

NIBBI, A. "Remarks on the two stelae from the Wadi Gasus". JEA 62 (1976) 45-56. 1 fig. 2 plates.

PARANT, R. "Recherches sur le droit pénal égyptien. Intention coupable et responsabilité pénale dans l'Égypte du II^e millénaire". See no 437, pp 25-55.

PARKER, R. The Calendars of Ancient Egypt, Chicago, 1950.

PASSARGE, S. Die Urlandschaft Aegyptens, Halle, 1940.

PEET (T.E.) The Great Tomb Robberies of the twentienth egyptian Dynasty, 2 Vols. Oxford 1930.

PIRENNE, J., Histoire des Institutions et du droit privé de l'ancienne Égypte, 3 Vols, Bruxelles, 1932-1934.

POLTSKY, H.J.Zu den Inschriften der II^{ten}Dynastie (Untersuchungen XI) leipzig 1929.

QUIBELL, J.E., Hierakonpolis, 2 Vols 1900,1902. Archaic Mastabas, Cairo 1947.

RZÓSKA,J.ed. The Nile: biology of an ancient river. (Monographiae Biologicae,29).The Hague, Junk 1976. 417 pp.

SAAD,Z.Y.,Royal Excavations at Saqqara and Helwan (1941-1945), Cairo, 1947.

SAUNERON, S., The Priests of Ancient Egypt. London 1960.

SAYED, A.M.A.H."Discovery of the 12th Dynasty port at Wâdi Gawâsîs (Gawasees) on the Red Sea shore. (Preliminary report on the excavations of the University of Alexandria in the Eastern Desert of Egypt-March 1976)". See no 435, pp 105-107. 1 fig.

SCHAEDEL, H.D., Die Listen des grossen Papyrus Harris Leipzig, 1936.

SCHARFF, A."Ein Rechnungsbuch des Könlglichen Hofes aus der 13-Dynastie (Papyrus Boulaq Nr. 18) ZÄS, L VII (1922),pp 51-68.

SCHARFF, A., Grundzuge des aegyptischen Vorgeschichte (Mor genland: Darstellungen aus Geschichte und Kultur des alten Orients, No. 12), Leipzig,1927.

SCHARFF, A. & Moartgat (A.) AEgypten und Vorderasien im Altertum.
I-Scharff:Geschichte aegyptens Vander Vorzeit bis zur Grundung Alexandria.

SCHARFF, A., "Neues Zur Frage des altesten Aegyptisch-Balylonischen Kulturbeziehungen",A.Z., L X X I (1935) pp. 89-106.

SETHE, K., Beiträge sur aeltesten Geschichte Aegyptens (Unter-suchungen III). Leipzig, 1905.

SETHE, K., Die altaegyptischen Pyramidentexte, Leipzig, 1908-1922.

SETHE, K."Einsetzung des Veziers unter der 18. Dynastie", UNTERSUCHUNGEN V, 2, Leipzig, 1902.

SETHE, K., Ubersetzung und Kommentar Zu den altaegyptischen Pyramidentexten.

SETHE, Urk. IV,P. 1085-1093; 1103-1161.

SHAW, B.D."Climate, environment and prehistory in the Sahara". <u>World Archaeology</u> 8, no 2 (Oct 1976) 133-149. 2 figs.

SIMONS, J., Handbook for he study of Egyptian topographical lists, Leieen 1937.

SIMPSON, W.K. "A statuette of a devotee of Seth". <u>JEA</u> 62 (1976) 41-44. 2 plates.

SMITH, P.E.L. "Stone-age man on the Nile". <u>Scientific American</u> 235, no 2 (August 1976). 30-38. 5 figs. 4 illus (1 col).

SMITH, R.W. "The Akhenaten temple project". <u>National Geographic Society Research Reports: 1968</u>.Washington 1976,379-388.3 illus.

SMTH, W.S., A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom, 2nd edition, Boston 1949.

SPIEGEL, J., Das Werden der altaegyptischen Hochkultur Heïdelberg, 1953.

SPIEGEL J.Die Erzählung vom Streit des Horus und Seth, Leipzig (Aegypt.Stud,9), 1737.

THÉODORIDÈS, A., ed. Le droit égyptien ancien. Colloque organisé par l'Institut des Hautes Études de Belgique 18 et 19 mars 1974. (Institut des Hautes Études de Belgique). Bruxelles 1976. 257 pp. Includes nos777, 788, 792, 793,815,836,855,865,991,994,998.

THOMPSON, D.L."The Hartford horseman". CdE 50, nos 99-100 (Jan-Juillet 1975) 321-325. 2 illus.

VALBELLE, D. "Le village de Deir el-Médineh : essai de chronologie schématique". See no 435, pp 131-133.

VANDIER, J., L'ordre de succession des derniers rois de la XI dynastie, Studia Aegyptiaca I, pp. 30-47, Rome 1938.

VANDIER, J, Manuel d'Archéologie Egyptienne, T.I, II (Paris, 1952-1955.

VOGELSANG, F., and GARDINER, A.H. Die Klagen des Bauern (Hieratische Papyrus aus den Königliche Museen Zu Berlin, IV, Literarische Texte des Mittleren Reiches, 1) Leipzig, 1908.

WAFAA el-SADEEK, Twenty-Sixth Dynasty, Necropolis at Gizeh, BEITRÄGE ZUR ÄGYPTOLOGIE, BAND 5, WIEN, 1984.

WEILL, R."Les successeurs de la XII.Dynastie à Medamoud". Revue ds l'Egypte ancienne, II (1929),pp. 144-171.
-"Complements pour La Fin du Moyen Empire Egyptien". BIFAO,XXXII(1932),pp 7-52.

WELSON,J.:The Burden of Egypt, Chicago 1951.

WENDORF,F.and SCHILD,R. with section by Bahay ISSAWI. Prehistory of the Nile Valley. (Studies in Archaeology,consulting ed Stuart Struever). New York, San Francisco and London, Academic Press 1976.xxiv+404 pp. Numerous figs, illus, tables.
Also nos 528, 529, 585, 682.

WIESNER,Fahren und Reiten in Alteuropa und im alten Orient (Alte Orient,Bd. 38,2-4) Leipzig, 1939.

[INLOCK,H.E.,Excavations at Deir el Bahri, 1911-1931. New York, 1942.

INLOCK, H.E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom in. Thebes, New York, 1947.

WINLOCK, H., The Treasure of el-Lahun,
New York, 1934.

الصـــــــور

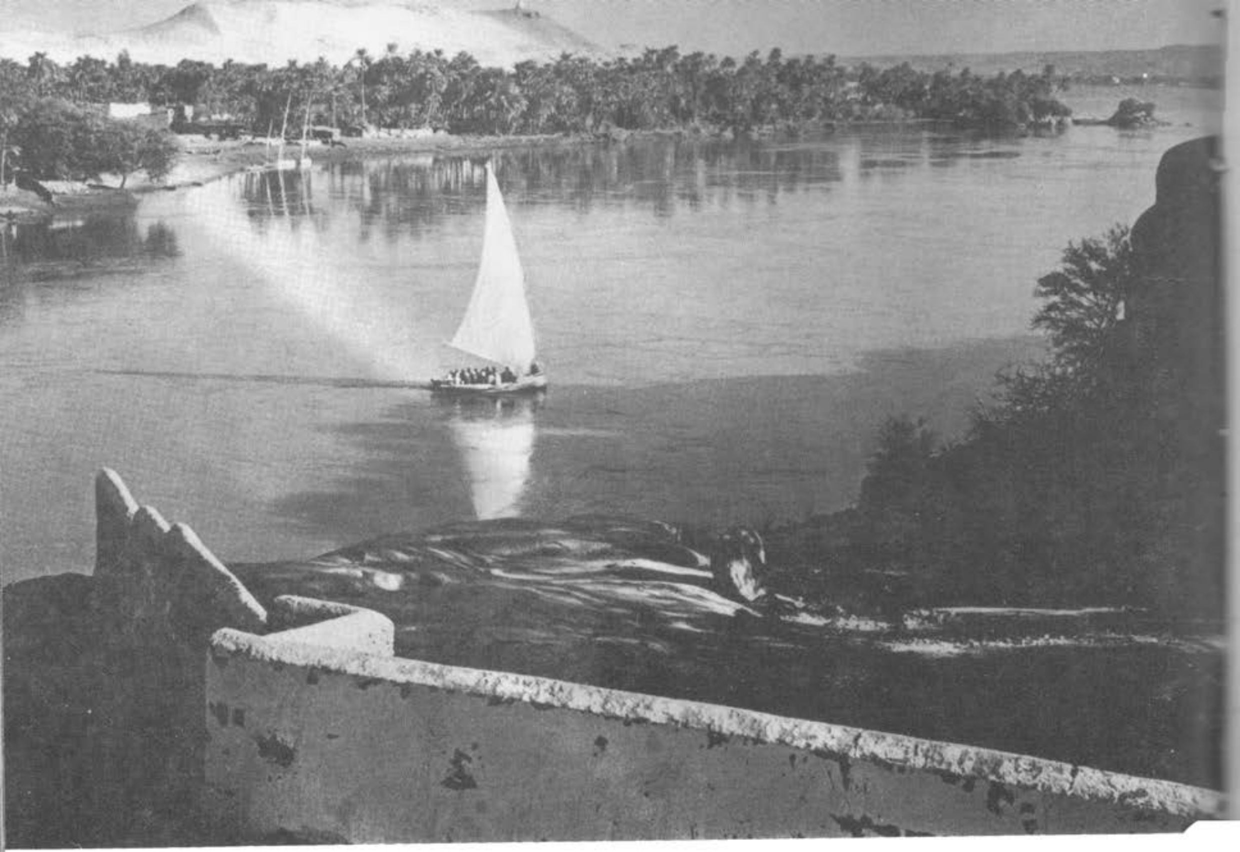

صورة ١
النيل صانع الحياة على أرض مصر .

[صورة ٢]
نيل الدلتا ونيل الصعيد يربطان نبات البردى واللوتس رمزاً لوحدة الصعيد والدلتا – معبد أبو سنبل الكبير بالنوبة – الأسرة التاسعة عشرة .

[صورة ٣]
قدَّم النيل للأمن الداخلى عنصراً من أهم عناصره ، وهو تسهيل المواصلات بين أنحاء البلاد .

← [صورة ٤ ، ٥] →

لوح الملك نعرمر (مينا).

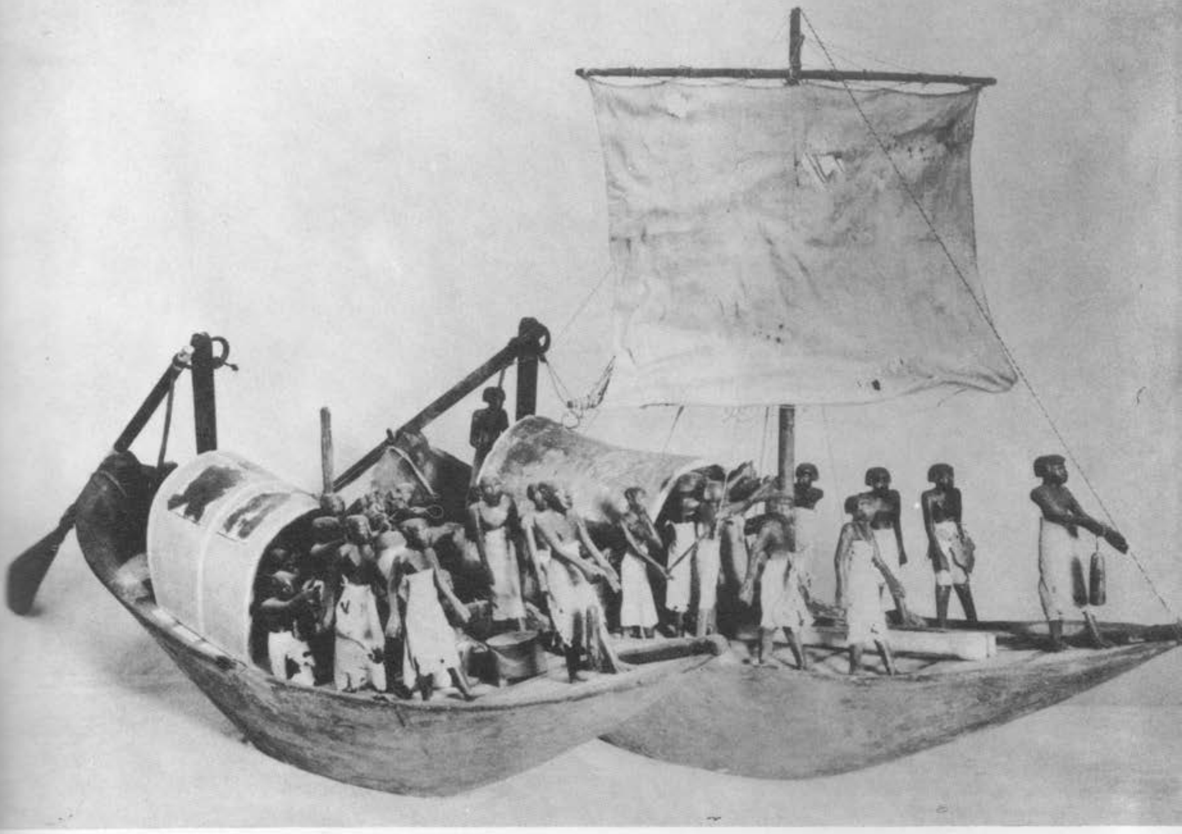

→ [صورة ٦]

نماذج لمراكب نيلية عثر عليها فى مقبرة «مكث رع» بالدير البحرى – البر الغربى بالأقصر حالياً بالمتحف المصرى – الأسرة الحادية عشرة .

[صورة ٧]
تمثال للاله أوزيريس – الراعى الحكيم الذى ما كاد يجلس على العرش حتى حرر الناس من حياة الهمجية وعلمهم الزراعة وشرع لهم القوانين ، وحثهم على التقوى ، ثم أصبح ملك العالم الآخر يحاكم أمامه المتوفى ليدخل الجنة .

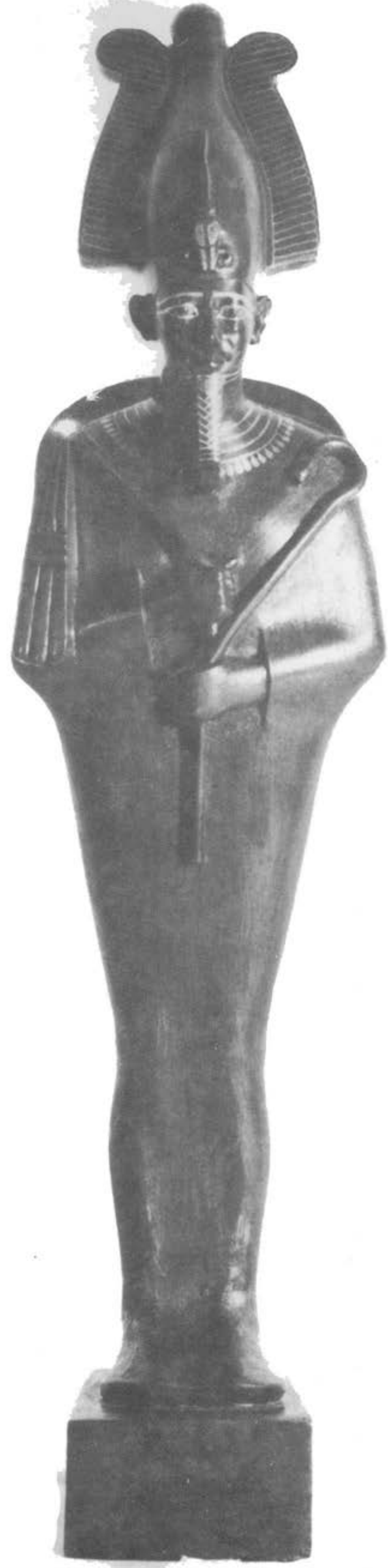

[صورة ٨]
الاله حورس على هيئة انسان برأس صقر – معبد أبو سنبل الصغير بالنوبة – الأسرة التاسعة عشرة .

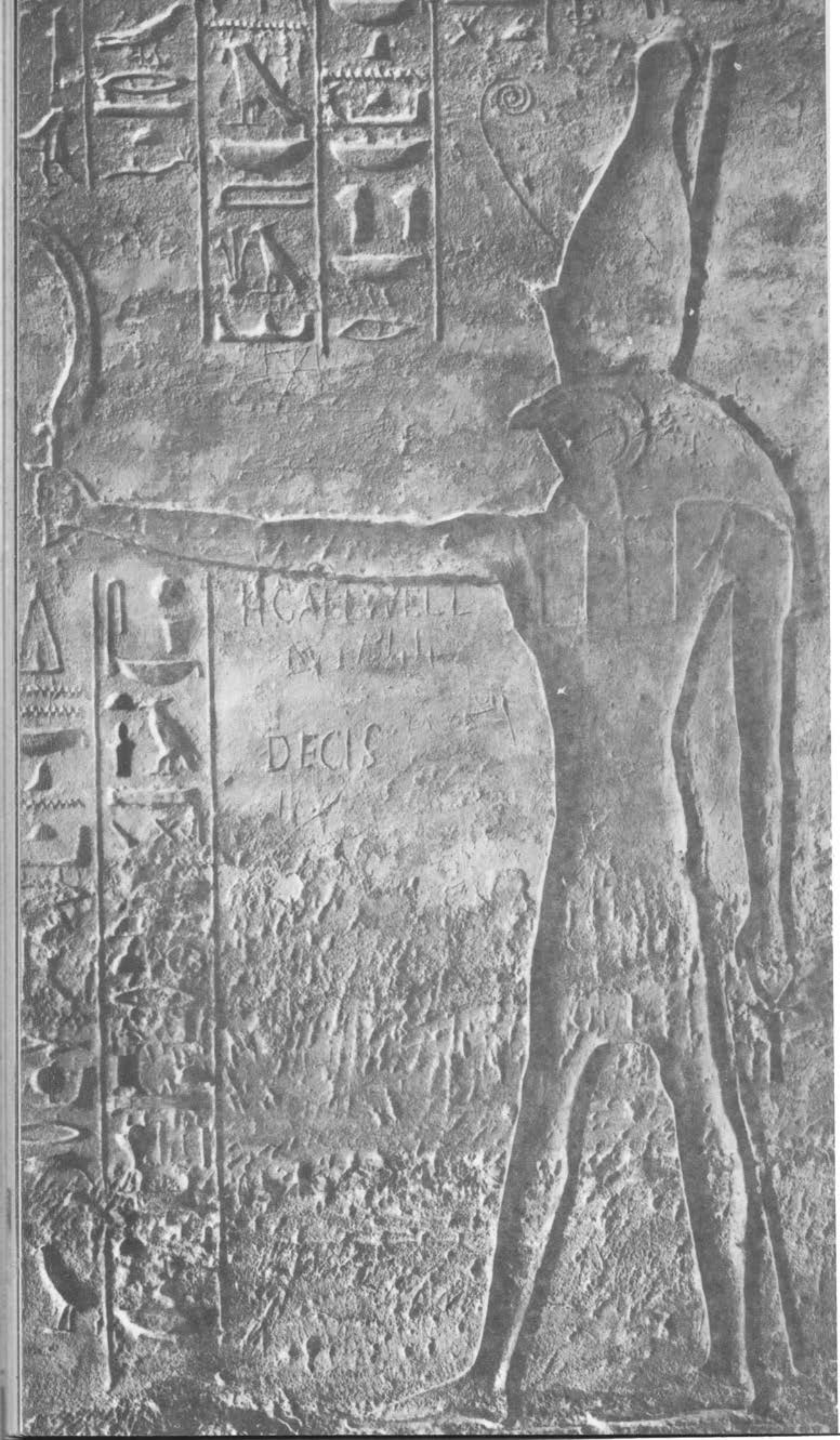
DECIS

[صورة ٩]
أهرام الجيزة الثلاثة : من يمين الصورة إلى يسارها ، هرم خوفو (الهرم الأكبر)ثم هرم خفرع (الهرم الثانى) ، ثم هرم منكاورع (الهرم الثالث) .

[صورة ١٠]
الاتحاد الالهى للملكة «موت ام ويا» (زوجة الملك تحتمس الرابع) مع الاله آمون لانجاب الملك أمنحتب الثالث كما صوًر على جدران معبد الأقصر .

[صورة ١١]
محاكمة الموتى يرؤسها الاله أوزيريس وقد نصب ميزان القلب ، وفوق هذا يجلس القضاه الاثنان والاربعون .

[صورة ١٢]
الالهة ماعت إبنة الاله رع ، رمز الحق والعدالة والنظام فى مصر القديمة – من مقبرة الملكة نفرتارى بوادى الملكات بالأقصر – الأسرة التاسعة عشرة .

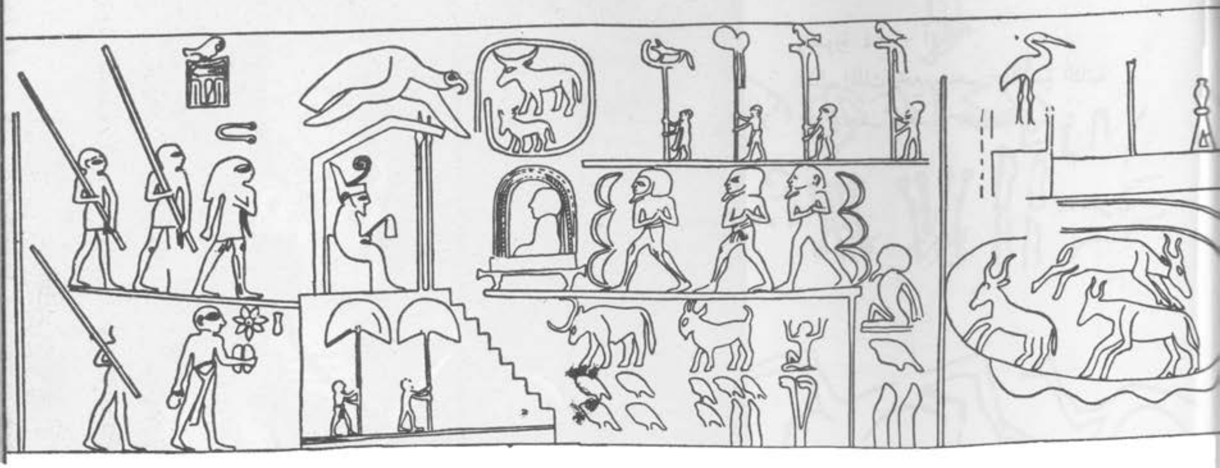

[صورة ١٣]
الملك نعرمر يحتفل بعيده الثلاثينى (الحب سد) لاعتلائه العرش ، ومن خلفه نرى جنود حراسة يحملون العصى ، وأمامه صف من الاعداء المكبلة أيديهم من أمام ومن خلف – متحف الاشموليان .

[صورة ١٤ – أ]
تمثال الملك خع سخم – الأسرة الثانية
– المتحف المصرى .

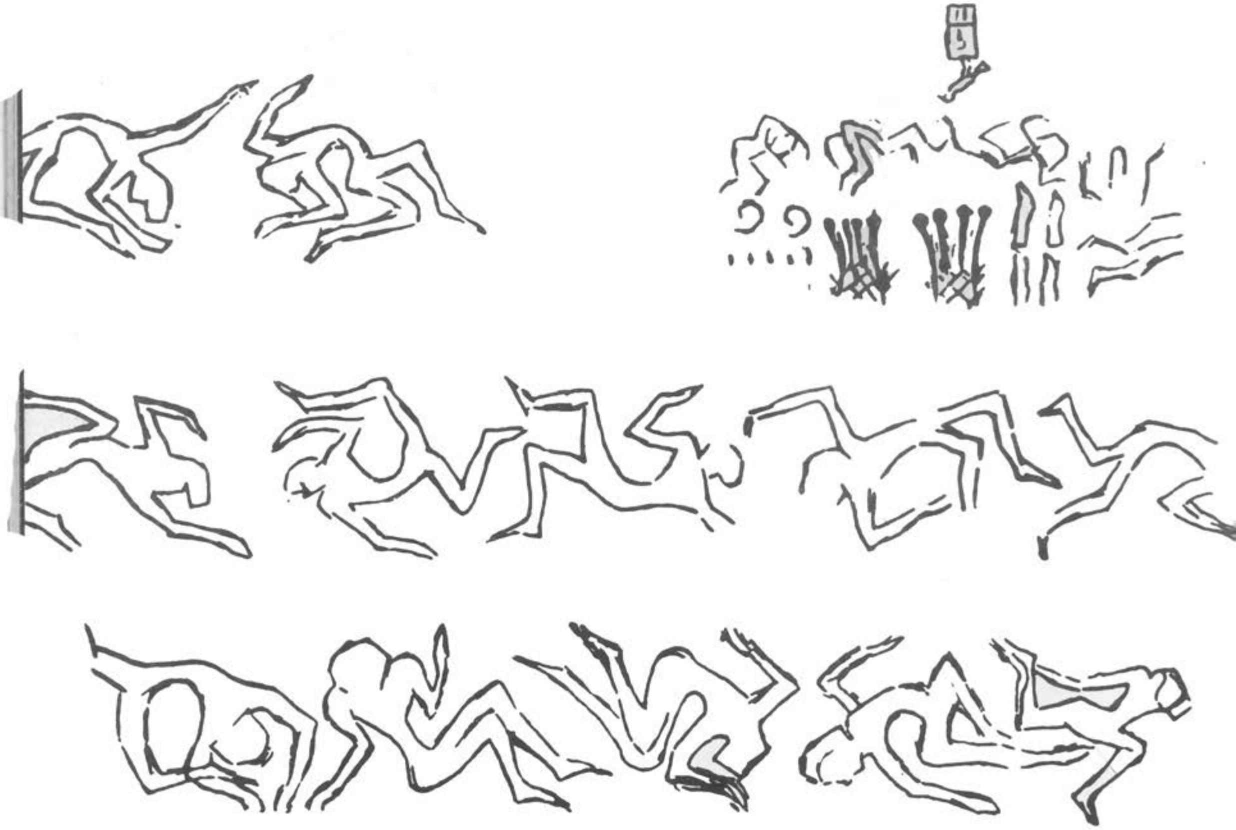

[صورة ١٤ – ب]

رسوم على قاعدة تمثال الملك خع سخم تبين مصرع الأعداء .

[صورة ١٥]
نقش رمزى لانتصار الملك دن (أديمو) وتأمين البلاد – الأسرة الأولى .

[صورة ١٦]
تمثال الملك زوسر صاحب الهرم المدرج بصقارة – الأسرة الثالثة – المتحف المصرى .

[صورة ١٧]
هرم الملك زوسر المدرج بسقارة – الأسرة الثالثة .

[صورة ١٨]
تمثال الملك خفرع بانى الهرم الثانى بالجيزة – وخلف رأسه الاله حورس ←
على هيئة الصقر يحميه – الأسرة الرابعة – المتحف المصرى .

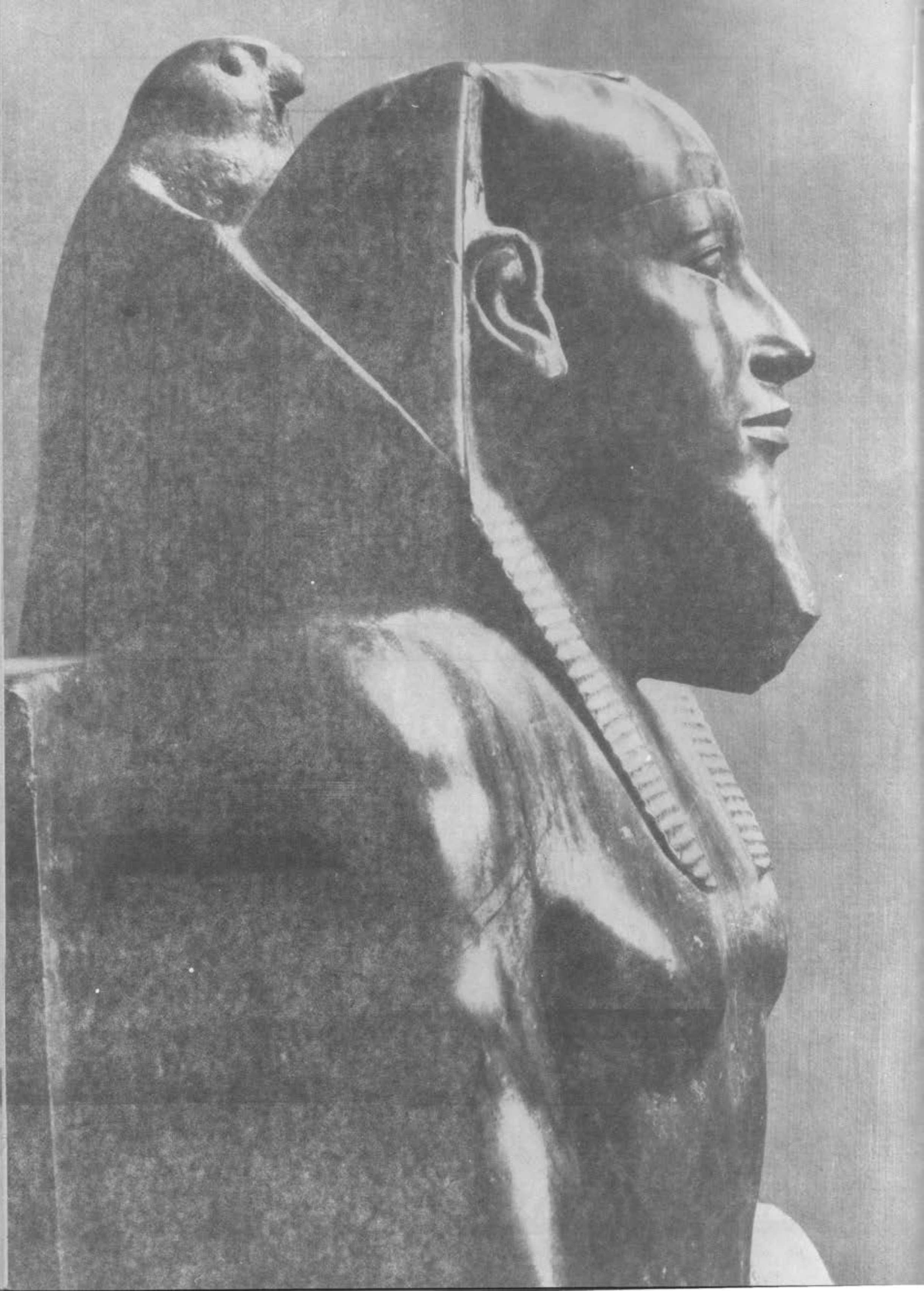

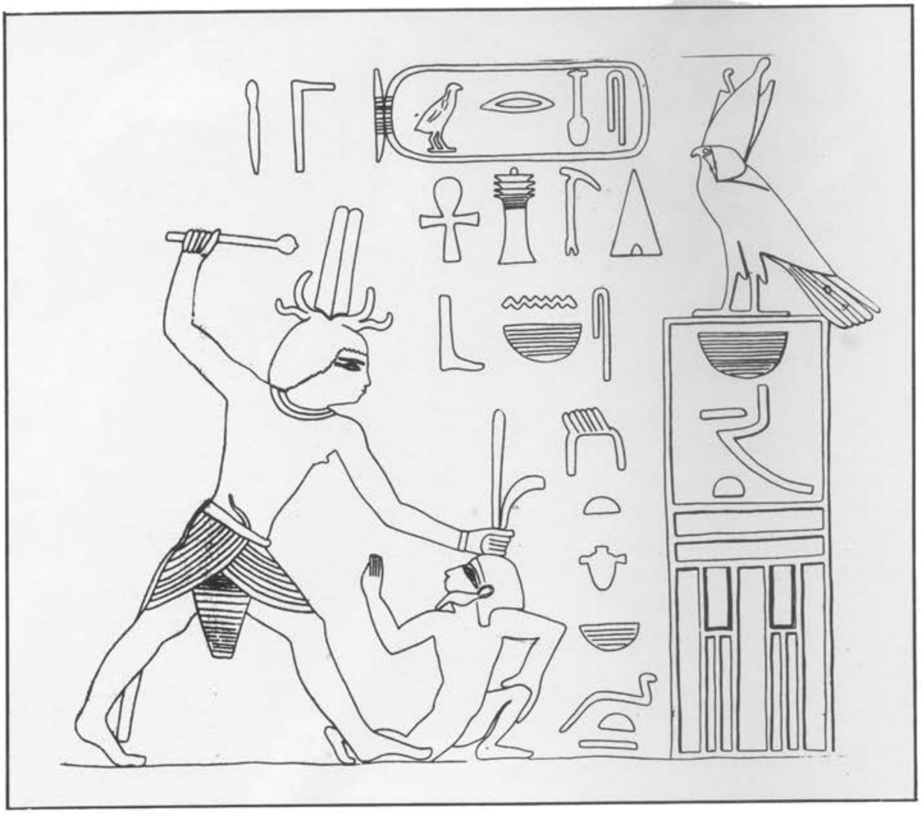

[صورة ١٩]
الملك سنفرو يضرب أحد الآسيويين المعتدين على أمن مصر – لوحة فى شبه جزيرة سيناء – الأسرة الرابعة .

[صورة ٢٠]
فرقة من جنود حراسة حدود مصر – الأسرة الخامسة – معبد ساحور ع
بأبو صير .

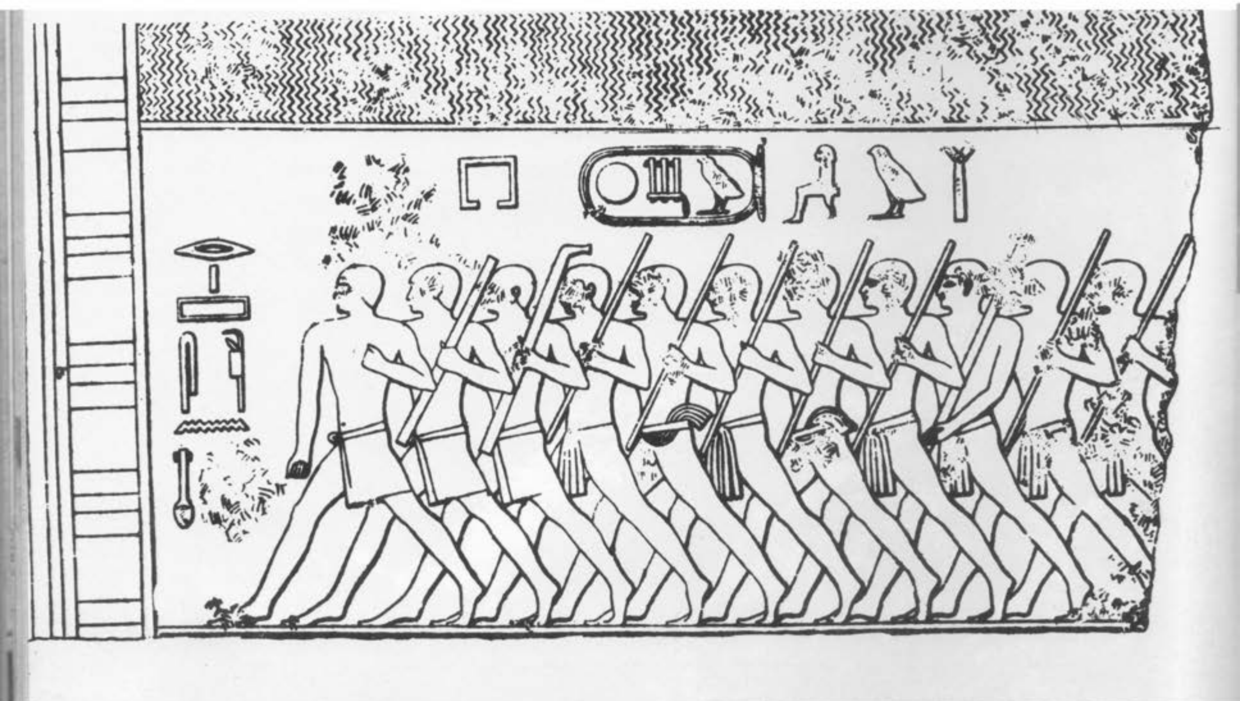

[صورة ٢٢]
لوح لجندين صديقين أمسك أحدهما قوساً ضخماً ، وأمسك الآخر قوساً صغيراً ، وظهر فى استقبالهما إلى اليسار صديقان آخران – عصر الاضمحلال الأول – متحف تورين .

[صورة ٢١]
تمثال الملك بيبى الأول مصنوع من النحاس – الأسرة السادسة – المتحف المصرى .

[صورة ٢٣]
قام الملك منتوحتب الثانى بنشر الأمن والطمأنينة على الحدود ، وهنا يقوم بضرب أحد الأعداء المعتدين على الحدود الغربية – الأسرة الحادية عشرة – لوحة محفوظة بالمتحف المصرى .

[صورة ٢٤]
نموذج لسرية شرطة تتكون من أربعين جندياً نوبياً مصنوع من الخشب – الأسرة الحادية عشرة – من مقبرة مسحتى بأسيوط – حالياً بالمتحف المصرى .

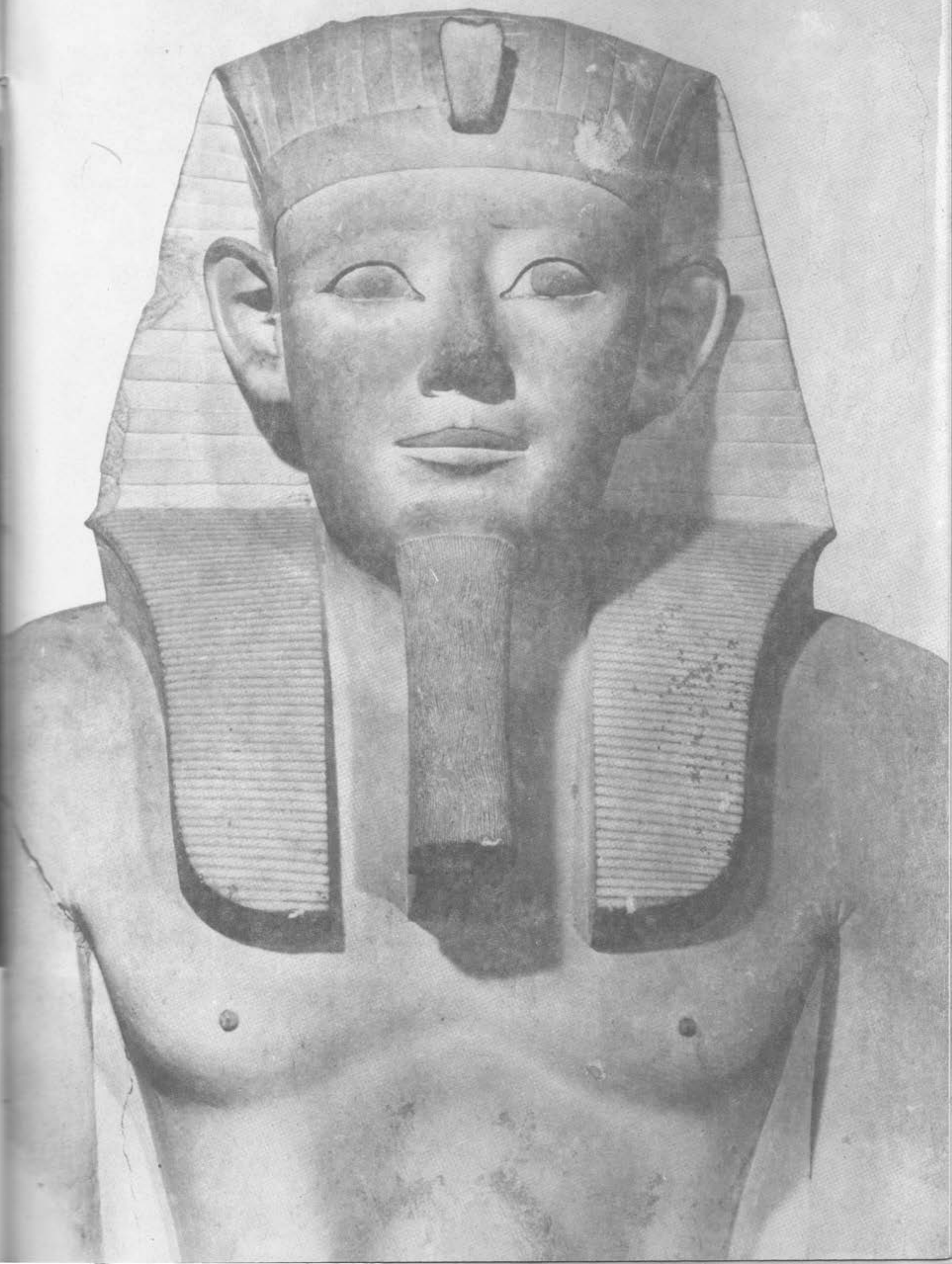

[صوره ٢١]
تمثال للملك سنوسرت الثالث – الأسرة الثانية عشرة – حالياً بواشنطن .

→ [صورة ٢٥]
الملك سنوسرت الأول – الأسرة الثانية عشرة – المتحف المصرى .

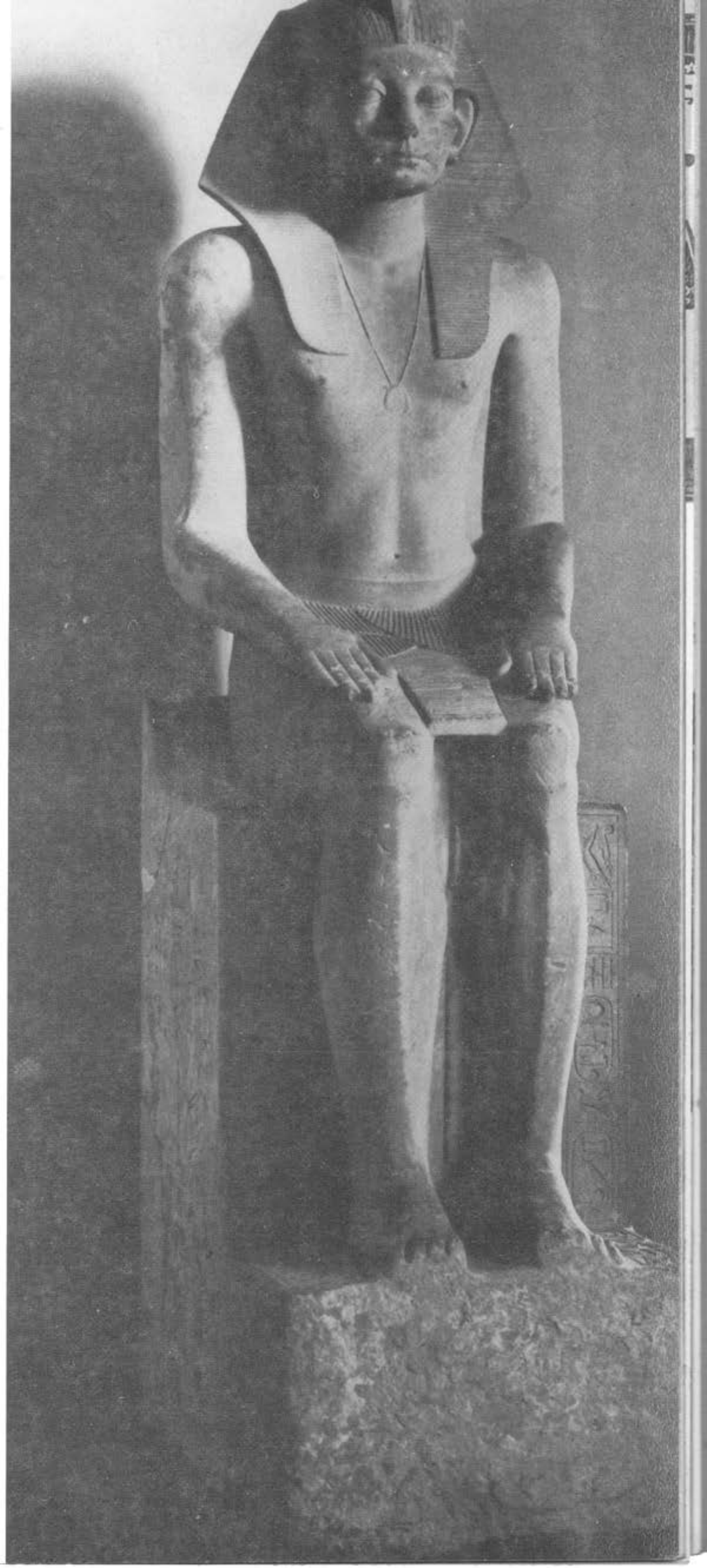

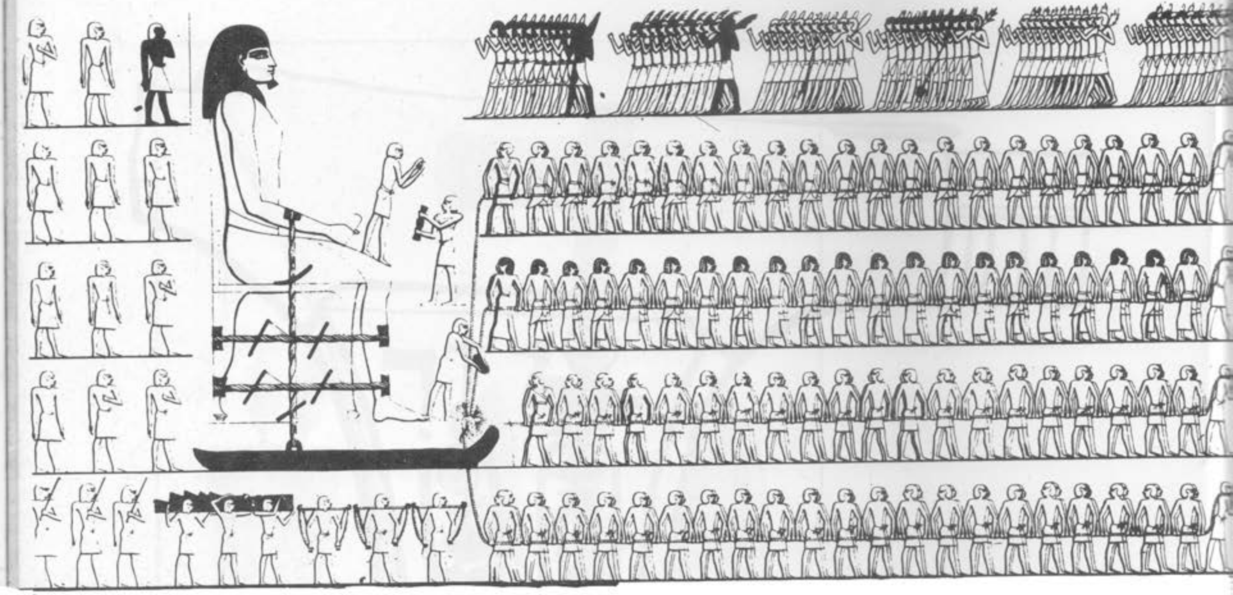

[صورة ٢٨]
نقل تمثال الحاكم «تحوتى حتب» ويلاحظ وجود سبعة صفوف من الجنود فى الصف العلوى يشرفون على عملية النقل – رسم فى مقبرته بالبرشا بأسيوط – الأسرة الثانية عشرة .

[صورة ٢٧]
→ تمثال الملك امنمحات الثالث – الأسرة الثانية عشرة – المتحف المصرى .

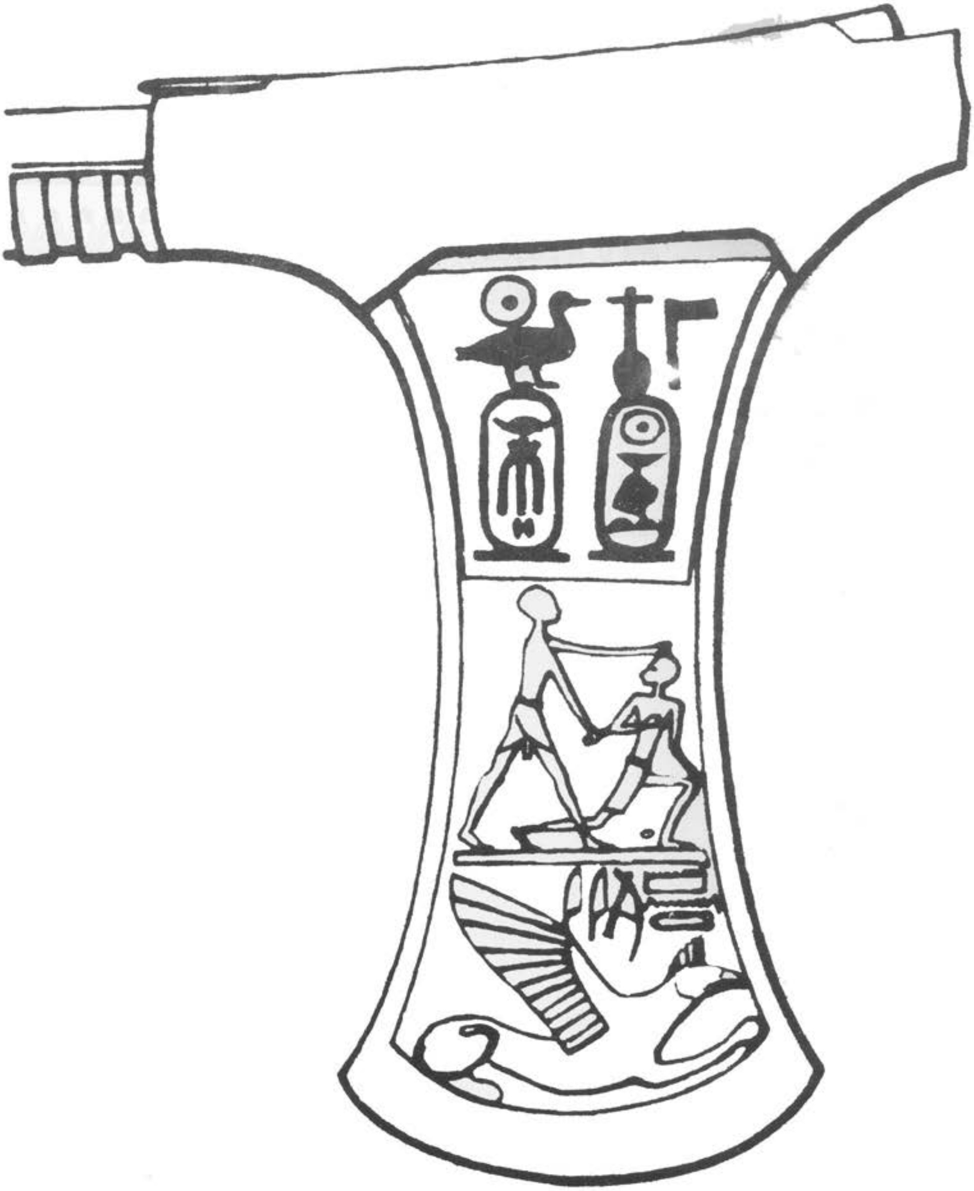

[صورة ٢٩]
بلطة الملك أحمس محرر مصر من الهكسوس – الأسرة السابعة عشرة – المتحف المصرى .

[صورة ٣٠]
أنواع من الأسلحة التى أُستُخدِمت فى الدولة الحديثة .

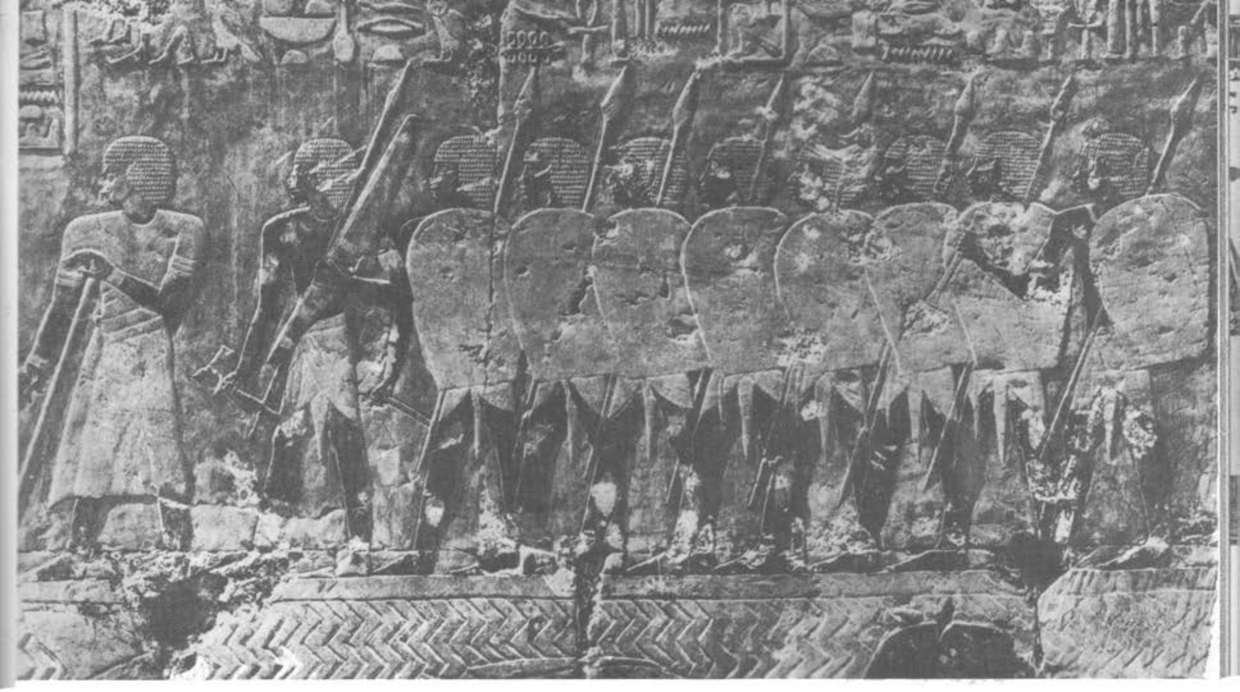

[صورة ٣١]
بعثة شرف من الجنود المصريين للملكة حتشبسوت لبلاد بونت – معبد الدير البحرى – البر الغربى بالأقصر – الأسرة الثامنة عشرة .

[صورة ٣٢]
تمثال الملك تحتمس الثالث – المتحف المصرى .

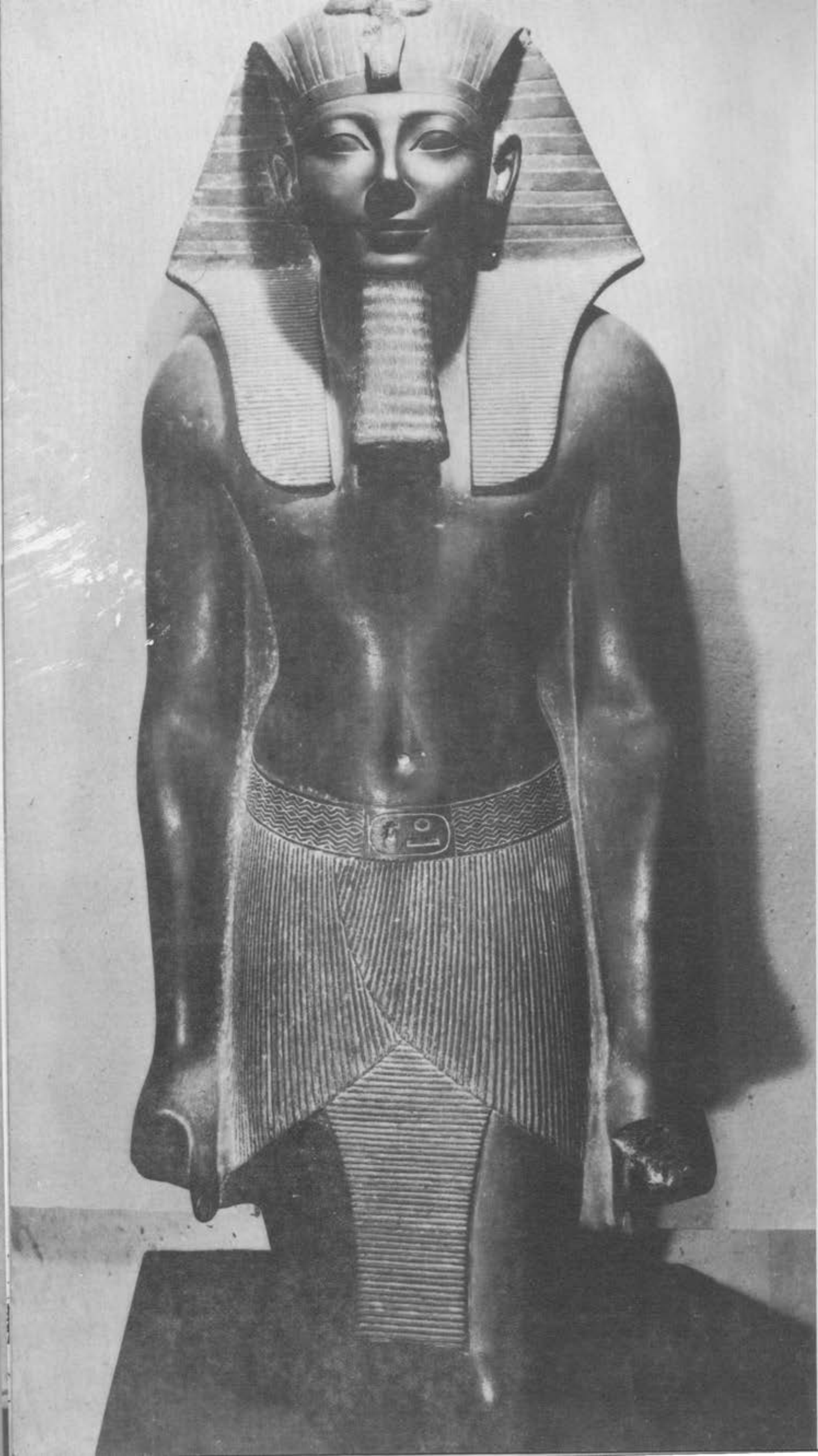

→ [صورة ٣٣]

تمثال للملك اخناتون من الحجر الجيرى – الأسرة الثامنة عشرة – متحف اللوفر بباريس .

[صورة ٣٥]
مقبرة الملك توت عنخ آمون أثناء اكتشافها عام ١٩٢٢ فى وادى الملوك
بالبر الغربى بالأقصر – الأسرة الثامنة عشرة .

[صورة ٣٤]
→ تمثال للملك توت عنخ آمون – المتحف المصرى .

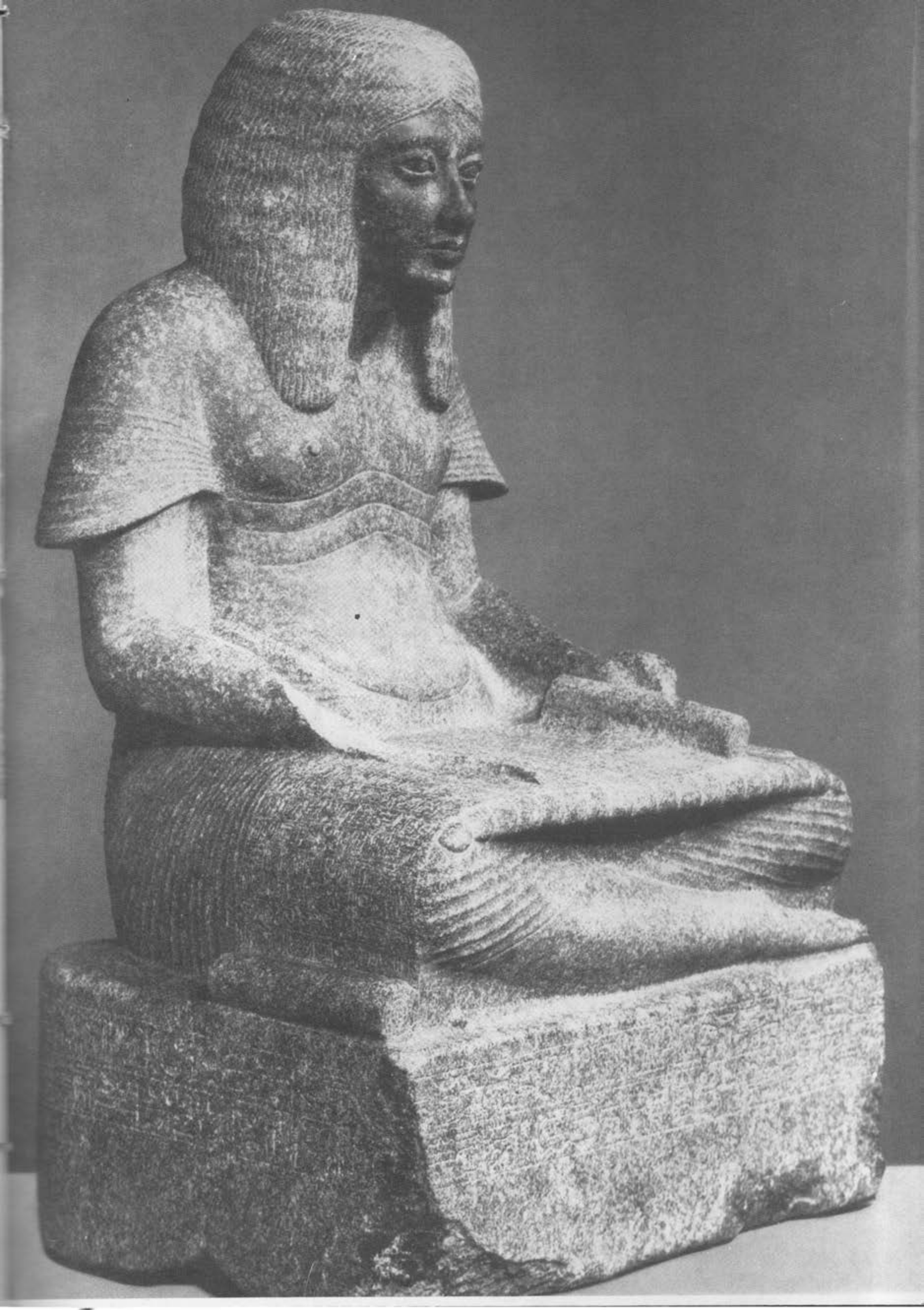

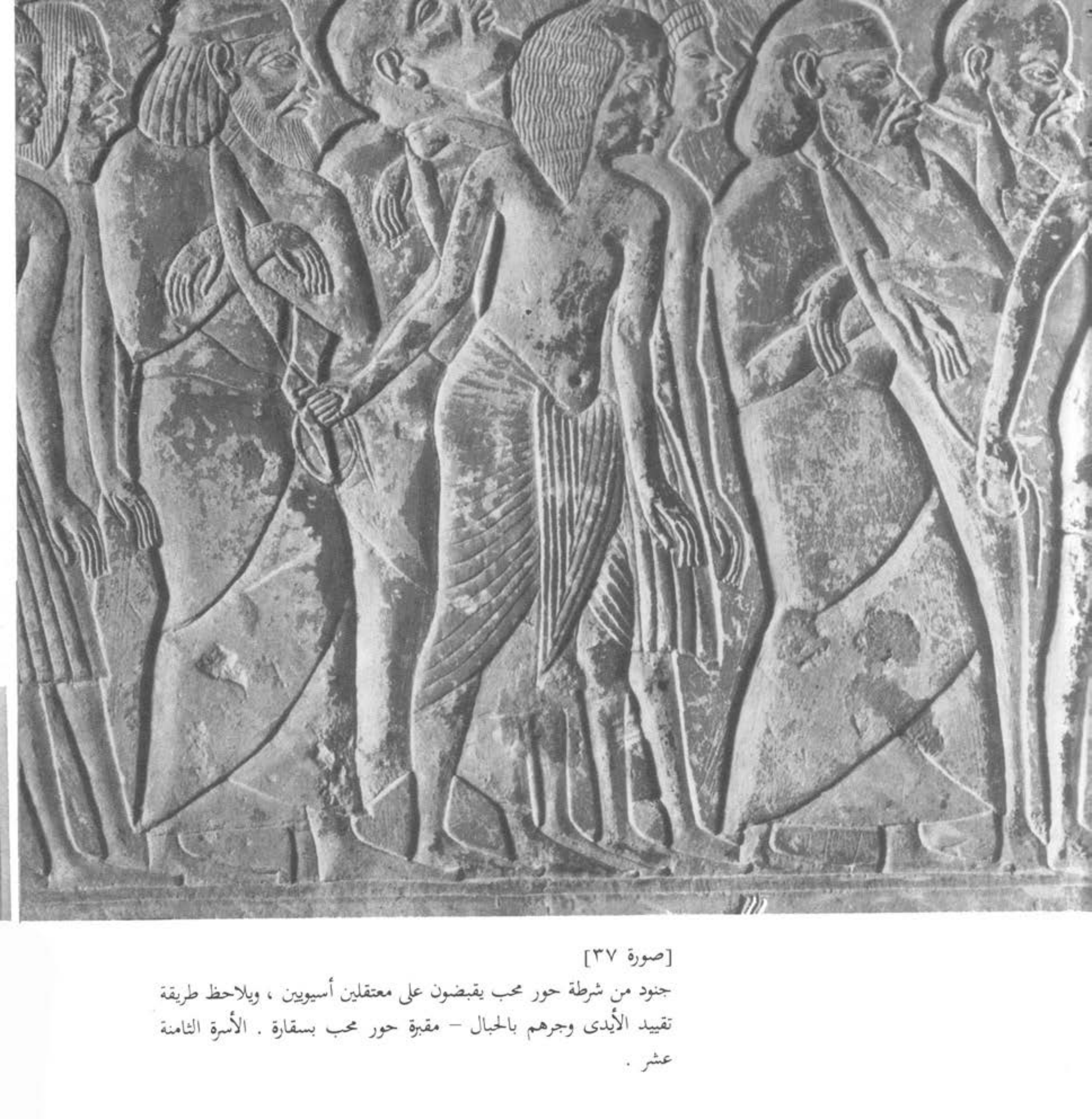

[صورة ٣٧]

جنود من شرطة حور محب يقبضون على معتقلين أسيويين ، ويلاحظ طريقة تقييد الأيدى وجرهم بالحبال - مقبرة حور محب بسقارة . الأسرة الثامنة عشر .

← [صورة ٣٦]

تمثال لحور محب على هيئة الكاتب - حاليا بمتحف المترو بوليتان بنيويورك .

[صورة ٣٨]
الملك سيتى الأول يبخر ويصب الماء الطهور على زهور اللوتس أمام الاله سكر – الأسرة التاسعة عشرة – معبد سيتى الأول بأبيدوس .

[صورة ٣٩]

فرق من الشرطة المحلية تسير فى صفوف منتظمة ، وتحمل الدروع والرماح — مقبرة مسحتى بأسيوط .

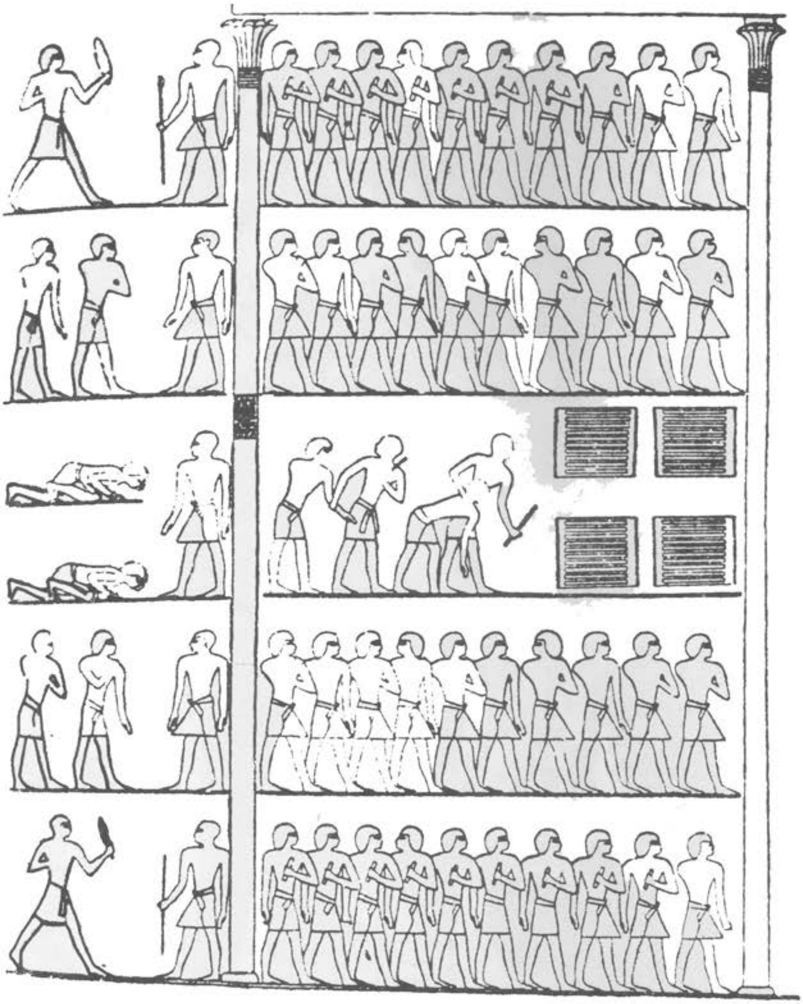

[صورة ٤٠]
قاعة المحكمة حيث نرى عظماء مصر العليا فى اربعة صفوف وفى الوسط أربعون ملفا للقوانين ، فى حين أن عساكر الشرطة يحضرون المتهمين خلفهم – مقبرة رخميرع – البر الغربى بالأقصر – الأسرة الثامنة عشرة .

[صورة ٤١]

«ماحو» قائد الشرطة فى عهد اخناتون يشرف على امدادات الشرطة .

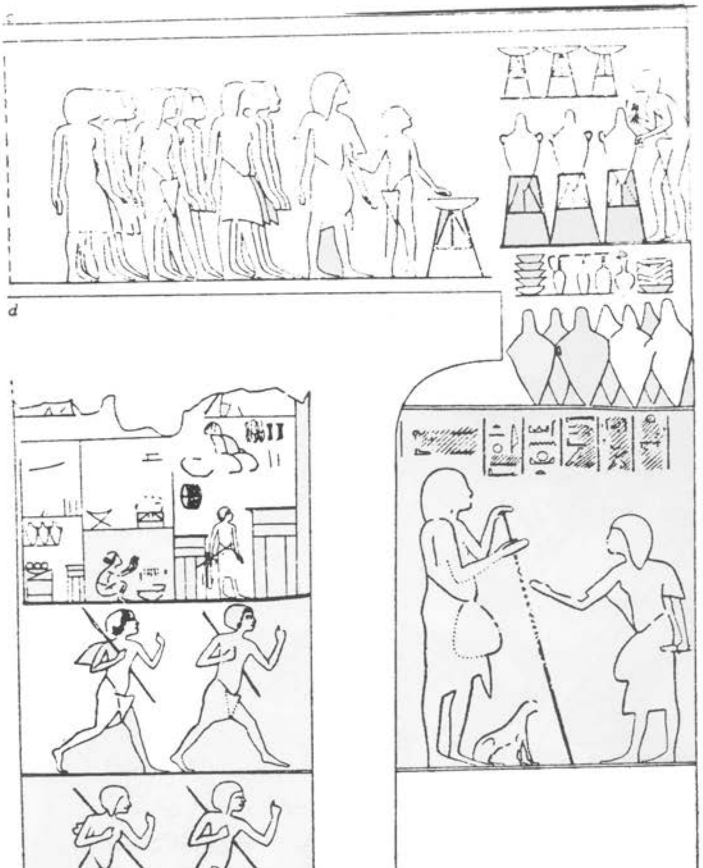

[صورة ٤٢]
تمثال من الخشب الملون لشرطى من الخيالة – الأسرة الثامنة عشرة –
متحف المتروبوليتان – نيويورك .

[صورة ٤٣]

جنود شرطة من النوبيين يسيرون فى صف منتظم ويحمل أحدهم لواء ، شارته رجلان يتصارعان . مقبرة ثانونى بالبر الغربى بالأقصر - الأسرة الثامنة عشرة .

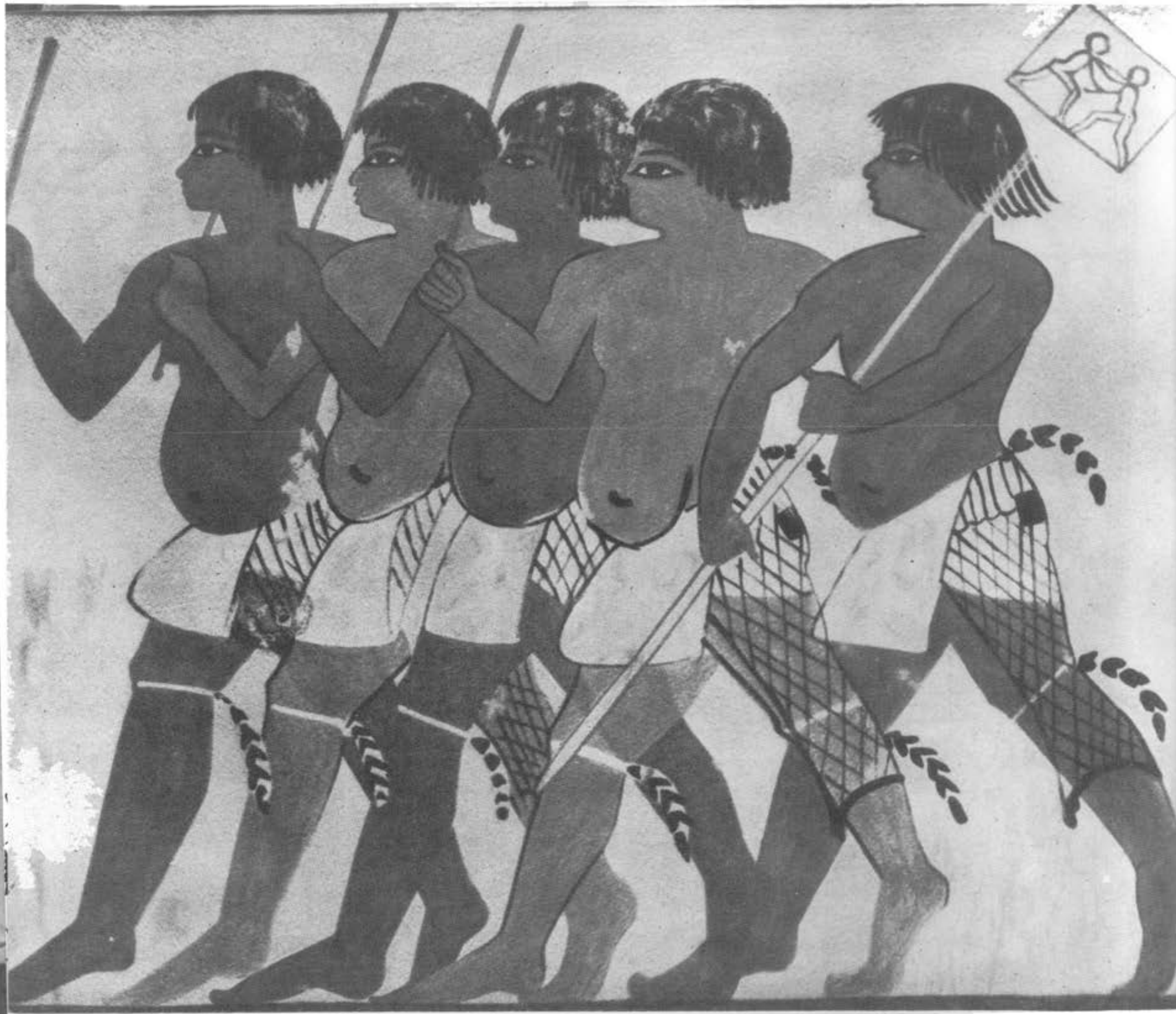

[صورة ٤٤]
«ماحو» رئيس الشرطة فى تل العمارنة يشرف بنفسه على احضار مواد الطعام لجنوده .

[صورة ٤٥]

النبيل «نب آمون» يتقلد مراسيم وظيفته كرئيس للشرطة أمام جنوده الذين سيكونون تحت قيادته – منظر من مقبرته بطيبة الغربية – الأسرة الثامنة عشرة .

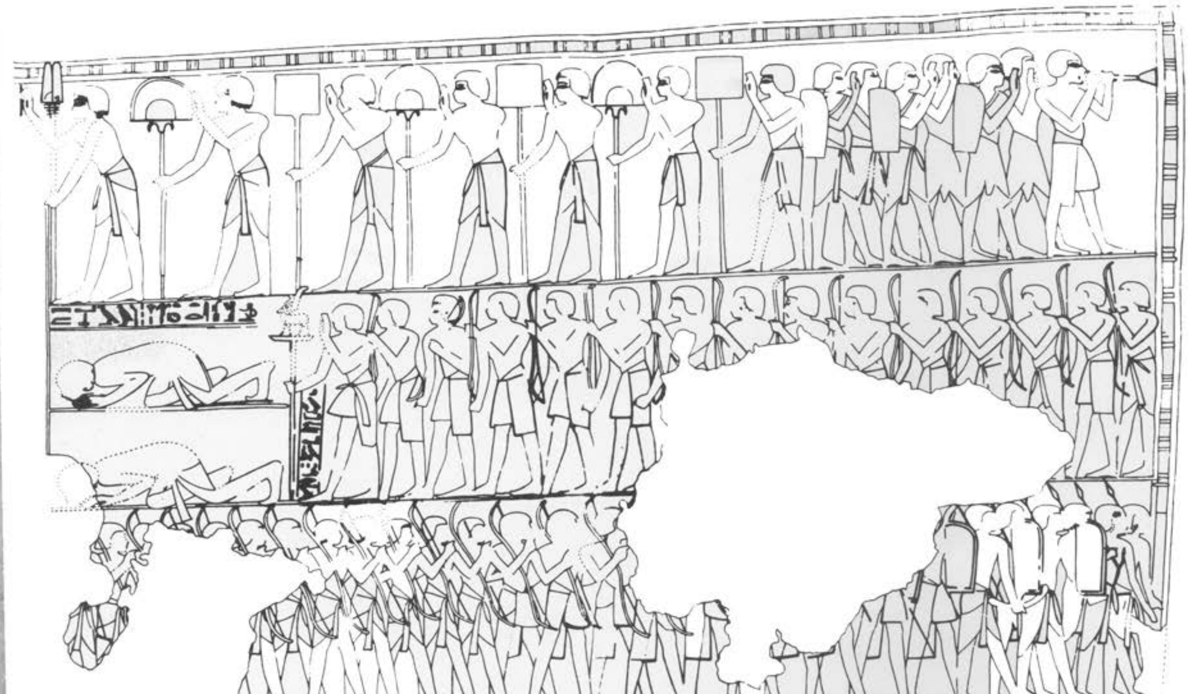

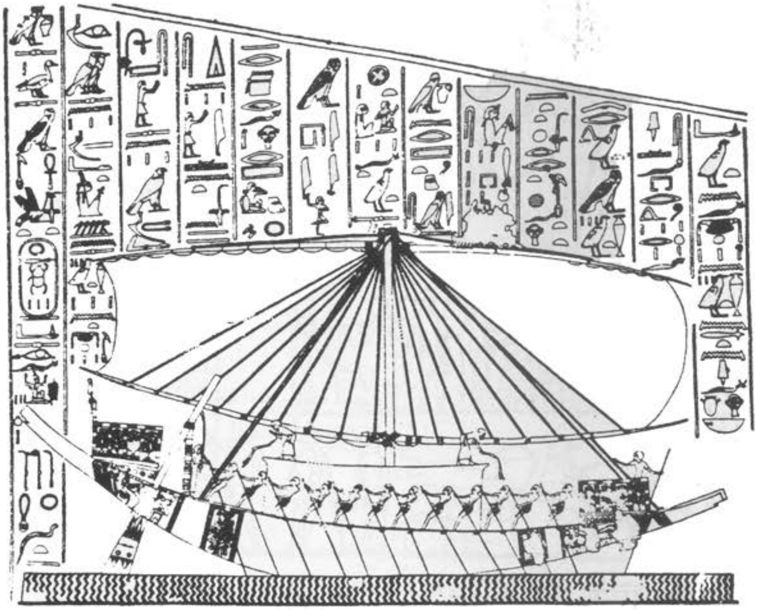

[صورة ٤٦]
نقش لسفينة ضخمة من مقبرة رخميرع بالبر الغربى بالأقصر – الأسرة الثامنة عشرة .

[صورة ٤٧]
الحكيم امنحتب بن حابو فى شبابه – كاتب رفع إلى مصاف الآلهة – من عصر الملك امنحتب الثالث – المتحف المصرى . ←

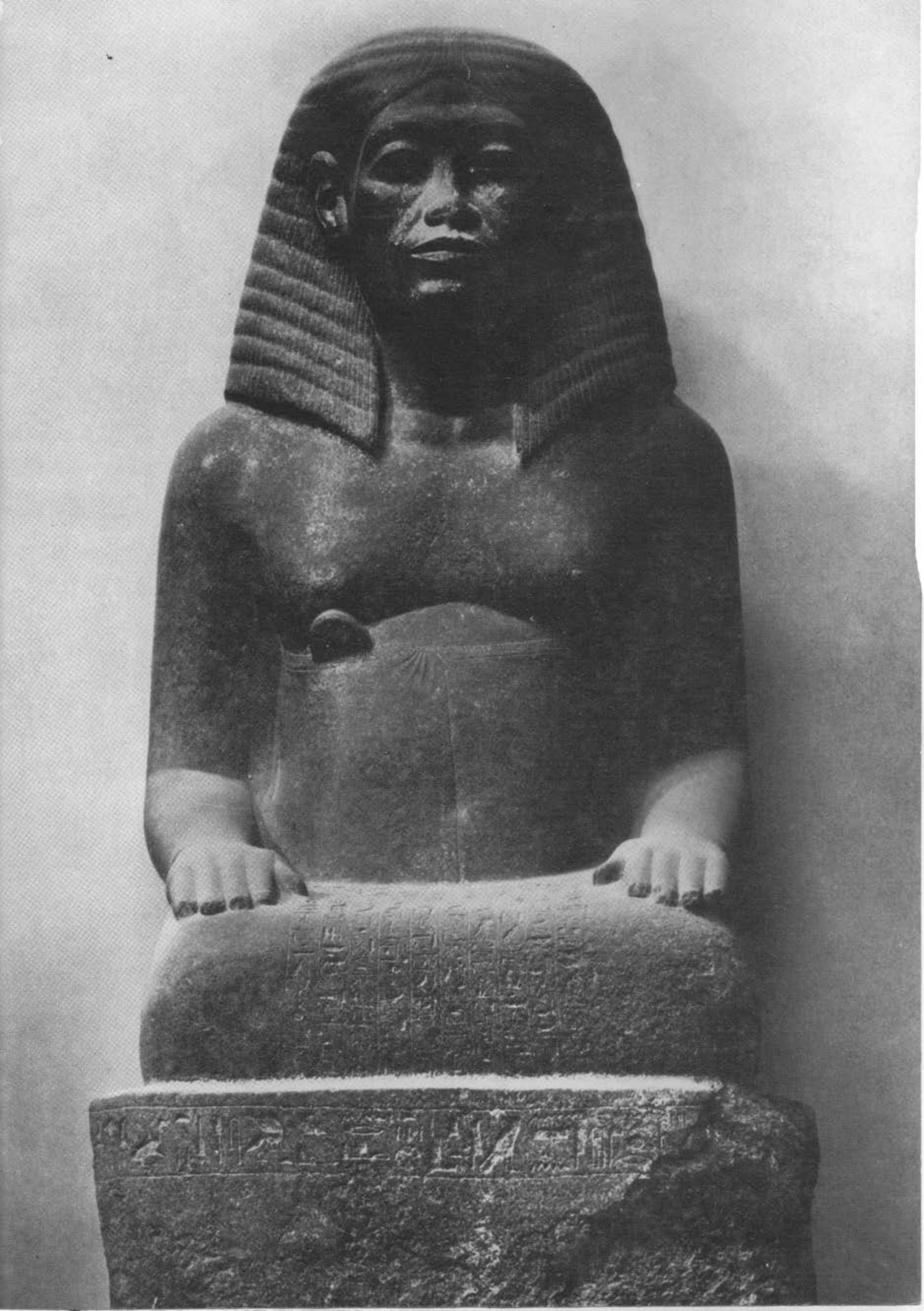

[صورة ٤٩]
منظر عام لمعبد الأقصر من الخلف .

[صورة ٤٨]
امنحتب بن حابو فى شيخوخته – المتحف المصرى .

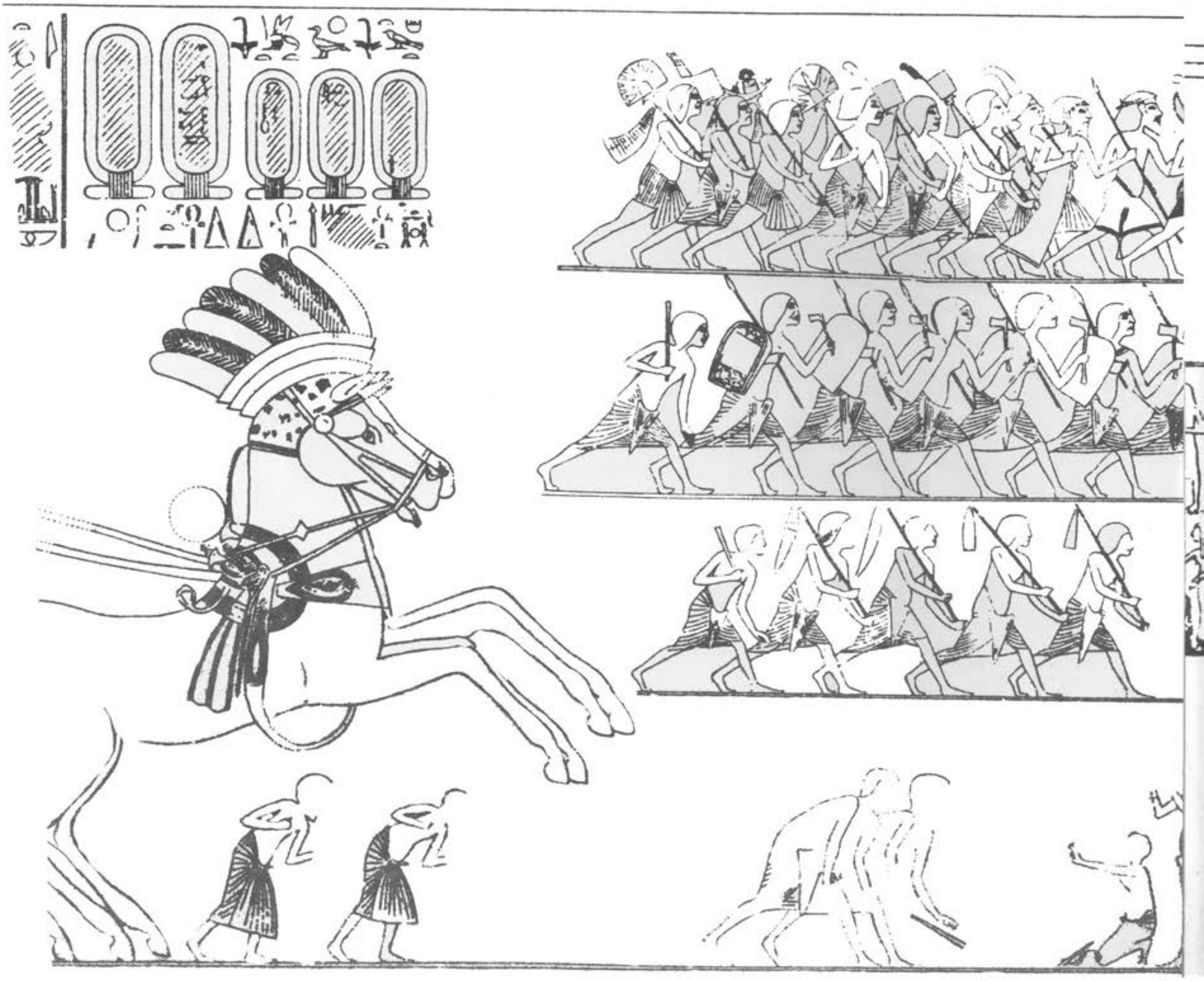

[صورة ٥٠]
شرطة الحرس الملكى الخاصة باخناتون يجرون فى ثلاث صفوف أمام
عربته - تل العمارنة .

[صورة ٥١]
شرطة الحراسة الملكية الخاصة بالملك اخناتون – تل العمارنة .

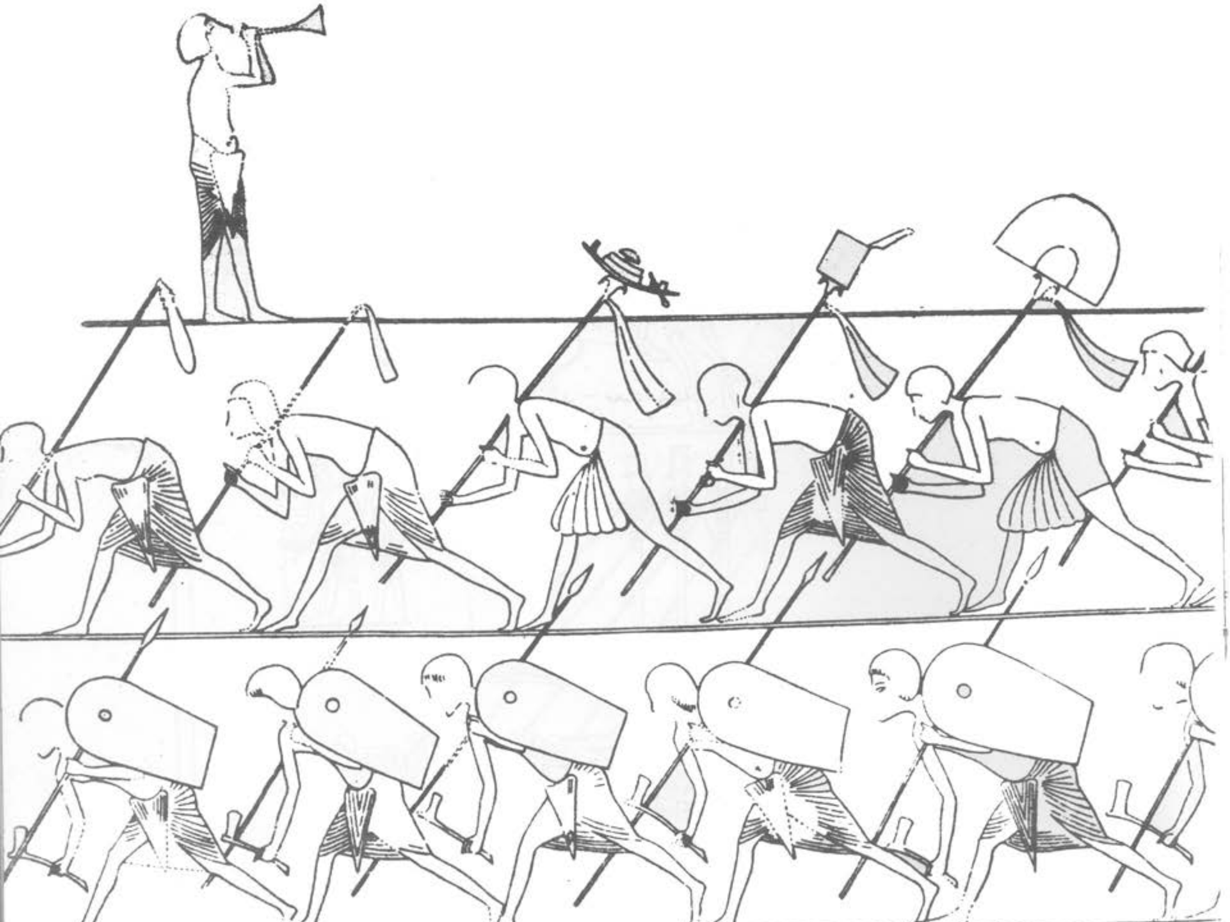

[صورة ٥٢]
فرقة من حرس الملك رمسيس الثالث ترافقه اثناء رحلة صيد – معبد مدينة حابو – الأسرة العشرون .

[صورة ٥٣]
باب القصر فى عهد اخناتون ويلاحظ وجود شرطة حراسة مسلحة على ← جانبى الباب – تل العمارنة .

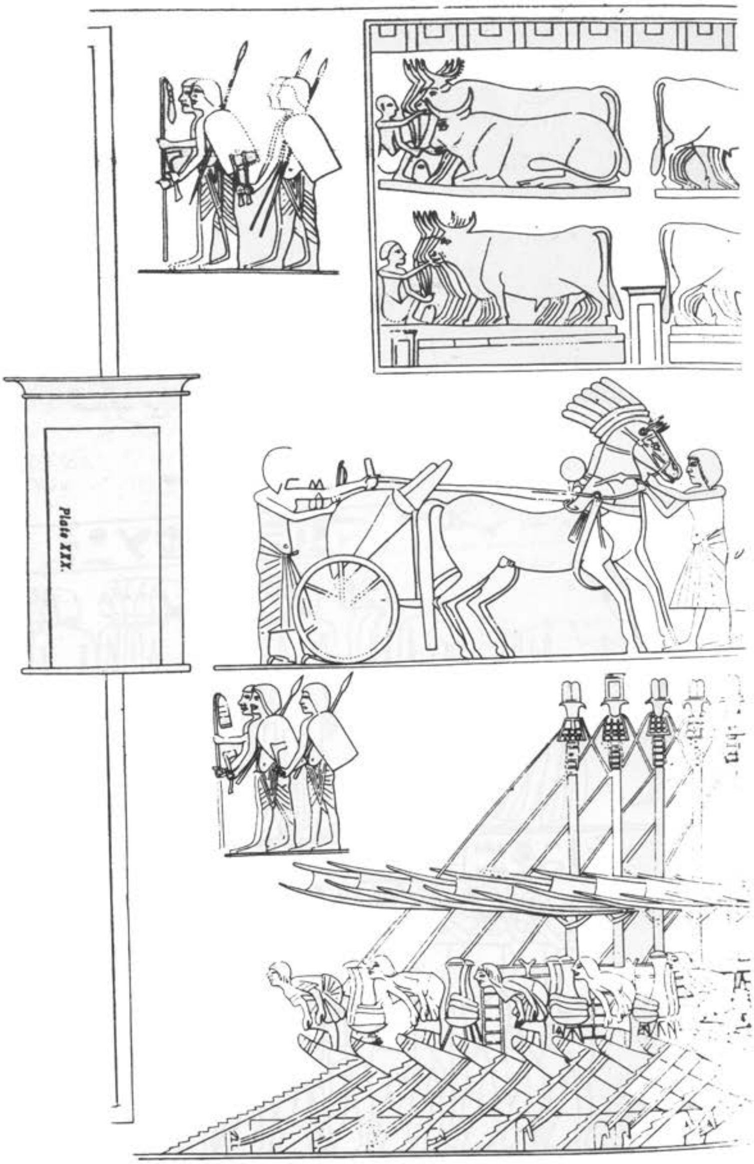

Plate XXX.

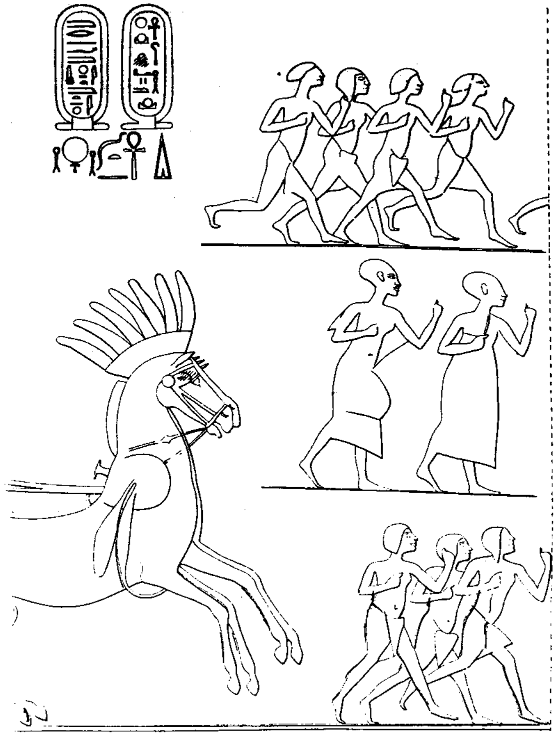

[صورة ٥٤]
جنود حراسة تسرع الخطى أمام عربة الملك اخناتون – تل العمارنة .

[صورة ٥٥]
صفوف من رجال الشرطة فى استعراض – مقبرة محو – تل العمارنة .

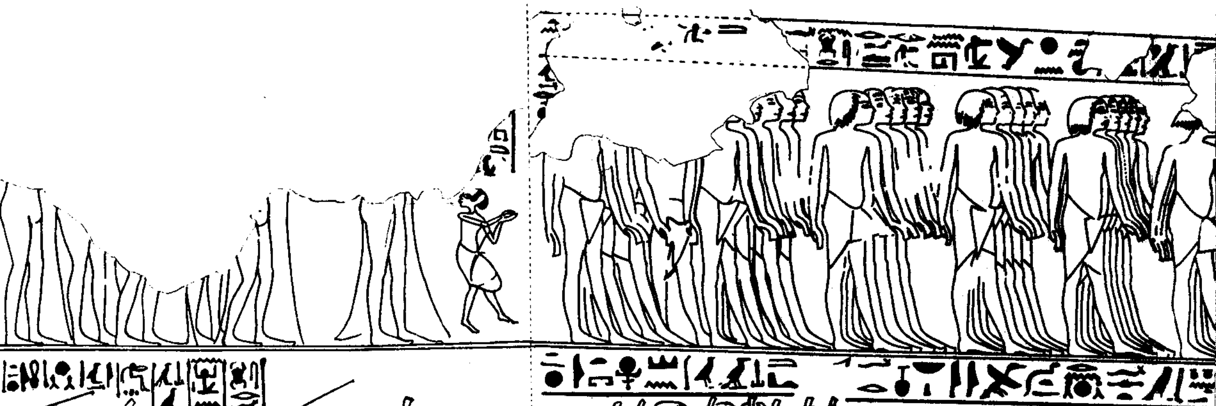

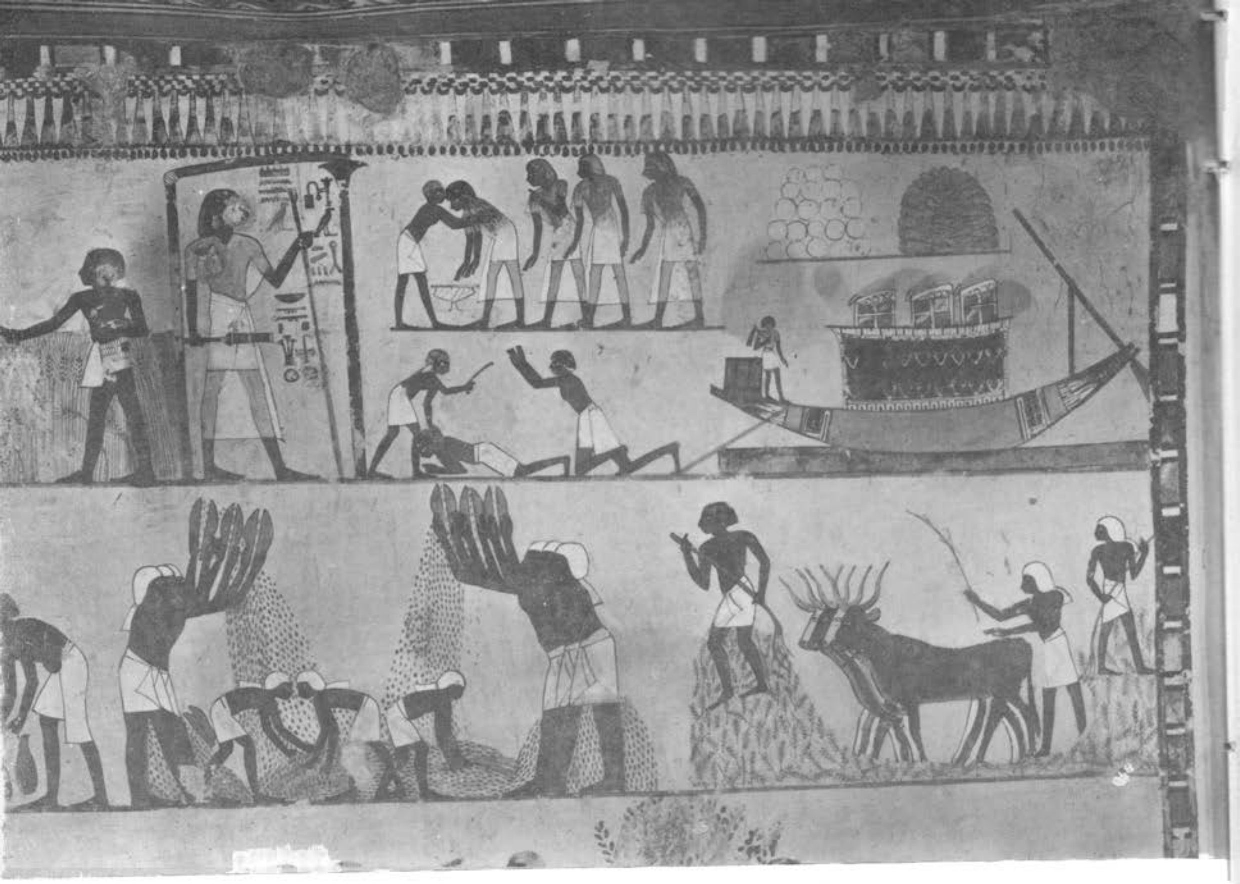

[صورة ٥٦]
عقوبة الضرب لأحد المزارعين نظير عدم وفائه بديونه تجاه صاحب المزرعة – مقبرة منا بالبر الغربى بالأقصر – الأسرة الثامنة عشرة .

[صورة ٥٧]
وادى الملوك بالبر الغربى بالأقصر .

[صورة ٥٨]
أحد الخيالة من مقبرة حور محب بسقارة – الأسرة الثامنة عشرة .

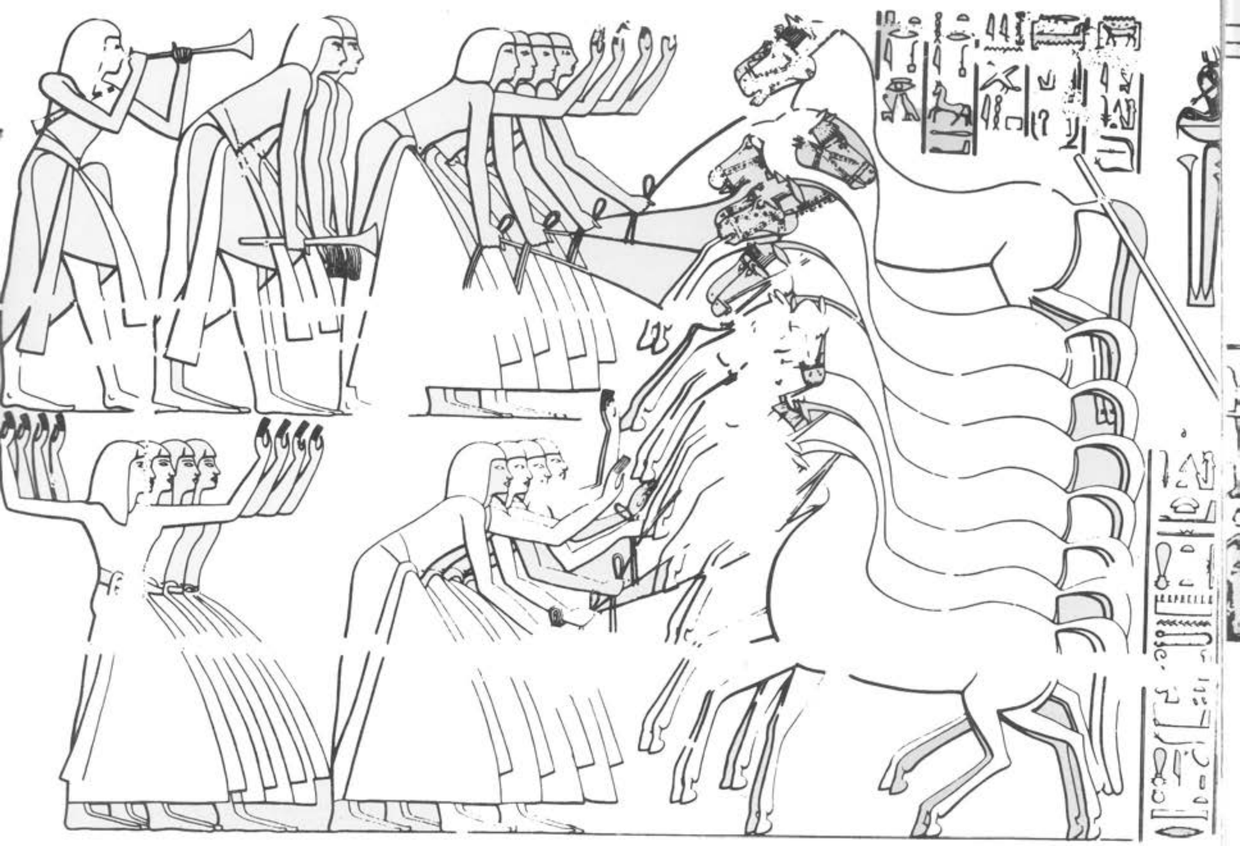

[صورة ٥٩]
جنود شرطة الخيالة يدربون الجياد – معبد مدينة هابو بالبر الغربي بالأقصر
الأسرة العشرون .

[صورة ٦٠]

ثلاثة جنود من الخيالة ، ويلاحظ رسم حصان على رداء الثالث منهم - معبد مدينة هابو بالبر الغربى بالأقصر - الأسرة العشرون .

محتويات الكتاب

مقدمة وزير الداخلية	ا
مقدمة وزير الثقافة	ج
مقدمة رئيس هيئة الآثار المصرية	هـ
مقدمة المؤلف	ز – ط
تمهيد	**١ – ١٦**
الفصل الأول : مفهوم الأمن الداخلى	٣
الفصل الثانى : عوامل مؤثرة	٥ – ١٦
المبحث الأول : العوامل الطبيعية	٥ – ٨
المبحث الثانى : عوامل اجتماعية	٩ – ١٦
الجزء الأول : الأمن الداخلى فى مصر القديمة	**١٧ – ٨٨**
الفصل الأول : الأمن الداخلى من بداية الأسرات حتى غزو الهكسوس	**١٩ – ٣٦**
المبحث الأول : الأمن الداخلى فى العصر العتيق	٢١ – ٢٢
المبحث الثانى : الأمن الداخلى فى الدولة القديمة	٢٣ – ٢٥
المبحث الثالث : الثورة الاجتماعية وسوء الحالة الأمنية	٢٧ – ٢٨
المبحث الرابع : عصر الاقطاع الأول	٢٩ – ٣٠
المبحث الخامس : الدولة الوسطى وعودة الأمن	٣١ – ٣٣
المبحث السادس : غزو الهكسوس والفترة التى سبقته	٣٥ – ٣٦
الفصل الثانى : الأمن الداخلى خلال الدولة الحديثة	**٣٧ – ٨٨**
مقدمة	
المرحلة الأولى : من عهد أحمس الأول الى عهد اخناتون	**٤٠ – ٤٩**
مقدمة	
المبحث الأول : الخيانة أثناء حرب التحرير	٤٣ – ٤٤

المبحث الثانى	: مظاهر استتباب الأمن فى هذه الفترة	٤٥ – ٤٩
المرحلة الثانية	: من عهد اخناتون إلى عهد رمسيس الرابع	٥٠ – ٧٤
مقدمـــــــــــة		
المبحث الأول	: الديانة الآتونية ودورها فى تهديد الأمن الداخلى	٥١ – ٥٥
المبحث الثانى	: مظاهر الفوضى الداخلية واسبابها قبل حور محب	٥٧ – ٥٩
المبحث الثالث	: محاولات الاصلاح	٦١ – ٦٧
المبحث الرابع	: بين النجاح والاخفاق	٦٩ – ٧٤
المرحلة الثالثة	: **من عهد رمسيس الرابع إلى نهاية عهد رمسيس الحادى عشر**	**٧٥ – ٨٨**
مقدمـــــــــــة		
المبحث الأول	: اسباب الفوضى الداخلية	٧٦ – ٧٩
المبحث الثانى	: مظاهر اختلال الأمن	٨١ – ٨٦
كلمة أخيرة		**٨٧**
الجزء الثانى	: **جهاز الشرطة ووسائله**	**٨٩**
مقدمـــــــــــة	: وظيفة جهاز الشرطة	٩١ – ٩٣
الفصل الأول	: **الشرطة فى عصر الأسرات المبكر (العصر العتيق)**	**٩٥ – ٩٦**
الفصل الثانى	: **الشرطة فى الدولة القديمة**	**٩٧ – ٩٩**
الفصل الثالث	: **الشرطة فى العصر الاقطاعى الأول**	**١٠١**
الفصل الرابع	: **الشرطة فى الدولة الوسطى**	**١٠٣ – ١٠٧**
الفصل الخامس	: **الشرطة فى الدولة الحديثة**	**١٠٩ – ١٢٢**
المبحث الأول	: النظام الادارى فى الدولة الحديثة	١١١ – ١١٢
المبحث الثانى	: جهاز الشرطة	١١٣ – ١٢٢
الفصل السادس	: **أجهزة الشرطة واختصاصاتها**	**١٢٣ – ١٣٥**
المبحث الأول	: الشرطة المحلية	١٢٥ – ١٢٦
المبحث الثانى	: الشرطة الخاصة	١٢٧ – ١٢٨

المبحث الثالث : الشرطة النهرية ١٢٩ - ١٣٠
المبحث الرابع : شرطة المعابد ١٣١ - ١٣٢
المبحث الخامس : الحرس الملكى ١٣٣ - ١٣٥
الفصل السابع : واجبات أخرى للشرطة ١٣٧ - ١٣٨
الفصل الثامن : وسائل البحث الجنائى ١٣٩ - ١٥١
المبحث الأول : طريقة الاسلوب الجنائى ١٤١ - ١٤٣
المبحث الثانى : الكلاب البوليسية ١٤٥ - ١٤٨
المبحث الثالث : قص الأثر ١٤٩
المبحث الرابع : استخدام المرشدين ١٥١
الفصل التاسع : وسائل التحقيق الجنائى ١٥٣ - ١٥٨
مقدمة
المبحث الأول : حلف اليمين ١٥٥
المبحث الثانى : الاستعانة بأهل الخبرة ١٥٥
المبحث الثالث : المواجهة ١٥٦ - ١٥٨
الفصل العاشر : القانون والعقوبات ١٥٩ - ١٦٤
الفصل الحادى عشر : الشرطة فى خدمة الشعب ١٦٥ - ١٦٦

الجزء الثالث : نماذج من الجرائم ودور الشرطة فى مكافحتها ١٦٧ - ٢٣٥
الفصل الأول : سرقات المقابر ١٦٩ - ١٩١
مقدمة
المبحث الأول : اسباب انتشار سرقات المقابر ١٧١ - ١٧٤
المبحث الثانى : سرقات المقابر والجهود التى بذلت لايقافها ١٧٥ - ١٨٠
المبحث الثالث : صورة من تحقيقات سرقات المقابر فى الأسرة العشرين ١٨١ - ١٩١
الفصل الثانى : اضرابات العمال فى النصف الثانى من الدولة الحديثة ١٩٣ - ٢٠٩

المبحث الأول : عمال الجبانة وتنظيمهم ومكانتهم داخل الدولة ١٩٥ — ١٩٦
المبحث الثانى : مرتبات عمال الجبانة ١٩٧ — ١٩٨
المبحث الثالث : الحالة الاقتصادية والسياسية فى البلاد اثناء اضرابات العمال ١٩٩ — ٢٠٠
المبحث الرابع : توقف الحكومة عن دفع مقررات العمال ٢٠١
المبحث الخامس : الاضراب الأول ٢٠٣ — ٢٠٤
المبحث السادس : تتابع الاضرابات ٢٠٥ — ٢٠٧
المبحث السابع : استمرار الاضرابات بعد رمسيس الثالث ٢٠٩
الفصل الثالث : مؤامرة الحريم فى عهد رمسيس الثالث ٢١١
المبحث الأول : خطة المؤامرة والمتآمرين ٢١٣
المبحث الثانى : خطورة المؤامرة ٢١٥
المبحث الثالث : فشل المؤامرة ٢١٧
المبحث الرابع : اجراءات المحاكمة ٢١٩
المبحث الخامس : خيانة بعض ضباط الشرطة والقضاه ٢٢١
المبحث السادس : مدى نجاح المؤامرة ٢٢٣ — ٢٢٦
المبحث السابع : مغزى المؤامرة ٢٢٧
الفصل الرابع : من قضايا الاختلاس ٢٢٩ — ٢٣٢
المبحث الأول : قضية خنوم تحوت ٢٣١ — ٢٣٢
خاتمة ٢٣٣ — ٢٣٥
الهوامش ٢٣٧ — ٢٦٧
المراجـــــع ٢٦٩ — ٢٨٤
الصور ٢٨٥ — ٣٥٠
محتويات الكتاب ٣٥١ — ٣٥٦

لواء دكتور بهاء الدين ابراهيم محمود

★ دبلوم كلية الشرطة سنة ١٩٥٤

★ ليسانس تاريخ — كلية الآداب – جامعة لاسكندرية سنة ١٩٥٩

★ درجة الماجستير فى التاريخ القديم — كلية الآداب – جامعة الاسكندرية سنة ١٩٦٣

★ درجة الدكتوراه فى التاريخ القديم — كلية الآداب – جامعة الاسكندرية سنة ١٩٧٤

– مساعد وزير الداخلية ومدير الادارة العامة للعلاقات حاليا .
– أستاذ غير متفرغ باكاديمية الشرطة وقام بالاشراف ومناقشة عدد من رسائل الدكتوراه والماجستير فى علوم الشرطة .
– أصدرت له الدار القومية للطباعة والنشر ثلاثة كتب هى :
١ – الشرطة فى مجتمعنا الاشتراكى سنة ١٩٦٥ .
٢ – الشرطة والشعب سنة ١٩٦٦ .
٣ – الشرطة ومسئوليات التطور سنة ١٩٦٧ .
– كاتب روائى قدمت له الاذاعة والتليفزيون ثمانية وعشرين مسلسلا اذاعيا وتليفزيونيا – بالاضافة إلى اعداد من القصص القصيرة نشرت بالمجلات المختلفة .
– حاصل على وسامى الاستحقاق من الدرجة الثانية والدرجة الثالثة .
– شارك فى عدد من المؤتمرات الدولية والمحلية كما قام بزيارات تدريبية وثقافية لكل من أمريكا والمملكة المتحدة واليابان .

سلسلة الثقافة الأثرية
مشروع المائة كتاب

صدر منها

١ - **المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية**
تأليف : د. أحمد قدرى
ترجمة : مختار السويفى
مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٢ - **تراثنا القومى بين التحدى والاستجابة**
منجزات ١٩٨٢ - ١٩٨٥
اعداد وصياغة
د. أحمد قدرى
عاطف عبد الحميد
آمال صفوت الألفى

٣ - **الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة**
تأليف : د. بهاء الدين ابراهيم محمود
مراجعة : د. محمود ماهر

كتب تحت الطبع

١ - **تاريخ العمارة فى مصر**
تأليف : د. كمال الدين سامح

٢ - **الايجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤ هـ / ١٠ م الى ١٠ هـ / ١٦ م**
تأليف : د. أحمد رمضان أحمد

٣ - **المسلات المصرية**
تأليف : لبيب حبشى
ترجمة : د. أحمد عبد الحميد يوسف
مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٤ - **العمارة المصرية القديمة (جزء أول)**
تأليف : د. اسكندر بدوى
ترجمة : د. محمود عبد الرازق - صلاح رمضان
مراجعة : د. أحمد قدرى ، د. محمود ماهر

٥ - **دراسات فى اللغة المصرية القديمة**
تأليف : أحمد باشا كمال

٦ - **نصوص الشرق الأدنى القديمة**
ترجمة : د. عبد الحميد زايد
مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٧ - **الديانة المصرية القديمة**
تأليف : ياروسلاف تشرنى
ترجمة : د. أحمد قدرى
مراجعة : د. محمود ماهر

٨ – **نهب آثار النيل**
تأليف : بريان فاجان
ترجمة : عبد الرحمن عبد التواب – محمد غطاس
مراجعة : د. أحمد قدرى

٩ – **مصر القديمة (دراسة طبوغرافية)**
تأليف : هرمان كيس
ترجمة : د. محمود عبد الرازق
مراجعة : د. جاب الله على جاب الله

١٠ – **التناسب فى عمارة مدارس العصر المملوكى فى القاهرة**
تأليف : د. على غالب أحمد غالب
مراجعة : د. آمال العمرى

١١ – **جبانة البجوات فى الواحة الخارجية**
تأليف : د. أحمد فخرى
ترجمة : عبد الرحمن عبد التواب
مراجعة : د. آمال العمرى

١٢ – **سجاجيد جورديز فى متحف محمد على بالمنيل**
تأليف : كوثر أبو الفتوح

١٣ – **الدليل العام لرشيد**
تأليف : عبد الرحمن عبد التواب

رقم الايداع / ١٦٤٧ / ١٩٨٦
مطبعة هيئة الآثار المصرية

الثمن ثلاثة جنيهات ونصف